الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي بغرداية

معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس والسابع عشر للميلاد.

مذكرة شهادة الماجستير في تخصص:التاريخ الحديث.

إعداد الطالبة: إشراف:

محمة عائشة أ/د عمار بن خروف.

لجنة المناقشة:

الدكتور	بوسليم صالح رئيسا
الأستاذ الدكتور	بن خروف عمار مشرفا ومقررا
الدكتور	شويتام أرزقي عضوا مناقشا
الدكتورة	القشاعي فلة عضوا مناقشا
الدكتور	سعيود إبراهيم عضوا مدعوا

السنة الجامعية:1432-1433ه/2011-2012م.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أوجه خالص الشكر والعرفان إلى أستاذي المشرف الدكتور **عمار بن خروف**،الطي لم يبخل علي بالنصائح القيمة، والإرشادات،التي لولاها ما استطعت انجاز هذه المذكرة وإخراجها إلى النور.كما أتوجه بشكري الجزيل كذلك إلى الدكتور **صالح بوسليم** ،الذي تابع دراستي هده على الرغم من ضيق وقته،وكثرة انشغالاته،وإمدادي بما توفر لديه من كتب تخدم دراستي.كما لا أنسى أن أوجه شكري الجزيل إلى الدكتور **إبراهيم سعيود** على المساعدة،التي قدمها لي.

وأوجه شكري إلى أساتذتي،الدين عملوا على تكويننا خلال السنة النظرية،ولتحملهم عناء السفر، والمشقة في سبيل تنويرنا وتعليمنا،وهم:الأستاذ الدكتور **حساني مختار** ،والدكتور **شكيب بن حفري**،وفقيدة العلم الدكتورة **عائشة غطاس** تغمدها الله برحمته،واسكنها فسيح جناته.

وأتقدم بالشكر الجزيل كذلك إلى كل عمال مكتبة المركز الجامعي بغرداية، والى السيدة **شرقي زينب**،التي اعتبرتني ابنة لها ولم تتوانى عن مساعدتي.

وأخيرا اشكر كل من وقف إلى جانبي من أقارب، وزملاء.

الإهداء:

إلى روح والدتي الطاهرة...

إلى والدي...

إلى إخوتي...

أهدي هذا العمل المتواضع...

قائمة المختصرات:

العربية:

ج	جزء
د.م.ج	ديوان المطبوعات الجامعية
ش.و.ن.ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
م.و.ك	المؤسسة الوطنية للكتاب
م.و.ن.إ	المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار
هـ	هجري

الأجنبية:

E.N.A.L	Entreprise Nationale du Livre
ibid	ibidem
Op.cit	Opere citato
O.P.U	Office des Publications Universitaires
p	page
P.U.F	Presses Universitaire de France
R.A	Revue Africaine
R.H	Revue historique
R.O.M.M	Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée
S.N.E.D	Société Nationale d'Edition et de diffusion
T	tome
V	volume

مقدمـــــــــــــــة

تعتبر مسألة الاسترقاق إحدى محاور العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، فطيلة القرنين السادس عشر، والسابع عشر، الذي يعتبر القرن الذهبي للقرصنة كان البحارة الجزائريون يأتون بأعداد كبيرة من أهالي المناطق الجنوبية الغربية من أوروبا إلى مدينة الجزائر، ليصبحوا بعد ذلك أسرى لدى أهلها.

وكان استرقاق البحترة الجزائريين للأوروبيين رد فعل مباشر لاسترقاق هؤلاء للمسلمين.غير أنّ الجزائر كانت تتعرض باستمرار للحملات العسكرية الأوروبية، التي كان الهدف من ورائها تأديب الجزائر على نشاط القرصنة، وتحرير الأسرى الأوروبيين بالقوة بعد رفض أن تكون الجزائر قد رفضت تحريرهم عن طريق الافتداء.

وقد امتلأت سجون مدينة الجزائر بعدد كبير من الأسرى وصل إلى خمسة وعشرين ألفا في القرن السابع عشر، الذي يعتبر القرن الذهبي للبحرية الجزائرية، إلا أنّ أعدادهم أخذت في التناقص حتى لم يبق في القرن التاسع عشر سوى ألفي عبد استطاع اللورد اكسموث تحريرهم بعد حملته الشهيرة على مدينة الجزائر في سنة1231هـ/ 1816م.

-دوافع اختيار الموضوع:

لقد كانت الأسباب، التي تقف وراء اختياري لهذا الموضوع كثيرة، ولكنني أوجز أهمها فيما يلي:

1-أن مسألة استرقاق الجزائر للأوروبيين قد أثّرت تأثيرا كبيرا في علاقاتها مع هؤلاء؛ إذ سعوا إلى منع الجزائر من مواصلة نشاط القرصنة، والاسترقاق تارة بالعنف عن طريق الحملات العسكرية، وتارة أخرى باللين عن طريق توقيع معاهدات السلم(وأخص بالذكر هنا فرنسا).

2-رغبتي في إظهار مدى المعاملة الحسنة، التي حظي بها الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر على عكس ما تشير إليه كثير من المصادر الأوروبية، وخاصة تلك المستندة لروايات رجال الدين، أو بعض الأسرى، الذين عادوا إلى أوطانهم وحكوا عن معاناتهم.

3-تشجيع أستاذي المشرف لي على طرق هذا الموضوع والبحث في ثناياه للتعرف على أحوال الأسرى الأوروبيين في الجزائر، وتأثيرهم على العلاقات بين الجزائر ودول غرب أوروبا المتوسطية.

4-رغبتي في المساهمة ولو بشكل بسيط بالكتابة في هذا الموضوع، الذي لا تزال الكثير من جوانبه غير مدروسة بقدر كاف.

- الإطار الزماني للدراسة:

لقد حصرت الإطار الزماني لهذه الدراسة في القرنين العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي؛ إذ يمثل القرن السادس عشر للميلاد تأسيس إيالة الجزائر بعد التحاقها بالدولة العثمانية، وتبلور علاقاتها مع الدول الأوروبية وخاصة فرنسا، التي استطاعت أن تؤسس قنصلية لها في الجزائر في سنة 1580م.بينما يمثل القرن السادس عشر الميلادي العصر الذهبي للقرصنة.

- إشكالية الدراسة:

لقد بنيت موضوع الدراسة على إشكالية انطلقت منها، وعملت على الإجابة عليها، وهي كالتالي:**ما هي الظروف الاجتماعية، التي عاشها الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر؟ وما هو تأثيرهم على العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط الأوروبي، ممثلة في فرنسا، إسبانيا، والدويلات الإيطالية؟ ومن هم أشهر الأسرى، الذين عاشوا في مدينة الجزائر في القرنين السادس والسابع عشر؟**

- الدراسات السابقة :

لقد جلب موضوع الأسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر في العهد العثماني وأحوالهم الاجتماعية وظروفهم انتباه كثير من الباحثين لما له من أهمية بالغة في التأثير على التركيبة السكانية لمجتمع مدينة الجزائر، وفي ردود الأفعال الأوروبية على استرقاق مدينة الجزائر للأوروبيين، على الرغم من أنّ سجون هؤلاء كانت تعج بالأسرى المسلمين وقتها. وقد تناول الكثير من المؤرخين الأقدمين منهم والمحدثين هذا الموضوع، غير أنّ أغلبهم لم يتناول الموضوع بشكل مستقل؛ إذ غالبا ما أعثر على معلومات عن هذه الفئة في الكتب، التي تتناول مدينة الجزائر في العهد العثماني بالدراسة . غير أنني وجدت دراسة اختصت بدراسة جوانب مهمة من هذا الموضوع ،وهي مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر بعنوان **الأسرى والسجون في مدينة الجزائر**

العثمانية 1518–1830م لصاحبها بومدين دباب، وتحتوي على معلومات غزيرة عن سجون الأسرى، والمهن التي زاولوها، وأسعار افتدائهم، وحتى إحصائيات عن أعدادهم.

- المنهج المتّبع في الدراسة :

لقد اعتمدت في دراستي هذه على المنهج التّاريخي الوصفي التركيبي التحليلي، الذي تتبعت من خلاله أوضاع الأسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر، الذين كثرت أعدادهم فيها خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين، وتداعيات ذلك على علاقات الجزائر وكل من فرنسا، إسبانيا، والدويلات الإيطالية.واستعنت به أخيرا في حديثي عن بعض الأسرى ممن عاشوا في مدينة الجزائر.

- الخطة المعتمدة في الدراسة :

لقد قسمت الدراسة إلى ثلاثة فصول، حاولت في **الفصل الأول** ، إلقاء الضوء على الأوضاع الاجتماعية للأسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر:عملية بيعهم في الأسر، أماكن إقامتهم وظروفهم فيها، ووضعهم الديني، وأخيرا المهن، التي مارسوها.

أما **الفصل الثاني** :فإنني خصصته للدور، الذي لعبه الأسرى في علاقات الجزائر مع دول الحوض الغربي للمتوسط.وقد تمثل هذا الدور في توتير العلاقات بين الطرفين، بفعل نشاط الغزو البحري، وكانت النتيجة محاولة الدول الأوروبية المتوسطية تدمير مدينة الجزائر لمعاقبتها استرقاق الأسرى.

وفي **الفصل الثالث**:وضعت ترجمات لبعض الأسرى، الذين سجنوا في مدينة الجزائر، غير أنني قسمتهم قسمين، خصصت الأول لبعض الأسرى، الذين اعتنقوا الإسلام وأصبحوا حكاما على مدينة الجزائر. أما القسم الثاني وركزت فيه على الأسرى، الذين فضلوا البقاء على دينهم، وقد نالوا حريتهم وعادوا إلى بلدانهم. ولكن تركيزي في هذا الفصل كان على الأسرى دول حوض المتوسط الغربية.

وذيلت المذكرة بخاتمة، ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها في دراستي هذه،ثم أتبعت الخاتمة بملاحق أرجو أن تثري هذه الدراسة.

-**الصّعوبات المعترضة**:من الصعوبات التي اعترضتني تعذر الحصول على بعض المصادر، التي تخدم موضوعي بشكل أساسي.بالإضافة إلى عدم عثوري على دراسة تحمل عنوان موضوعي؛ إذ كان عملي في أغلبه قائما على الدراسات العامة، التي تتحدث عن مدينة الجزائر. وهذا بخلاف مذكرة ماجستير لصاحبها بومدين دباب.

- التعريف بأهم المصادر و المراجع الخاصة بالدراسة :

أ-المخطوطات:

-**الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة:**مخطوط لصاحبه محمد بن رقية الجديري التلمساني.ونشره سليم بابا عمر في مجلة تاريخ وحضارة المغرب في العدد الثالث لسنة 1967م.وقد ورد فيه ذكر للغارات، التي شنها الأوروبيون وخاصة الإسبان، والفرنسيون منذ مجيء الأخوين عروج وخير الدين بربروس إلى غاية سنة 1775م.

ب-المصادر العربية:

-**المجهول:غزوات عروج وخير الدين،** تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، والمكتبة الأدبية،الجزائر1353ه/1934م. وهو كتاب لمؤلف مجهول، من الواضح أنه كان يعرف خير الدين جيدا فسجل قصصه بالتوالي. ومثلما ما يبدو من عنوان الكتاب، فهو مخصص لسرد الأحداث، التي جرت منذ قدوم الإخوة بربروس إلى الجزائر وعملهم على تحرير المنطقة من قبضة الإسبان، وتوحيدها تحت حكم واحد. كما تطرق للحملات العسكرية، التي قام الإسبان على مدينة الجزائر في السنوات الأولى من التحاقها بالخلافة العثمانية، أهم هذه الحملات حملة شارل الخامس على مدينة الجزائر في سنة 1541م.

ب-المصادر المعرّبة :

جيمس لندر كاثكارت:مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب ،ترجمة وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، د.م.ج، الجزائر 1982.وجيمس لندر كاثكارت ولد بتاريخ 1 جوان 1767م،ومات بتاريخ 6 أكتوبر 1843مفي إيرلندا. غير أنه سافر إلى أمريكا وعمره ثماني سنوات. والكتاب من ترجمة إسماعيل العربي .ويشتمل على تجارب كاثكارت، التي عاشها خلال فترة أسره

في الجزائر بين عامي 1785 و1796م. وقد حررت الكتاب ابنة كاثكارت السيدة ج.نيوكيرك(J.Newkirk).

–سيمون بفايفر: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر ، تعريب وتعليق أبي العيد دودو، ش.و.ن.و، الجزائر1974م. وينقل بفايفر إلينا فيه ملاحظاته ومشاهداته في الجزائر. وتبرز أهمية مذكرات بفايفر بدءا من الفصل السادس، حيث يتحدث عن العلاقات الجزائرية–الفرنسية في الفترة التي سبقت دخول الفرنسيين إلى الجزائر. غير أنّ ما أفادني في هذا الكتاب هو حديثه عن المهن، التي زاولها لما كان في بداية أمره عاملا في مطبخ الداي، وعن علاقاته مع بقية زملائه في الأسر.

ج–المصادر الأجنبية:

Fray Diego de Haedo : Histoire des Rois d'Alger, traduit par de Grammont, et présenté par Rebahi Abderrahmane, édition, Alger Livres Edition, Alger 2004.

هذا الكتاب لصاحبه دييغو دي هايدو الراهب البندكتيني،الذي وقع أسيرا في مدينة الجزائر بين عامي 1578–1581م.وكان ملاحظا وسائلا ذكيا ويعتبر عمله أساسيا لكل الكتابات الغربية اللاحقة عن الجزائر. ومثلما يلاحظ من عنوانه فهو يؤرخ لحكام مدينة الجزائر بداية من عروج بربروس إلى مصطفى باشا. وقد تناول بالتفصيل ظروف اعتلاء كل منهم للعرش، والأحداث التي جرت في عهد كل منهم، إضافة إلى علاقاتهم سواء مع الدولة العثمانية، أو الدول الأوروبية، إضافة إلى الثورات المحلية. أما فيما يخص اعتمادي عليه فقد أفادني كثيرا في ترجمة ثلاثة من حكام الجزائر، كانوا أسرى ثم أصبحوا أعلاجا وهم: حسن آغا بن خير الدين، علج علي باشا، وحسن فتزيانو باشا.

Fray **Diego de Haedo:Topographie et histoire générale d'Alger, la vie a Alger au XVI, siècle**, traduit par A. Berbrugger et Dr. Monnreau, et présenté par Rebahi Abderrahmane, 3e édition, Alger Livres Edition, Alger 2004.

وهو من مؤلفات هايدو كذلك. وهو كتاب على غاية الأهمية؛ إذ أعطانا هايدو من خلاله دراسة وافية عن كل ما يتعلق بمدينة الجزائر مناخيا وطبيعيا، وعن السلطة الحاكمة في الجزائر، والتركيبة السكانية لمجتمع مدينة الجزائر. وقد أفادني كثيرا في تتبع أماكن إقامة الأسرى المسيحيين، والمهن التي كانوا يزاولونها.

Pierre Dan: Histoire de la Barbarie et de ses corsaires, édition Pierre Rocolet, Paris1634.

وكان بيار دان من كبار جماعة الثالوث المقدس المخصصة لافتداء الأسرى. زار مدينة الجزائر في سنة 1634م، وكان مصحوبا بالمبعوث الدبلوماسي سانسون لوباج (Sanson Le Page)وزيارتهما كانت بغرض افتداء الأسرى الفرنسيين. وهذا الكتاب يتحدث ليس مخصصا للجزائر فقط، وإنما بلاد المغرب ككل. وعلى الرغم من تعصب الأب دان الشديد للدين المسيحي، إلا أن كتابه على قدر كبير من الأهمية، وأفادني في حديثي عن الكنائس ودور العبادة، التي كانت في سجون الأسرى ليمارسوا فيها طقوس دينهم.

Emmanuel d' Arenda :Relation de la captivité du sieur Emanuel d'Arenda, jadis esclave a Alger, Jean Mommart éditeur ,Bruxelle1662.

وقع إيمانويل داراندا الأسير البلجيكي ذو الأصول الإسبانية أسيرا في مدينة الجزائر بين عامي 1640و1642م.وقد عرض داراندا في كتابه هذا مغامراته المختلفة في مدينة الجزائر، ومن ناحية ثانية أعطانا صورة عن مدينة الجزائر في فترة أسره: تاريخيا، جغرافيا، سياسيا. كما تحدث كذلك عن الحياة اليومية لأهل المدينة، وعاداتهم.

Laugier de Tassy: Histoire du Royaume d'Alger avec l'états présent de son gouvernement, de ses forces, de terre ,et de mer, de ses revenues, police, justice, politique, et commerces, édition Loysel,Paris1992.

كان لوجيي دوتاسي أحد موظفي القنصلية الفرنسية في الجزائر خلال القرن الثامن عشر. وعلى الرغم من أن مدة إقامته لم تطل في مدينة الجزائر إلا انه قد لنا معلومات على غاية من الأهمية من حيث المعلومات، التي قدمها عن أوضاع الجزائر السياسية، والاجتماعية خلال القرن الثامن عشر. وما تجدر الإشارة إليه أن نظرة دوتاسي تميزت بالموضوعية؛ إذ أنه دعا الأوروبيين إلى نبذ الأحكام المسبقة ضد العثمانيين. وقد أخذت منه بعض المعلومات فيما يتعلق.

د–المراجع العربية:

-أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926ه/1519م-1246ه/1830م ،ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر 2009م. كتاب مهم جدا هو في الأصل مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه. موضوعه التركيبة السكانية في الجزائر في العهد العثماني سواء في الريف، أو المدينة، وتفاعل كل فئة من هذه الفئات داخل محيطها، أو خارجه(بفعل النزوح من الريف إلى المدينة، أو التنقل من إقليم الصحراء إلى إقليم التل).وقد استفدت منه كثيرا في الفصل الأول ،الذي درست فيه الأوضاع الاجتماعية للأسرى الأوروبيين في الجزائر.

-يحي بوعزيز :علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك 1500-1830م
أوروبا،د.م.ج،1985م. ويتحدث الكتاب بشكل مباشر عن علاقات الجزائر مع الدول الأوروبية المتوسطية، وغيرها مثل الحملات العسكرية الأوروبية على مدينة الجزائر. وقد استعنت بهذا الكتاب في الفصل الثاني، الذي خصصته لدراسة دور الأسرى الأوروبيين في علاقات الجزائر مع دول الحوض الغربي للمتوسط.

ه-المراجع المعرّبة:

-عزيز سامح إلتر :الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ،تر علي محمود عامر،دار النهضة العربية،بيروت 1989م.ويؤرخ الكتاب لتواجد العثمانيين في إفريقيا الشمالية، أو بلاد المغرب وان كان يركز في أكثر الأحيان على الجزائر، وأحوالها السياسية، وعلاقاتها الخارجية.ويعطينا الكتاب معلومات على غاية من الأهمية وإن كان اعتماده الكبير على كتاب:De Grammont : Histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830.

-جون .ب. وولف :الجزائر وأوروبا 1518-1830م، تعريب وتعليق أبي القاسم سعد الله، م.و.ك، الجزائر 1984م. والكتاب من ترجمة أبي القاسم سعد الله. وهو كتاب يخدم وبشكل أساسي موضوع العلاقات بين الجزائر ودول غرب المتوسط في العهد العثماني إضافة إلى دول أخرى مثل الأراضي المنخفضة، الدانمارك، وإنجلترا. كما يتحدث الكتاب عن الأوضاع الداخلية لهذه الدول.

و-المراجع الأجنبية:

H.D Grammont de : Histoire d'Alger sous la domination turque1515-1830, édition Ernest le Roux, Paris1887.

من الكتب الهامة حول تاريخ الجزائر في العهد العثماني، درس فيه صاحبه وبشكل مفصل جميع الأحداث، التي جرت في الجزائر في هذه الفترة بحسب مراحل الحكم، التي عرفتها البلاد من تمردات وثورات داخلية، وعلاقات خارجية سواء مع بقية البلدان المغاربية، أو مع دول أوروبا.

Moulay Belhamissi :Marine et Marins d'Alger(1518-1830),3T,B.N.A ,Alger 1996.

وقد جاء هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء، ويتناول بالدراسة المفصلة البحرية الجزائرية في العهد العثماني، والرحلات البحرية، التي كان يقوم بها البحارة الجزائريون من وقت لآخر للسواحل الأوروبية، وتأثير ذلك على علاقات الجزائر مع دول الحوض الغربي للمتوسط الأوروبية وخاصة الحملات العسكرية.

Rouland Courtina : La piraterie barbaresque en méditerranée 16-19^{e} siècle, édition Jacques Gandini, Paris2003.

ومثلما يبدو من عنوانه الكتاب يؤرخ للدول المغاربية، وخاصة منها الجزائر ويعطينا كذلك لمحة عن حياة كبار الرياس في مدينة الجزائر، ومنهم علج علي باشا، وهو ما أفادني كثيرا أثناء إعدادي ترجمة لهذا الرايس، الذي أصبح علجا على مدينة الجزائر.

Corine Chevalier : Les trente premières années de l'état d'Alger1510-1541, O. P. U, Alger1986.

يُقدّم الكتاب معلومات عن كيفية التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية، وعن تنظيماتها السياسية، والتركيبة السكانية لمجتمع مدينة الجزائر، وخاصة الأسرى، وأماكن إقامتهم، وأحوالهم فيها.

وفي الأخير أتقدّم بالشّكر الجزيل لكل من ساعدني لإتمام عملي هذا، وأخص بالذكر أستاذي المشرف الأستاذ الدّكتور **عمّار بن خروف**، الذي لم يبخل علي بالنصائح القيمة، والإرشادات، التي لولاها ما استطعت إنجاز هذه المذكرة.كما أتوجه بشكري الجزيل كذلك إلى الدّكتور **صالح بوسليم**، الذي تابع دراستي هذه على الرغم من ضيق وقته، وكثرة انشغالاته .فجزاهما الله عني كل خير.

الفصل الأول:

الأوضاع الاجتماعية للأسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر خلال القرنين السادس والسابع عشر للميلاد.

المبحث الأول: ظروف الأَسْر في الجزائر.

المبحث الثاني:أماكن إقامة الأسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر، وأوضاعهم فيها.

المبحث الثالث:الوضع الصحي في الجزائر في القرنين السادس والسابع عشر،وتأثيره على الأسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر.

لقد أثرت في بنية المجتمع الجزائري في العهد العثماني عوامل كثيرة منها دخول فئات جديدة إلى الجزائر، ومن هذه الفئات فئة الأسرى الأوروبيين، الذين تزايدت أعدادهم ابتداء من القرن السادس عشر، وخاصة في مدينة الجزائر نظرا لانتعاش نشاط الجهاد البحري.

ويباع الأسرى في سوق الأسرى وفق قوانين معينة يسير عليها كل من المشتري، والدلاّل. وتختلف أسعار الأسير بحسب وضعه الاجتماعي في بلده قبل وقوعه في الأسر، بالإضافة إلى المهنة ، التي كان يمارسها .ولا ننسى أن الداي كان يحصل على عدد من هؤلاء الأسرى يختارهم لنفسه وفق معاييرَ معينةٍ.

وقد أنشأت الحكومة الجزائرية وقتها أماكن خاصة لإقامة هؤلاء الأسرى، الذين كان عددهم يختلف تبعا لاختلاف نشاط القرصنة، الذي إذا ازدهر ترتفع معه أعدادهم أما إذا نقص فتتناقص أعدادهم بذلك. كما كان بعضهم يقيمون في منازل مالكيهم.

وقد وفّر الأسرى للحكومة الجزائرية يدا عاملة ماهرة باعتبار أن الأوروبيين كانوا يفوقون الجزائريين في مجال الصناعة، وخاصة إذا تعلق الأمر بمجال صناعة السفن.

ومن هنا يمكن طرح الإشكالية التالية: **كيف كان الأوروبيون يقعون أسرى لدى البحارة الجزائريين؟وكيف كانت عملية بيعهم تتم في سوق البادستان؟وما هي أحوالهم داخل أماكن إقامتهم؟وهل كانوا يعتنقون الإسلام بالإكراه،أم أنهم كانوا يقبلون عليه بإرادتهم؟وفي الأخير ما هي المهن،التي كانوا يكلفون بالقيام بها؟وماهي أوضاعهم الصحية في المدينة؟**

المبحث الأول:

ظروف الأسر في الجزائر:

يُصنَّف الأسرى الأوروبيّون كإحدى أهمّ الفئات في مجتمع مدينة الجزائر،التي عاشوا فيها ظروفا معينة، نتطرق إليها من خلال:

أولا–طرق وقوع الأوروبيين أسرى لدى الجزائريين.

ثانيا–عملية بيع الأسرى في سوق البادستان.

أولا–طرق وقوع الأوروبيين أسرى لدى الجزائريين:

لقد تعددت الطرق،التي كان القراصنة الجزائريون يأسرون بواسطتها الأوروبيين سواء كانوا مدنيين أو عسكريين،ومن أبرز هذه الطرق:

أ–الهجوم على السواحل الجنوبية الغربية من أوروبا:

لقد شكّلت سواحل كثير من دول جنوب غرب أوروبا في العهد العثماني أهدافا مباشرة لهجمات البحارة الجزائريين،ومن هذه السواحل:سواحل جنوة، نابولي، ليفورن، سردينيا،كورسيكا، صقلية، ومالطة....وتُعدّ هذه المناطق أماكن تركز القراصنة الأوروبيين، التي ينطلقون منها في غاراتهم، وحملاتهم على مدينة الجزائر[1].

وكان نجاح خير الدين في الاستيلاء على حصن **البنيون** وطرد الإسبان منه في سنة935هـ/1529م، عاملا مهما في زيادة حماسه وعزيمته على الجهاد والمقاومة، فجهّز خمس عشرة غالية[2]،قام بحارتها بالهجوم على سواحل إسبانيا، أين أحرقوا بعض القرى

---

(1)يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر،الجزائر الحديثة**،2 أجزاء،د. م. ج،الجزائر 2009م،ج2،ص185.

(2) هي سفينة كان يستعملها العثمانيون والأوروبيون على السواء. وهي خفيفة ومتوسطة الحمولة.تضم خمسا أو ستا وعشرين مصطبة يجلس على كل منها عدد من المجدفين يتراوح بين الإثنين والثمانية. وكانت هذه السفينة أكثر استعمالا في العصور الوسطى ودون منازع.أما في القرن السادس عشر (16م)، وأثناء عمليات القرصنة فإن الرياس الجزائريين كانوا يستعملون الغاليرات المدفوعة بواسطة المجاديف، التي لم تستخدم فيها الأشرعة إلا للسير، والتوقف، وانتظار السفن المعادية.وقد شكلت الغاليرات الجزائرية وحدة بحرية لغرب البحر الأبيض المتوسط على باقي وحدات الأسطول العثماني المنتشرة في شرقيه

الساحلية وأسروا منها نحو مائتي عائلة[1].

وكان الهجوم الذي شنه خير الدين على منطقة ماهون بجزر البليار في سنة 941هـ/1535م، وأسره لستة آلاف من مواطنيها،رد فعل على استيلاء الإسبان على تونس[2].

كما خرج من ميناء مدينة الجزائر في سنة 945هـ/1540م أسطول قوامه ست عشر سفينة وعلى متنها ألفٌ وثلاثمائةٍ (1300) بحارٍ صوب مضيق جبل طارق،ومنه هاجموا الكثير من المدن الإسبانية وأسروا عددا كبيرا من سكانها باعوهم في أسواق مدينة تيطوان المغربية[3] .

وقام الرايس مراد في سنة 986هـ/1578م بالهجوم على شواطئ صقلية، وإسبانيا واصطحب معه إلى الجزائر أسرى كثيرين[4].

وكانت الفترة الممتدة بين عامي 1587 و1588م فاتحة لنظام جديد في الجزائر وهو نظام الباشوات، وكان أول باشا عين في هذه المرحلة هو الباشا **دالي أحمد**، الذي افتتح هذا العهد الجديد بالتركيز على أعمال الجهاد البحري؛فقد تولى بنفسه قيادة السفن،التي أغارت في سنة 996هـ/1588م على سواحل مملكة نابولي،صقلية،الدول البابوية،كورسيكا، وإسبانيا[5].

ودخل في سنة1022هـ/1613م **سليمان رايس** جزيرة **ماري** الواقعة بالقرب من مضيق جبل طارق على رأس خمس سفن،واستطاع أن يأسر مائة وعشرين من سكانها.كما دخل هذا الرايس برفقة **مصطفى رايس**، على رأس تسع سفن جزيرة **بورتو سانتو(Porto-Santo)** القريبة من جزر الكناري،وتمكنوا من أسر سبعمائة من سكانها[6].

بهدف القيام بالعمليات الجهادية ضد= =العدو، ولمد يد العون لمسلمي الأندلس.انظر يحي بوعزيز: المرجع السابق،ج 2، ص170،وإسماعيل جودي:**الصناعة العسكرية في الجزائر في العهد العثماني 1518–1830م**،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،بإشراف الدكتور/حساني مختار، جامعة الجزائر 2008–2009م،ص ص178–179.

(1)عبد القادر فكاير:**آثار الاحتلال الاسباني على الجزائر خلال العهد العثماني(10–12هـ/16–18م)**،رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ،جامعة الجزائر2008–2009م،ص112.

(2) H.D de Grammont : **Histoire d'Alger sous la domination turque1515-1830**, édition Ernest le Roux, Paris1887, pp 39,40.

(3) ibid.

(4)يحي بوعزيز:المرجع السابق، ج2،ص38.

(5)عبد القادر فكاير:المرجع السابق،ص116.

(6) Rouland Courtina: **la piraterie barbaresque en méditerranée 16-1919 siècle,** édition Jacques=

كما وصل عدد الفرنسيين، الذين أسرهم القراصنة الجزائريون بين عامي 1037هـ/1628م و1043هـ/1634م ألفا وثلاثمائة وستة وثلاثين أسيرا(1336)وبيعوا في سوق البادستان[1].

وقد اتخذت بعض الدول المعنية بشكل مباشر احتياطات كثيرة في ظل هذه الظروف،منها تقوية سواحلها آملة من وراء ذلك إيقاف هجمات البحارة الجزائريين عليها.فمثلا قامت جنوة ببناء حزام دفاعي في جزيرة كورسيكا بطول مائة وخمسين كيلومترا، وأبراج المراقبة الثلاثمائة وثلاثة عشرة، التي تحيط بمملكة نابولي، وأبراج المراقبة الأخرى وعددها مائة وسبعة وثلاثون، والتي أضيفت على الساحل الشرقي لصقلية[2] .

والاحتياطات المتَّبَعة لم تكن تؤدي في الغالب إلى أية نتيجة؛فقد اعتاد البحارة الجزائريون على إحباط هذه المخططات الدفاعية،لأنهم يحضرون ليلا بقيادة بعض الأسرى،الذين يكونون على دراية بكل الأماكن،يدفعهم في ذلك رغبتهم في نيل الحرية[3].

ب–المواجهات البحرية،واعتراض السفن في عرض البحر:

والطريقة الأخرى إلى جانب الطريقة السابقة هي اعتراض السفن في عرض البحر؛ ونذكر من ذلك المواجهة البحرية، التي قامت بها مركب جزائري في سنة 982هـ/1575م في البحر المتوسط مع مركب إسباني كان يحمل على متنه العديد من الأشخاص، ومن بينهم الشاعر الإسباني **ميغال دي سيرفاتيس**، الذي كان مقاتلا في صفوف الجيش الإسباني.وكان سيرفانتيس قد خرج من إيطاليا في يوم 15سبتمبر1575م مصحوبا بأخيه **رودريغو** على متن المركب المسمى(**الشمس**)،يرافقه مركبان آخران.وقد حدث ذلك في نواحي **تروا ماري (Troie Maries)** على السواحل الفرنسية[4].

=Gandini, Paris 2003,p40.

(1)يحي بوعزيز:المرجع السابق،ج2،ص38.

(2) Moulay Belhamissi :**Histoire de la marine algérienne(1516-1830)**,édition E.N.A.L,Alger,

(3) ibid.

(4)عبد القادر فكاير:المرجع السابق،ص ص111-112.

ج–الهجوم على الأماكن التي احتلها الإسبان في الجزائر: وكان حصن البنيون[5] واحدا من هذه الأماكن،ومنذ أن بناه الكونت **بيدرو نافارو (Pedro Navarro)**في سنة 916هـ/1510م شكّل عائقا كبيرا أمام مشاريع خير الدين؛إذ أن الإسبان كانوا يهددون من خلاله مدينة الجزائر بقصفها بمدافعهم.وفي هذا يحدثنا صاحب كتاب غزوات عروج وخير الدين:«ثم إنه فكر في أمر الحصن المجاور للمدينة وما يحصل لأهلها منه من الإداية، فوجه إليهم قائلا أما أن تكفوا عما أنتم عليه فلم يلتفتوا إليه، وتمادوا على ما هم عليه...وكان هذا الحصن حصنا عظيما لا يعادله حصن ببلاد النصارى و لم نتعرف كيفية بنائه...وبالغ النصارى في بنائه،وتحصينه لكونه بمرأى ومسمع من الجزائر بحيث إن السهام كانت تصل إليه من المدينة،وتصل إلى المدينة منه...»[1].

فقرّر خير الدين تدميره والقضاء على من كان به، واتخذ جميع استعداداته للقيام بهذا الهجوم،ومن ذلك إيفاده لأحد من رياسه إلى مدينة جربة لشراء مركب بندقي محمل بالبارود كان قراصنتها قد غنموه بعد اعتراضه في البحر،كما قام رجاله ببناء بطارية مواجهة للحصن ولا تبعد عنه سوى بمائتي متر، وجهزها بمدفعين برونزيين، وبمدافع أخرى غنمها من مركب فرنسي[2].

حشد خير الدين أسطوله،الذي كان مكونا من خمسة و أربعين غاليرة، إضافة إلى أنواع أخرى من السفن[3].

بدأ القصف في اليوم السادس من شهر ماي من سنة 935هـ/1529م واستمر كذلك طيلة عشرة أيام.وقد رد الإسبان في البداية على القصف بحماس كبير،حتى وصلت القذائف المدفعية إلى مدينة الجزائر،ويواصل محدثنا كلامه عن الأضرار،التي سببتها هذه القذائف:«...فشرع خير الدين في قتاله والرمي عليه بالمدافع، واجتهد النصارى لعنهم الله في المدافعة يرمون بالمدافع والمكاحل رميا واحدا،حتى صارت البنادق والكور تنزل على المدينة كالقطر،وصاروا يقصدون صوامع الجوامع

---

(5)معنى هذه الكلمة«الصخرة العظيمة».انظر **عبد الرحمن بن محمد الجيلالي:تاريخ الجزائر العام** ،4أجزاء، دار الأمة، بيروت2007،ج4، ص50.

(1)المجهول:كتاب **غزوات عروج وخير الدين** ، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، والمكتبة الأدبية، الجزائر1353هـ/1934م، ص ص66-67.

C. H.Farine **:Deux pirates au XVI^e siècle, histoire des Barberousse,** Paul Ducrosq Libraires Editeurs, Paris 1869,p168 .

(3) Adrian Berbrugger :**le Penon d'Alger, ou les origines du gouvernement turc en Algerie**,Challamel, Libraire, paris 1863,p93.

بالرمي ينكون المسلمين بذلك،حتى هدموا صومعة الجامع الأعظم و كثيرا من شرابات الصوامع، وأتى الهدم على دور كثيرة عديدة من دور أهل الجزائر...»[4].

طلب دي فيرغاس الإمدادات من الإمبراطور شارل الخامس،الذي كان يحلم باعتلاء عرش إيطاليا،فلم يعره يلتفت لأنه فضل الاهتمام بتسوية بعض مشاكله الداخلية على أن يهتم بهذا الحاكم،الذي كان في نظره مجرد بحار ضائع في إفريقيا.عند ذلك أدرك دي فرغاس عدم وجود أية خيارات،فقرر التضحية بحياته والموت بشرف[1].

استغل خير الدين حاجة الإسبان للمؤن الضرورية وخاصة الماء،إضافة إلى نقص البارود،الذي يعتبر أهم وسائلهم الدفاعية[2]فحاصر في يوم الواحد والعشرين من شهر ماي القلعة بسفنه مهاجما إياها من البحر،واستطاع دخولها بعد أن أحداث العديد من المنافذ فيها،ولكنهم لم يجدوا في أحدا غير حاكمه العجوز دي فيرغاس، الذي حاول مواجهة القوات المهاجمة بمفرده بسيفه، الذي كان في يده،ولكنه حوصر وسبب ذلك إصابته بعدة جروح،ثم اقتيد من هنالك إلى خير الدين [3].وكان عدد الأسرى، الذين تمكن الأتراك من أسرهم خمسمائة أسيرٍ مع بعض النساء، كانوا قد هربوا من الحصن على دفعات أثناء المعركة [4].

وكان لتحرير الجزائر من هذا الحصن وقع كبير لدى المسلمين والنصارى على حد سواء، كما أكسب خير الدين هيبة كبيرة وثقة كبيرتين مما رسخ وجوده أكثر في الجزائر[5].

د–الوقوع في الأسر من خلال الحملات العسكرية على مدينة الجزائر:

لقد اتسمت العلاقات الجزائرية–الإسبانية في العهد العثماني بالعداء، الذي تعد الحملات العسكرية أحد مظاهره. ومن أهم هذه الحملات حملة شارل الخامس على مدينة الجزائر في سنة 948هـ/1541م، التي تصدى لها حسن آغا ابن خير الدين بمساعدة أهالي مدينة الجزائر،

---

(4)المجهول:المصدر السابق، ص 67.

(1) Farine :Op.cit,p169.

(2) Adrian Berbrugger :Op.cit,p93.

(3) ibid.

(4) Farine :Op.cit,p170.

(5)عبد الرحمن الجيلالي:المرجع السابق، ج3، ص55.

واستطاعوا أن يلحقوا بشارل الخامس هزيمة نكراء أدت به إلى رمي تاجه في البحر واعتزال الملك، وقضاء ما بقي له من حياته في الدير.

كما شنت فرنسا بدورها العديد من الحملات على مدينة الجزائر لمعاقبتها على نشاط القرصنة، وكان من أهمها الحملة على مدينة جيجل، التي شنتها في سنة 1075هـ/1664م، وانتهت هي الأخرى بهزيمة فرنسا وخسارتها لألف وأربعمائة رجل عاد بهم الانكشارية إلى مدينة الجزائر.

ثانيا–عملية بيع الأسرى في سوق البادستان:

يخصص السوق في العادة لالتقاء الباعة والمشترين على سلع مختلفة، والتي من بينها الأسرى المسيحيون.وقد كان في الجزائر في العهد العثماني سوق مخصص لهذه التجارة سمي سوق **البادستان**،أو**البابستان**، أو **البازستان**.والبادستان ساحة مربعة تحيط بها أربع أروقة مغطاة يجتمع فيها الدلالون، والزبائن، والأسرى [1].وتحيط بهذه الأروقة المشكلة للسوق مجموعة من الدكاكين بلغ عددها ستة وثلاثين دكانا.وكان لهذا السوق بابان؛ينفتح أحدهما على جهة الجنوب أين يقع سوق **الرصايصية**، وينفتح الآخر على جهة الغرب وهي الجهة التي يقع فيها سوق **البشماقجية**[2].

ويعود تاريخ إنشاء هذا السوق إلى ما قبل سنة 981هـ/1573م؛إذ أسسه الباشا **حسن فزيانو** على أنقاض فندق صغير،وارتبط تأسيسه بنشاط الغزو البحري؛فقد كان مخصصا لبيع كل ما يتم جلبه من طرف القراصنة بعد رجوعهم من الغزو البحري من غنائم وهي الأسرى والبضائع[3].

وكان موقع هذا السوق إلى يمين المقهى الكبير بالقرب من **باب عزون** بمدينة الجزائر.ولكن بعد أن ضعف نشاط الغزو البحري تغير نشاط هذا السوق، من سوق للنخاسة إلى سوق مخصص

---

(1) Pierre Dan :**Histoire de la Barbarie et de ses corsaires**,édition Pierre Rocolet,Paris1634, P377.

(2)نادية مباركي: **الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال القرنين 10هـ/16م–11هـ/17م من خلال مرافقها الحضارية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، بإشراف الأستاذ، الدكتور/عمار بن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2005–2006،ص ص191–192.

(3)عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر إبان العهد العثماني1700–1830م**، مقاربة اجتماعية واقتصادية، م. 4ص20 ،3و.ن.إ، الجزائر2007م.

لبيع الأقمشة، الملابس و أدوات الخياطة والتطريز، ففقد بذلك وظيفته الأولى.وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، حولته الإدارة الفرنسية إلى مقر لإدارة الحبوس، وأطلقت على الشارع، الذي يقع فيه اسم شارع **ماهون**[4].

وعندما يحصل الرايس على غنيمة بحرية مهما كانت قيمتها، يقطع رحلته البحرية و يقتاد غنيمته نحو الميناء، وقبل ذلك يعاين السفينة ويقدر قيمتها؛ فإذا كانت ذات قيمة كبيرة يأخذ ركابها و يكلف بعض بحارته بقيادتها نحو الميناء، أما إذا لم تكن لها اية قيمة ، فإنه يأخذ ركابها باعتبارهم أسرى، ويفكك أجزاءها، ويجردها من كل ما كان عليها،ثم يغرقها[1].

ويتوجه القائد بعد ذلك نحو الداي ويقدم له تقريرا مفصلا يتضمن كل ما جرى له، أو اعترضه في عرض البحر، وعدد الأشخاص الذين أسرهم، وعن كمية ونوعية البضائع والسلع، التي غنمها[2].

ويوزع الرايس،ومجهزو السفن بعد ذلك على البحارة ما قيمته عشرة ريالات عن كل أسير مكافأة لهم على عملهم[3].

ويتم اقتياد الأسرى بعد ذلك إلى منزل الداي، أين يوقفون صفا واحدا، و يأخذ الداي في معاينتهم وقتا طويلا حتى يتعرف على خصائصهم الحسنة،ومن بينها القوة.كما تعتبر الوظائف والألقاب مقياسا مهما يعتمد عليه الداي في اختياره؛ إذ أنه يختار القبطان، الضباط، الأطباء، النجارين، الحدادين، والجلفاطين[4].هذا إلى جانب الأشخاص، الذين ينحدرون من طبقات رفيعة ويبعثهم إلى سجون الباليك. ويبلغ عدد الأسرى الذين يختارهم الداي الثمانية، يبقيهم إلى جانبه ليخدموه[5].ويمكن أن يتجاوز العدد ثمانية أسرى إذا وجد بين هؤلاء العديد من الأشخاص

---

(4)عبد الله بن محمد الشويهد:**قانون أسواق مدينة الجزائر1107–1117هـ/1695–1705م**،تقديم،وتحقيق،وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي،بيروت1427هـ/2006م،ص ص39-40.

(1) Laugier de Tassy:**Histoire du Royaume d'Alger**, éditionLoysel,Paris1992,p162.

(2) ibid.

(3) ibid.

(4)من فعل جلفط، وجلفط السفينة أي ادخل بين مسامير الألواح و حزوزها خرقا من الكتان ومسحها بالزفت، والقار. انظر:مجموعة من المؤلفين: **المنجد الأبجدي**، ط2، بيروت 1968م،ص333.

(5) Laugier de Tassy :Op.Cit,p163.

(6) ibid.

المهمين.أما بقية الأسرى فيتركهم في حوزة مجهزي السفن، والرياس، الذين يبيعونهم في سوق البادستان لبيعهم[6].

وتسبق عملية البيع في الأسواق عملية المعاينة،التي تتم عادة في الصباح فتُفحَص أسنان الأسرى للتعرف على مدى قدرتهم على أكل البسكويت على متن السفن الحربية، بعدها تفحص أيديهم للتأكد من مدى نعومتها و نظافتها، فإذا كانت يدا الأسير ناعمتين فهذا يدل على أنه رجل غني، يعيش عيشة هنيئة و لا يمارس أشغالا شاقة، أما إذا كانت يداه خشنتين فيدل هذا على انتمائه إلى الطبقة العامة و ممارسته لأشغال مضنية.كما تفحص عضلاتهم، وتختبر قواهم الجسدية عن طريق جعلهم يجرون لمسافات ليست بالطويلة[1].

وآخر مراحل المعاينة هي طرح الأسئلة على الأسير لمعرفة اسمه ووظيفته، التي كان يمارسها قبل وقوعه في الأسر و البلاد، التي كان قاطنا بها. ولكن الكثير من الأسرى يكذبون بشأن بياناتهم بغرض التقليل من أهميتهم الاجتماعية، حتى إذا ما جاءت منظمات الافتداء لشراء حرياتهم لا يطالبها مالكوهم بمبالغ مالية باهظة[2].

وبعد الانتهاء من عملية المعاينة التي تتم طيلة الفترة الصباحية، فإن عملية البيع تجري بعد صلاة الظهر [3]، بحضور الرياس، وبعض الضباط الذين انتدبوا خصيصا ليعاينوا عملية البيع ويلاحظوا أثمان بيع الأسرى [4].وهنا يأتي دور الدلال أو السمسار، الذي يستعرض الأسرى، الواحد منهم بعد الآخر على المنصة، وهو يصرخ بقوة و بأعلى صوته عن مزايا الأسير أو مهنته، و الثمن الذي حُدِّدَ له [5]، كما يعطي الحاضرين فكرة عن الثمن، الذي من المحتمل أن يحصل عليه المالك بعد مجيء المنظمات الدينية، لافتداء الأسرى [6].وتتحكم في قيمة العبد عوامل كثيرة منها:سنه، مكان ميلاده، ثروته المزعومة، ووضعيته الاجتماعية في بلاده.

---

(1) Corine Chevalier : **Les trente premières années de l'état d'Alger1510-1541**, O.P.U, Alger1986, p53.

(2) ibid.

(3) جون.ب.وولف:**الجزائر و أوروبا1500–1830م**، تعريب وتعليق أبي القاسم سعد الله،م.و.ك،ا لجزائر1984م،ص210.

(4) P.Dan:Op.cit,p377.

(5) Laugier DeTassy:Op.cit,p164.

(6) جون وولف:المرجع السابق، ص210.

ويحضر العديد من الأشخاص للمساهمة في عملية البيع. وهكذا يستمر المزاد العلني حتى يصل الحاضرون إلى مرحلة لا يقترح فيها أحد ثمنا أعلى من الثمن الحالي المقترح، عند ذلك يقوم الكاتب المسئول عن عملية البيع بكتابة السعر، وهذه العملية أولية لأن لوجود عملية بيع أخرى تتم بحضور الداي في داخل قصر الحكومة أين يتم عرض الأسير، واقتراح الثمن النهائي بحضور جميع المشترين، الذين ينسحبون بعد أن يباع الأسير للمشتري، الذي يدفع أعلى ثمن [7].وفي هذا الإطار يحدثنا **ايمانويل دارندا (Emanuel d'Arenda)**[8]عن عملية البيع في سوق البادستان:«...لقد قام مجهزو السفن، الذين أسرونا بأخذنا إلى السوق أين يباع المسيحيون لكي يعرف ما إذا وجد من يعرفنا.ومن هنا أخذونا إلى منزل الباشا لكي يأخذ حصته من الأسرى المجلوبين حديثا، والمقدرة بواحد من كل ثمانية.كان الباشا جالسا في قاعة الاجتماعات، ورجلاه متشابكتان مع بعضهما على سرير طويل مغطى بغطاء أزرق.ويحمل في يده مروحة مصنوعة من الريش،أما ثيابه فكانت قفطانا طويلا من الحرير الأحمر ويضع فوق رأسه عمامة كبيرة.وكان رجلا طيبا ومحترما...وبعدما أنهى الباشا اختياره تم إرسالنا إلى بيت تركي محترم، والذي كان أحد مجهزي السفن، الذين أوقعونا في الأسر.وبعد دخولنا إلى بيته سألنا باللغة الإيطالية عما إذا كنا قد تناولنا شيئا في هذا اليوم ولكننا أجبناه أن لا. عند ذلك أمر أحد أسراه المسيحيين بأن يحضر لنا سلة فيها أرغفة من الخبز وبعض العنب. وكان هذا البيت مبنيا على الطراز الإيطالي.وكان علينا أن نمضي الليل في الإسطبل. و لم يكن بوسعنا الخروج من هذا المنزل إلا بعد أن نباع... وفي يوم الثاني عشر من سبتمبر بيع الأسرى المذكورون مسبقا، فساقونا إلى السوق المخصص لبيع المسيحيين لبيعنا. وكان الدلال شيخا قوي البنية ويحمل في يده عصا، أمسك ذراعي ثم قمنا بعدة دورات في السوق، والأشخاص الذين كانت لهم رغبة في شرائي سألوا عن موطني، وعن اسمي، وعن مهنتي. وقد أجبتهم كذبا بأنني مولود في **دونكيرك[1](Dunkerque)** عوض أن أقول أنني

---

(7) Laugier deTassy:op.cit,p164.

(8)هو أسير إسباني، ولمعلومات أكثر انظر الفصل الرابع من هذه المذكرة والمعنون بأشهر الأسرى في مدينة الجزائر.

(1)هي بلدة فرنسية تقع على الحدود الفرنسية–البلجيكية،كما أنها مطلة على بحر الشمال. ومن الأحداث، التي وقعت فيها المعركة الدامية،التي جرت في سنة 1940م وقد سمحت هذه المعركة بنقل ثلاثمائة وأربعين ألف جندي من قوات الحلفاء إلى إنجلترا.أنظر Claude Dubois,et autres :**le petit Larousse illustre**, Paris 2007,p1330.

(2)وتسمى كذلك المنطقة الفلمنكية.هي منطقة تقع في بلجيكا يتكلم أهلها اللغة الهولندية،وتنقسم إلى خمس محافظات: **لينبورغ**

أنحدر من **فلندر**[2]،ومهنتي جندي.فلمس يدي ليعرف ما إذا كانتا خشنتين من جراء القيام بأعمال شاقة، وفوق ذلك جعلني افتح فمي لكي يرى أسناني حتى يتعرف على مدى قدرتها على مضغ البسكويت على متن الغاليرات.بعد ذلك أمرنا بالجلوس وأخذ الشيخ أول فرد من مجموعتنا من ذراعه ومشى معه ثلاث أو أربع مرات حول السوق وهو يصرخ من يدفع أكثر؟بيع الأول منا واخذ إلى الطرف الآخر من السوق، وأعيدت الكرة مع أسير آخر من المجموعة.وبعد ذلك جاء دوري وجعلني الشيخ أمشي مثلما فعل مع البقية وهو يصرخ:من يدفع أكثر؟ من يدفع أكثر؟وكنت أسمع العديد من الناس يعرضون المبالغ المالية دون سماع بقية ما كانوا يقولون.فتوجهت بالسؤال لأسير مسن عن الأثمان، التي كانوا يدفعونها فأجابني:دفع هذا مائة وتسعين ريالا، ودفع الآخر مائتين.واستقر السعر في الأخير على مائتين...وكان الرجل،الذي اشتراني علجا يدعى **شعبان**.ولكن بما أن للباشا الحق في الضريبة، امتثلنا أمامه مرة أخرى يحمل كل منا علامة على قبعته تمثل سعر شرائه...وبعد ذلك أخذنا إلى إسطبل قصره أين وجدنا مائتين وخمسين أسيرا يعملون على متن غاليرته.وقضينا في داخل هذا الإسطبل واحدا وعشرين يوما وكنا نتلقى في كل يوم رغيفين من الخبز ...»[1].وتخضع أسعار الأسرى لمقياس واحد وهو وضعهم الاجتماعي في داخل بلدانهم قبل وقوعهم في الأسر .وقد قُدِّرَت أسعار بيع الأسرى في النصف الثاني من القرن السابع عشر كالآتي:

السنوات	1656م	1663-1664م	1665-1666م	1696-1697م	1699-1700م
سعر الأسير	ما بين 65إلى 397قرش إشبيلي	ما بين 38إلى 172قرش إشبيلي	ما بين 100 إلى 255 قرش إشبيلي	ما بين 102 الى324 قرش إشبيلي	ما بين 110 إلى 496 قرش إشبيلي

برابنت الفلمنكية**(Brabant)**،انفيرس**(Anvers)** ، فلندر الشرقية، وفلندر الغربية.انظر:
Claude Dubois,et autres :Op.cit,p1640.

(1) Emmanuel d'Aranda :**Relation de la captivité du sieur Emanuel d'Aranda jadis esclave à Alger**, pp156-157.

جدول يمثل أسعار بيع الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر(1656-1700م)[2].

ويتم تقسيم النقود الناتجة عن بيع الأسرى كالآتي: الثمن الناتج عن عملية البيع الأولى في سوق الباديستان يعود إلى مجهزي السفن، و أفراد الطاقم، أما الثمن المتأتي من عملية البيع الثانية فهو من حق البايليك، وهذا الثمن مرتفع عن الثمن الناتج عن عملية البيع الأولى لكون المشترين يعلمون بأنهم لا يحصلون على الأسير إلا في عملية البيع الثانية، لذا فإنهم لا يبذلون جهودا كبيرة في المحاولة الأولى.وتدفع النقود العائدة من هذه البيوع نقدا و في الحال [3].وتفرض الحكومة ضريبة على البائع،والمشتري؛ إذ يدفعان على حد سواء زيانيا[4] واحدا[5].

المبحث الثاني:

أماكن إقامة الأسرى في مدينة الجزائر،وأوضاعهم فيها:

لقد اختلفت أماكن إقامة الأسرى في مدينة الجزائر، وبالتالي اختلفت أوضاعهم، وظروفهم فيها، وسنتعرف ذلك من خلال:

أولا–أماكن إقامة الأسرى الأوروبيين.

ثانيا–الوضع الديني للأسرى الأوروبيين.

ثالثا–المهن، التي كُلّف الأسرى الأوروبيون بانجازها.

---

(2)منور مروش: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني،العملة، الأسعار،والمداخيل** ،2 أجزاء،دار القصبة للنشر، الجزائر 2009م، ج 1،ص300.

(3) Laugier deTassy:op.cit,p164.

(4)هو عملة سكت في العهد الزياني في تلمسان،وكان وزنها يتراوح مابين4,58الى4,66غراما.ويرجع هذا الاختلاف إلى عدة عوامل منها:النحت،والتآكل،والتزييف.انظر مروش: العملة، الأسعار، والمداخيل، المرجع السابق،ج1،ص34.

(5)ابن الشويهد:المصدر السابق،ص41.

(1) Corine Chevalier:Op.Cit,p56.

(2)نادية مباركي:المرجع السابق،ص215.

(3) Diego de Haedo :Topographie … ,Op.cit,p 55 .

أولا–سجون البايليك:

لقد خصصت الحكومة الجزائرية في العهد العثماني أماكن لإقامة الأسرى المسيحيين وهي السجون، التي أطلق عليها لفظ **بانيو(bagne)** و هو الحمام، وهذه الكلمة اشتقت من الأصل الإسباني**(bano)**، ذلك أن الحكومة الجزائرية كانت تودع الأسرى في الحمامات أثناء الليل. غير أن الارتفاع المتزايد لأعداد الأسرى المسيحيين أدى بالحكومة إلى تخصيص مبان لذلك الغرض، مع احتفاظها بهذا الاسم[1].

ويعود تاريخ تأسيس هذه السجون إلى القرن السادس عشر،فكان عددها في البداية سجنين فقط أولهما هو **السجن الكبير**،الذي كان موقعه في شارع السوق الكبير على بعد أربعمائة خطوة انطلاقا من **باب عزون** باتجاه الشرق [2]،وكان يسمى أيضا سجن الملك لأن خير الدين هو من أسسه. ويبلغ طوله خمسة وثلاثين مترا، وعرضه عشرون مترا.ونظرا لكبر مساحة هذا السجن فإنه ضم أعدادا كبيرة من الأسرى ؛فأثناء حكم الباشا حسن فتزيانو، ضم هذا السجن مابين خمسمائةٍ، وألفي أسير[3].

أما السجن الثاني فيسمى سجن **الباستارد**، و على الرغم من كونه ليس كبيرا على غرار سابقه إلا انه انقسم بدوره إلى عدة غرف،وكان مخصصا لإقامة الأسرى المكلفين بإنجاز الأشغال العامة،والذين تطلق عليهم تسمية **أسرى المخزن**،لكونهم تابعين للدولة[1] .

كما يضم هذا السجن كذلك كنيسة يحي فيها المسيحيون القداس في أيام الآحاد، وبقية المناسبات الدينية الأخرى. ويعيش في هذا السجن كذلك العديد من رجال الدين المسيحيين.أما العدد الإجمالي للأسرى المسجونين فيه فيتراوح مابين الأربعمائة والخمسمائة أسير، وهو عدد قليل إذا ما قورن بالسجن الكبير.أما فيما يخص قاطنيه، فينعمون بحرية كبيرة تمكنهم من الذهاب، والإياب كما يحلو لهم نظرا لكون الآغا والإنكشارية لا يزورونه مطلقا على عكس الأسرى في السجن الكبير، المحبوسين على الدوام،والذين يغلق عليهم بإحكام،مع وجود حراس عند كل باب،وجنود يشكلون فرقا ويتناوبون الحراسة ليل نهار[2] .

---

(1) ibid.

(2) ibid.

وقد أخذ هذا السجن تسميته هذه،أي **الباستارد** من واقعة حدثت على عهد **حسن باشا ابن خير الدين**، فبعد هزيمته **للكونت دالكودايت** في معركة مستغانم، التي جرت في شهر أوت من سنة 966هـ/1558م،فانه تمكن من أسر اثني عشر ألف (12000) إسباني، والذين قام بتوظيفهم فيما بعد.وقد حاول هؤلاء الهروب بهذه السفينة (أي الباستارد) ولكنهم وقعوا في قبضة حسن باشا، الذي اختار منهم الأشد قوة،و الأكثر ثباتا حتى يستخدمهم كمجذفين على متن سفنه[3] .

وحتى يضمن عدم اختلاط هؤلاء المساجين الجدد مع أولئك المتواجدين حاليا بداخل السجن الكبير فإنه أمر بوضعهم في داخل مؤسسة جديدة استقبلت كل مجذفي هذه الغاليرة المسماة **باستارد**، فأخذ السجن بذلك التسمية التي أعطيت لهذا النوع من السفن[4] .

بعد ذلك أضيف إلى السجنين المذكورين أعلاه سجنان آخران وهما: سجن **سيدي حمودي** ويعود السبب في تسميته بهذا الاسم إلى أن الولي الصالح سيدي حمودي عندما توفي دفن إلى جوار هذا السجن بعد وفاته [1].وهو أصغر من السجنين السابقين، وظروف الإقامة فيه أفضل كذلك. أما شكله فغير منتظم؛ حيث أنه يتكون من ثلاثة أو أربعة منازل قديمة تربط بينها ممرات[2].

ويدعى السجن الآخر سجن الغاليرات ،وذلك لأن غاليرتين نابوليتانيتين وقعتا في الأسر، واقتيدتا إلى مدينة الجزائر .وكان على متنها بعض المجدفين الجزائريين ،الذين حصلوا على حريتهم، بينما افتدت حكومة نابولي بعض الضباط النابوليتانيين ،واشترى آباء الافتداء الضباط الباقين[3].

ونذكر كذلك سجن **علي بتشين**، الذي كان يضم خمسمائة وخمسين أسيرا خاصة بعد توسيعه، سجن **شلبي** (رئيس الغاليرات) ،وسجن **سانت كاثرين** ،وسجن **الديوان**، والسجن الواقع

---

(3) ibid :p56.

(4) Jean Michel Venture de Paradis :**Alger au XVIII siècle(1788-1789)**,présentation et notes de Rebahi Abderrahmane, édition Grand Alger Livres, Alger 2006, p80.

(1) Venture de Paradis : Op.cit, p80.

(2) بومدين دباب:**الأسرى والسجون في مدينة الجزائر العثمانية 1519–1830م**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،باشراف الدكتور/حنيفي هلايلي،قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس 2007–2008م،ص122.

(3) Henri Klein :**Feuillets d'El-Djazair**,2T, édition du tell, Alger 2003,T2, p157.

في المكان المسمى **"تبرنة البابليك"** أي حانة البابليك وهو سجن **الأسود**، وسمي بذلك لاحتفاظ الداي في قسم منه، بالأسود التي كان يبعثها كهدايا لبعض ملوك أوروبا[4].

ويمكن لبعض لأسرى الخواص، الذين لا يملكون أماكن للإقامة أن يبيتوا ليلا في هذه السجون مقابل مبلغ معين من المال[5].

والحمامات، التي خصصت للأسرى المسيحيين لم تكن تمت بأية صلة للحفر بحسب الوصف الذي،قدمته الخرافات الأوروبية في حديثها عن المعاملة السيئة، التي كان يعاني منها هؤلاء[6].ولكنها كانت شبيهة بكل المنازل الجزائرية وقتها [7].بباب ضيق، وممر طويل [8]. مع وجود طابقين أرضي وأول:ففي الطابق الأرضي تتوزع غرف الأسرى مع الحانة، التي يمضون فيها أوقات فراغهم[9].

أما الطابق الثاني فينقسم بدوره إلى عدة غرف يقيم بها الأسرى، إضافة إلى الكنيسة المخصصة لأداء القداس في أيام الآحاد والأعياد الدينية. وكل من الطابقين له شرفات تطل على الفناء الداخلي .ويوجد الفناء، الذي يقع في منتصفه خزان للمياه.إضافة إلى غرفة صغيرة تقع بالقرب من الباب الرئيسي للسجن توضع فيها السلاسل، وبجوارها أيضا يوجد المطعم، أين يتناول السجناء وجباتهم.أما الغرف فكانت مستطيلة، ومزودة بنوافذ كانت قد أغلقت في البداية، ولكن نظرا لحاجة الغرف إلى التهوية، والضوء أعيد فتحها ووضعت عليها قضبان حديدية. ولكن هذه الأخيرة كانت تتسبب في دخول التيارات الهوائية القوية، والأمطار في فصل الشتاء[1].

---

(4) ibid.

(5) Emmanuel d'Aranda : Op.cit,p160.

(6)جون وولف:المرجع السابق،ص231.

(7) Corine Chevalier:Op.Cit,p56.

(8) Emmanuel d'Aranda : Op.cit,p160.

(9)جون وولف:المرجع السابق،ص231.

(1) Henri Klein : Op.cit,t2,p157.

وتسع كل غرفة من غرف السجن عددا من الأسرى يتراوح عادة بين العشرة، والعشرين أسيرا[1].أما عن الأثاث، الذي من المحتمل أن يوجد في الغرف فكان عبارة عن أسِرَّةٍ من صنع الأسرى أنفسهم، والتي يضعون عليها جلود الخراف، أو حصائر من الحلفاء[2].

ويحرس السجون عادة حارس عينته الحكومة وقتها هو **الورديان باشي**[3]،ومهمته السهر على تطبيق النظام داخل السجون لتفادي حدوث أية مشاكل بين الأسرى، وتوزيع وجبات الطعام عليهم، والإشراف على خروجهم إلى أعمالهم في الصباح،والتأكد من أنهم قد رجعوا قبل الوقت المخصص لذلك وهو غروب الشمس[4].

أما في المساء،وبعد إغلاق الأبواب على الأسرى، يقوم الورديان باشي بكتابة المجلة اليومية، التي يرسلها إلى الداي، بعد أن يكون قد ضمنها ما حدث خلال اليوم كله، كما يرسل إليه التقرير المتعلق بالأوضاع العامة داخل السجن. ويتمتع الكاتب بصلاحيات أخرى منها إصدار الأحكام على المساجين، وبالتالي إنزال العقاب المناسب بكل واحد منهم[6].

ويكون الورديان باشي في العادة، واحدا من الأعلاج[7]وله مكانة، وسلطة كبيرتان في داخل الحكومة[1].ويساعده في أداء مهامه عدد من الضباط، والخدم داخل السجن. بينما يقف ضباط آخرون خارج السجن لإحباط أية محاولة للهروب من شأن الأسرى أن يقوموا بها[2].

ويقوم الأسرى في داخل السجون بالعديد من النشاطات طلبا للترفيه، والتخلص من الملل [3] الذي قد يعتريهم كأن يقصوا على بعضهم البعض الحكايات، التي اختلقوها عن العالم الموجود

---

(1)جون وولف:المرجع السابق،ص231.

(2) Corine Chevalier :Op.cit,p58.

(4)هو مصطلح أطْلِقَ في الدولة العثمانية للدلالة على قائد الكتيبة البحرية،ويساعده في مهامه مجموعة من بينهم:اوضة باشي، واشجي باشي.انظر:حسان حلاق،وعباس الصباغ: **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية،والمملوكية،والعثمانية ذات الأصول العربية،والفارسية،والتركية**،ط1،دار العلم للملايين،بيروت1999م،ص158.

(4) Corine Chevalier :Op.cit,p58.

(6) Laugier De Tassy:Op.Cit, p 144.

(7) Corine Chevalier:Op.Cit, p 58.

(1) Laugier De Tassy :Op.Cit, p 144.

(2) ibid.

(3)جيمس ويلسون ستيفنس:**الأسرى الأمريكان في الجزائر1795–1796م**،تر علي تابليت، الجزائر2007م،ص259.

خارج محيطهم الحالي(الجزائر)؛ فالعديد من هؤلاء الأسرى كانوا بحارة زاروا أغلب جهات العالمين القديم والجديد. كما يتناقلون الأخبار و الحكايات عن الأماكن الغريبة، والعادات الفريدة لبعض سكانها بواسطة لغة واحدة هي لغة **الفرانكة**[4]، التي كانت اللغة الثالثة من حيث الاستعمال في الجزائر في العهد العثماني، وكانت متداولة بين المسيحيين، الذين كانوا متواجدين في الجزائر في هذا العهد على اختلاف أممهم.وكانت خليطا بين اللغتين الايطالية، والاسبانية، والعربية [5]،ثم تسربت إليها بعد ذلك مفردات من اللغة البرتغالية، بعد إحضار الكثير من الأسرى البرتغاليين إلى مدينة الجزائر من تطوان، وفاس بعد معركة وادي المخازن.وبذلك كان مجتمع السجن مجتمعا عالميا مختلطا من أمم عديدة جمعها القدر بداخله[6].

وقد تحدث داراندا عن هذه الأجواء،التي كانت تحدث في داخل السجن،وخاصة تلك الحكايات،التي كان الأسرى يقصونها على بعضهم:«كنت أجد متعة كبيرة عندما استمع إلى ما كان يحدث في أوساط أسرى السجن؛ وعلى الرغم من أنني كنت أقيم في منزل سيدي محمد شلبي كنت أذهب إلى السجن لأتسلى،وأُرَوِّحَ عن نفسي بالتحدث إلى الطالب فرانسوا،الذي كان يجتمع حوله أسرى من دونكيرك،كانوا يقصون مغامراتهم، والمواجهات البحرية، التي كانوا يقومون بها في عرض البحر.وكان الهولنديون يتحدثون عما جرى لهم في الهند الشرقية،اليابان،والصين.أما الأسرى الدانمركيون،والألمان فكانوا يتحدثون عن صيدهم للحيتان في غرينلند، وفي أي من أيام السنة كانت تسطع الشمس في أيسلندا.وإذا لم تعجبني هذه الأحاديث فاذهب إلى الإسبان، الذين يتحدثون عن مستعمراتهم والطريقة،التي يتبعها حكامها في تسييرها،ومن ذلك ملذات المكسيك،أو ثروات البيرو.أما الأسرى الفرنسيون فكان حديثهم يدور عن الأرض الجديدة،كندا،وفرجينيا...[1]».

وتوجد أساليب أخرى للترفيه، والتسلية مثل: الرقص، والغناء، وشرب الخمر في داخل الحانات و هو ما من شأنه أن ينسيهم عناء اليوم كله. وقد يبالغ الأسرى في مرحهم. هذا فيحدثون الفوضى في داخل السجن، ويقلقون راحة زملائهم، الذين يريدون النوم في هدوء،

---

(4) Diego Haedo :Topographie…,Op.cit,p112.

(5) Pierre Dan :Op.cit,p92.

(6)جون وولف:المرجع السابق، ص ص 233-233.

(1) جون وولف:المرجع السابق، ص ص 233-233.

فيشتكون إلى حارس السجن، الذي يأمر المشاغبين بالتوقف الفوري عن هذه الأعمال، والخلود إلى النوم.وقد يضطر أحيانا إلى تقييدهم بالسلاسل عقابا لهم[2].

وقد يتعدى الأمر في أكثر الأحيان مجرد التسلية، و اللهو إلى إثارة المشاكل، والدخول في اشتباكات عنيفة مسلحة يفتعلها المساجين، حتى وإن لم يكونوا ثملين حتى يفتعلوا المشاكل، فيستعملون الخناجر و السكاكين الطويلة، و أغلب المثيرين للمشاكل هم من الإسبان[3].

وتتحول السجون كذلك إلى سوق بعد إغلاق أبوابها في الليل، فالأسرى يعرضون السلع، التي تحصلوا عليها في النهار بواسطة طرق متنوعة قد تكون المبادلة مع أسرى آخرين، يقيمون في سجون أخرى أو مع بعض الأهالي أو اليهود أو حتى العثمانيين، ولكن السرقة كانت أبرز هذه الطرق؛ فبسبب التقصير، الذي قد يحصل من طرف بعض مالكي الأسرى، الذين لا يوفرون لهم كل ما يحتاجونه من غذاء، وغيره من الضروريات، يضطر هؤلاء للجوء إلى النهب و السطو على الدكاكين، أو سرقة حافظات النقود، أو التسلل إلى البيوت.كما يقومون بمبادلة القطع النقدية[4].

أما النساء الأسيرات، فكان عددهن قليلا إذا ما قورن بعدد الرجال. وقد عرف عن العثمانيين احترامهم للأسيرات الأوروبيات بالرغم من كونهن مسيحيات، فلم يكونوا يجبرونهن على اعتناق الإسلام، الذي كان إقبالهن عليه كبيرا وبملء إرادتهن، وذلك راجع لهذه المعاملة الحسنة، التي كن يتلقينها[5].وفي هذا الإطار يقدر الأب دان عدد النساء المسيحيات اللواتي اعتنقن الإسلام في سنة

1040هـ/1630م بألف أو ألف ومائتي امرأة من بين تسعة آلاف علج[1].

كما كان سكان مدينة الجزائر يشترون الأسيرات لتوظيفهن لخدمة المنازل؛ فهن مطلوبات بشدة لكونهن يجدن الأعمال المترلية[2].

---

(2)نفسه.

(3)نفسه.

(4) نفسه.

(5)نفسه:ص228.

(1) Pierre Dan : Op.cit, p422.

(2) Mouloud Gaid : **l'Algérie sous les turcs**,éditionSNED , Alger,1985,p107.

وقد تزوجت الكثيرات بمالكيهن بعد اعتناقهن للإسلام.كما أن التركي إذا تزوج الأسيرة المسلمة يصبح أولاده أتراكا[3].وكمثال على ذلك زواج الشابة ماريا غايتانو بخير الدين بربروس[4] .

ب–بيوت المالكين الخواص:

وبعد الحديث عن أسرى البايليك، لا بد من الحديث عن أسرى الخواص الذين، يكونون من نصيب الداي و الآغاوات و كبار الرياس، وغيرهم من الرجال المهمين في الدولة،وحتى عامة الناس كانوا يشترون الأسرى للاستعانة بهم على القيام بالأشغال المختلفة.

وقد كُلّف الأسرى في بيوت مالكيهم بالقيام الأشغال العامة، [5] وفي ذلك يتحدث **سيمون بفايفر**، عن الأعمال، التي كان مكلفا بها مع رفاقه من الأسرى قبل أن يرتقي ويصبح طبيبا للداي:«...وكانت وظيفتنا تتمثل في تنظيف القصر و غسله بالماء، و إشعال النار في المطبخ،وذبح الغنم و الدجاج، و تنظيف البقول، والخضر، وغسل الصحون، وجميع الأدوات المترلية، وكذلك القيام بالأعمال المترلية كلها بصورة عامة. و لم تكن أعمالنا تستغرق اليوم كله، فقد كانت هناك أوقات فراغ، أو بالأحرى ساعات هادئة نقضيها في النوم...»[6].

ويُطلَقُ على الأسرى العاملين في المطابخ اسم **النوباتجي**،ويشرف عليهم الطاهيان الكبيران اللذان لا يغادران مترل الداي، و هما عثمانيان.ولا يصل إلى هذا المنصب إلا من كان محلا للثقة، ويستطيع بعد سنوات قليلة الحصول على ثروة طائلة من العوائد التي يقدمها له البايات، القادة،وحتى القناصل يقدمون لهم الهدايا من أغطية،وساعات ذهبية بمناسبة تنصيبهم[1].

ويحدثنا الأمريكي **كاثكارت** الذي كان أسيرا في الجزائر بين عامي 1200-1212هـ/1785-1796م عن الهدايا،التي يحصل عليها العبيد في المناسبات المذكورة سابقا:«...إن التقليد المتبع في الايالة،هو انه حينما يحظى الباي أو الخليفة أو القائد أو الشيخ أو سفير دولة أجنبية أو قنصل

---

(3) Rouland Courtina : Op.cit,p49.

(4)

(5) H .D de Grammont : **Histoire d'Alger sous la domination turque1515-1830,** édition Ernest Le Roux, Paris1887, p125.

(6)سيمون بفايفر: المرجع السابق،ص 18.

(1) Venture de Paradis :Op,cit, p115.

بمقابلة الداي،وتقدم إليه القهوة التقليدية،يترك على صحن فنجان القهوة قطعة من النقود الذهبية،تكون في مستوى مرتبة الزائر،الذي نال شرف شرب القهوة عند الداي.وهذه المبالغ يجمعها القهوجي،ويضعها في صندوق مغلق محفوظ في منزل الداي الخاص.ويقوم سعادة الداي بإضافة مبلغ من ماله الخاص إلى محتوى الصندوق،ثم يوزع على الأسرى مرتين في السنة...[2]».

كما يشتغل في منزل الداي أربعون أسيرا أوروبيا، سواء في الطابق السفلي، أو العلوي ،و يكلف منهما اثنان بالقيام بالكنس فيشتغل أحدهما في الطابق السفلي و الآخر في الطابق العلوي. و يصرخ أحدهما كل صباح في الرواق مرتين: «**صباح الخير أفندي**»[3].

ويقوم الأسرى بأشغال أخرى في منازل أسيادهم، غير الطبخ، مثل العمل في حدائق التابعة لمنازلهم، وبساتينهم الواقعة خارج مدينة الجزائر [4].والأسرى العاملون في منزل الداي أو الشخصيات المؤثرة في الحكومة مثل أغنياء الرياس و التجار البرجوازيين و ملاك السفن و كبار المسئولين يحيون حياة رفاهية[5]؛إذ يرتدون أفخر الثياب، ويتناولون أحسن الأطعمة[6].

ويستطيع هؤلاء الأسرى جمع ثروات طائلة خلال فترة وجيزة تمكنهم من الحصول على حرياتهم بعد سنوات من الخدمة. ولكن الغالبية العظمى منهم تفتقر إلى حسن التصرف؛إذ ينفقون أموالهم في المشاركة في بعض الألعاب لتمضية أوقات فراغهم، وشراء الأطعمة الفاخرة، اللهو، والعبث[1]، إضافة إلى شراء الثياب الجميلة و تطريزها، فيكلف ذلك مبالغ مالية تقدر عادة ما بين أربعين، وخمسين سكينا، و تزويدها بأحزمة تتراوح أسعارها بين عشرة إلى اثني عشرة سكينا[2].

---

(2)جيمس لندر كاثكارت :**مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب** ،ترجمة وتعليق وتقديم إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر1982م،ص51.

(3) Venture de Paradis: Op.cit,p156.

(4) جون وولف: المرجع السابق، ص ص229-230.

(5)نفسه.

(6) Venture de Paradis: Op.cit,p156.

(1) Venture De Paradis: Op.cit,p156.

(2) ibid.

وقد كان **علي بتشين** أحد مالكي الأسرى؛إذ بلغ عدد الأسرى ،الذين كانوا في سجنه حوالي الخمسة أو الستمائة يشغل منهم حوالي ثلاثمائة على متن سفنه ، وفي بقية ممتلكاته.كما يخرج دائما محاطا بحوالي خمسين غلاما بعد أن يلبسهم أحسن الثياب المخملية،والحريرية[3].

وكان بعض من هؤلاء الأسرى صديقا حميما لمالكه، و محل ثقة لديه؛ فالأسرى العاملون في ثكنات الانكشارية، يقومون بكنس الغرف، وإنارة المصابيح، وغيرها من الأشغال، وكان الجنود الانكشارية يعاملون أسراهم هؤلاء معاملة الأصدقاء،بل يعاملونهم كأنهم إخوة لهم [4].

أما الأسرى العاملون في منازل الانكشارية، فيتوجب عليهم بذلك والاهتمام بمنازلهم، وإعداد الطعام لهم. وكانوا في مقابل ذلك يرتدون نفس الثياب، التي يرتديها مالكوهم كما يشاركونهم الطعام في أطباقهم.ولشدة ما كانوا مقربين من أسيادهم فإن أحد هؤلاء الأسرى صعب عليه معرفة ما إذا كان هو أسيرا لدى سيده، أو أن سيده أسير لديه. و هذا ما يوضح لنا مدى الكرم الذي كان الإنكشارية يبدونه تجاه أسراهم، الذين أصبحوا أفرادا من العائلة[5].

ويتضح لنا ذلك من خلا ما رواه دارندا عن سيده،الذي كان أحد الجنود الانكشارية:«لقد كنت أقضي مع سيدي وقتا طيبا على الرغم من كونه جنديا انكشاريا فقيرا،وكنت آكل معه من نفس الطبق،وأنا جالس متربع على الطريقة التركية بجانبه»،ثم يحدثنا دارندا عن مواساة سيده له في كثير من الأحيان:«ايمانويل لا يجب أن تكون مكتئبا،وتخيل في قرارة نفسك بأنك سيدي، وأنا عبدك[6].

ولما كان دارندا يستعد للرحيل، والإقامة عند مالك آخر كان قد اشتراه وهو محمد شلبي، قال له مالكه السابق:«من اليوم فصاعدا ستذهب للإقامة عند محمد شلبي، وأنا أرجو بعون الله تعالى أن تنال حريتك قبل عودتي، ولو كان لدي المال لاقتسمناه سويا.فأجابه دارندا ممتنا:سيدي أنا أعلم طيبتك، وفقرك، وأنا أقبل يديك شاكرا إياك بقدر ما هو ممكن عن المعاملة الحسنة، التي

---

(3) ibid:p 158.

(4) Stephan Gsell,et autres :**Histoire d'Algérie**, éditons Ancienne Librairie Furne Boivin et C^{ie},Paris 1929,p183.

(5) Joao Mascarenhas :**Esclave à Alger,récit de captivité de 1621 a1626**,traduction et notes de Paul Teyssier,2édition Chandeigne,Paris1999,p70.

(6) Emmanuel d'Aranda : Op.cit,p160.

تلقيتها في بيتك» [1].كما أنه أوصى داراندا إذا عاد إلى بلاده أن يبلغ سلامه إلى جميع وأهله، وأقاربه[2].

وبذلك تتضح لنا المعاملة الحسنة،التي كان يحظى بها هؤلاء الأسرى عند أسيادهم، فسيرفانتس تكلم عن علج علي و هو سيده، فقال عنه: «...كان هذا الحاكم أحد مسيحيي كلابريا، و كان رجلا خيرا يعامل أسراه بكثير من الإنسانية، و لذلك استطاع أن يملك ثلاثمائة أسير»[3].

وقد سمح لهؤلاء الأسرى بالعيش كما يريدون بشرط أن يعودوا إلى منازل مالكيهم قبل الوقت المحدد وهو غروب الشمس، ويستطيعون مع ذلك التجوال في الشوارع ليلا،مع وجوب حمل المصابيح، التي إذا لم يحملوها أصبحوا عرضة للقبض عليهم من طرف حراس المدينة، الذين يعاقبونهم بأن يضربوهم على أرجلهم (الفلقة)[4].

وكثيرا ما كان المالكون يسمحون لأسراهم بالخروج ليلا فيجتمعون ويقومون بتحطيم أبواب الدكاكين و المتاجر،وبعد ساعات قليلة يكونون قد أفرغوا كل ما بداخلها.وأكثر ما يسهل عليهم عملية السرقة هو عدم مبيت التجار داخل محلاتهم. وبذلك لا يخشون إلا حراس الليل،الذين يجوبون شوارع المدينة.وبعد مرور هذه الدوريات يكون لهم كل الوقت لتنفيذ عمليات السرقة.و لكن إذا حدث والقي عليهم القبض فلا يكون جزاءهم إلا ضربات العصي،التي تنهال عليهم[5].

وكانت القوانين على ملاك الأسرى عدم ضربهم و معاملتهم بوحشية، لأن ذلك قد يسبب مرض الأسير أو موته، و هذا يفرض على مالكه أن يدفع مبلغا من المال جراء ذلك[6].

1-محاولات هروب الأسرى، إحدى وسائل الحصول على الحرية:

---

(1) ibid :p161.

(2) ibid.

(3) Moulay Belhamissi : **les relations entre l'Algérie et l'église catholique al'époque ottomane**, in Majallat Ettarikh, Alger 1980 p 63.

(4) Corine Chevalier : Op.cit,p60.

(5) Laurent d'Arvieux : **Mémoire du chevalier d'Arvieux,** 6T, édition Charles Jean-Baptiste Delespine, Paris1835, T5, p225.

(6) Laugier De Tassy : Op.cit, p167.

لقد كان الهروب بالنسبة للأسرى وسيلة مهمة للوصول إلى الحرية، إلا أنها طريقة خطيرة وصعبة للغاية.ويستغل الأسرى حريتهم النسبية، التي يتمتعون بها. وقد تعددت طرق الهروب، التي ينفذها الأسرى، ومنها:

أ–الهروب نحو بجاية،أو وهران:

وقد تمكن بعض الأسرى الأسبان من الوصول إلى بجاية عبر الطرق البرية ولكن ذلك ينطوي على خطورة عظيمة؛ فالأسرى عرضة للهجوم من طرف الحيوانات المفترسة، وقد يواجههم خطر آخر وهو انعدام الزاد [1].كما يمكن أن يعترض طريقهم بعض الأشخاص، الذين يعيدونهم من حيث أتوا[2].

كما يحاول بعضهم الهروب إلى وهران؛ حيث يخرجون إليها ليلا بعد أن يأخذوا معهم مئونة تقدر بخمسة كيلوغرامات من البسكويت، والحلوى،إضافة إلى أعشاب الحقول،وثلاثة أزواج من الأحذية متبعين في ذلك طريق الساحل لجهلهم بالطرق البرية[3].

ب–الهروب عن طريق البحر:

ويتفق الأسرى في هذا الإطار مع أصحاب القوارب الصغيرة، الذين يجيئون في الصباح، وقد ارتدوا اللباس المحلي من عمامة وغيرها حتى لا يكتشف أمرهم،ثم ينزلون إلى البر، ويأخذون في البحث في سرية في سرية تامة عن هؤلاء الأسرى، ويحددون لهم موعد الهروب، وهو الليل،لان الأسرى يتمكنون أثناءها من الذهاب، والإياب خارج المدينة [4].وقد كانت هذه الطريقة أيضا على درجة كبيرة من الخطورة، لانتشار الحراس على السواحل[5].

ج– الاستعانة بالأعلاج:

وينتهز بعض الأعلاج الفرصة للرجوع إلى الوطن. غير أن السكان لم يكونوا يسمحون للأعلاج

---

(1) Corine Chevalier :Op,cit,p59.
(2) De Grammont :Op,cit,p222.
(3) Chevalier :Op.cit,p60.
(4) Pierre Dan :Op.cit,p418.
(5) De Grammont :Op.cit,p223.

بامتلاك القوارب، غير أنهم يستطيعون شراء السفن الكبيرة لاستعمالها في نشاط الجهاد البحري. ويعود السبب في ذلك إلى خوف السكان من استغلال العلج للقارب في الرجوع إلى بلده، أو أي بلد مسيحي آخر، وخاصة إذا كان هذا العلج إسبانيا[1].

د–السباحة نحو السفن الراسية في الميناء:

أما في أواخر القرن السابع عشر فان طريقة الهروب المتبعة من طرف الأسرى كانت السباحة نحو سفينة حربية راسية في الميناء. ولكن ذلك صعب التحقيق بالنسبة لسفينة تجارية، لأن الجزائريين وقتها كانوا يأمرون طاقم السفينة بإنزال المرساة، لضمان عدم مغادرة السفينة بدون رخصة. أما السفن الحربية فلم تكن تتعرض لهذا الإجراء، وإنما كان مفروضا عليها الإرساء بعيدا عن الميناء، وبذلك لن يتمكن أقوى السباحين من الوصول إليها[2].

وإذا عجز حراس الشواطئ عن الإمساك بالأسرى الهاربين، يتوجهون عند ذلك إلى الداي مطالبين إياه بالتدخل.و لم تكن شكاوى هؤلاء تؤخذ بعين الاعتبار لأن أفراد طاقم السفينة كانوا يفضلون عدم إعادة هؤلاء الهاربين، عند ذلك تقع المسؤولية على عاتق القنصل الفرنسي[3].

كما كانت مؤسسة الباسيتون تتحمل مسؤولية هروب الأسرى في كثير من الأحيان، مثلما حدث في سنة 993هـ/1585م عندما هرب على متن فرقاطة، ثمانية أسرى أوروبيين كان حسن باشا ابن خير الدين قد جلبهم إلى مدينة الجزائر، ثم اختبئوا في داخل إحدى الغابات،فالقي القبض على مدير مؤسسة **الباستيون** ،الذي خير بين إرجاع الأسرى الهاربين أو السجن، ولكن المدير دفع ألف قرش حتى يصلح المسألة، لمونه ادر كان ما حدث خطا فادح [4].قد يؤدي إلى قطع العلاقات بين البلدين.

---

(1) ibid.

(2)جون وولف:المرجع السابق، ص222.

(3)نفسه:ص ص 222–223.

(4) Paul Masson:**les compagnies du corail,étude historique sur le commerce de Marseille au XVI siècle et les origines de la colonisation française en Algérie-Tunis**,édition Fontemoing , Paris 1908,p100.

وحدث أن هرب من المدينة في 14سبتمبر 1673م ما يقارب العشرين أسيرا استقبلهم مركب فرنسي.وقد طالب الداي بإرجاع هؤلاء عن طريق القنصل الفرنسي، الذي خاف على حياته، فنقل

هذا الغضب الشعبي لقائد الأسطول، الذي رفض ما جاء به القنصل وأقلع راجعا من حيث أتى[1].

ونستنتج من ذلك الدور الكبير، الذي لعبته السفن الأوروبية،التي كانت ترسو عند ميناء الجزائر من حين لآخر في تسهيل عملية هروب الأسرى بالتفاهم معهم مسبقا، وخاصة أولئك الأسرى العاملون في الورشات البحرية،الذين يتفقون مسبقا مع بحارة السفن الراسية، وحتى وإن لم يحصل بينهم اتفاق مسبق فإنهم ينقلونهم على متن سفنهم، ويرفضون إرجاعهم متجاهلين بذلك النتائج،التي قد تنجر عن مثل هذا التصرف.

2-تمردات الأسرى، وسيلة أخرى للرجوع إلى الوطن:

كانت التمردات،التي خطط الأسرى للقيام بها من اجل الاستيلاء على مدينة الجزائر إحدى الطرق،التي من شانها أن تساعدهم على نيل حريتهم،وبالتالي رجوعهم إلى أوطانهم.

والأمر،الذي كان من شانه أن يسهل عليهم ثوراتهم،غياب الانكشارية، عن مدينة الجزائر في فصل الصيف نحو المناطق الداخلية لاستخلاص الضرائب، أو مرافقة البحارة في حملاتهم فلا يبقى منهم في داخل المدينة سوى خمسة أو سبعة آلاف جندي[2].

وقد حدث أن اجتمع في سنة 1529م في سجن خير الدين بربروس سبعمائة أسير أغلبهم من الضباط ورجال المرموقين،كما أضيف إليهم عدد آخر من النبلاء كانوا على متن أربع سفن،جلبوا إلى الجزائر من السواحل الأسبانية بعد أن هجم عليها خير الدين. وكان من بينهم ابن أخ قاضي رودس، الذي عرض والداه مبلغا ماليا معتبرا لافتدائه، غير أن خير الدين رفض ذلك

---

(1) ibid.

(2)جون وولف:المرجع السابق،ص223.

مجيبا:«هؤلاء الكلاب المسيحيون لا يتنفسون سوى الانتقام، فما إن يصلوا إلى دولهم حتى يشنوا علينا الغارات. لذا أنا أرفض إطلاق سراحهم»[3].

سمع الأسرى الأسبان كلام خير الدين المتعلق برفضه فدية ابن أخ القاضي،فيئسوا لأنهم لعلمهم بأنهم قد فقدوا كل أمل لهم بنيل الحرية والرجوع إلى الوطن، فبدؤوا يخططون لمؤامرة تزعمها: **دومينغو بورتاندو، مارتان دي فيرغاس (Martin de Vergas)، خوان دي كوردوفا (Juan de Cordova)** وينحدر جميع هؤلاء من منطقة سفيلا،بالإضافة إلى نبلاء آخرين ذكرهم غير ضروري.كما جرى التفاهم مع الأسرى المتواجدين في منازل الخواص في المدينة،والريف[1].

وقد تمثلت خطتهم في القيام بثورات مسلحة والاستيلاء على المدينة.وساعدهم في ذلك حاكم بجاية الاسباني بعد أن أرسل إليهم الأسلحة في سرية تامة. هذا وقد صنعوا نسخا مطابقة لمفاتيح السجن،وخبئوها بعناية.وبعد الانتهاء من الاستعدادات، حدد تاريخ الثورة وهو يوم خروج بربروس من المدينة. ومن هنا كان يبدو بأن خطة بمثل هذا الإحكام، وهذه الدقة سوف لن تفشل مطلقا، غير أن الخيانة الواقعة في صفوف هؤلاء أفشلت مخططاتهم، وأدت إلى إصابة الأسرى بالإحباط واليأس،كما جَرَّت الموت على زعمائهم[2].

وقد اكتشفت هذه المؤامرة على الشكل الآتي: عندما كان أسرى السجن يلعبون الورق في أحد الأيام، شب خصام بين اثنين من هؤلاء: شاب يدعى **فرانسيسكو دي ألمانسا (Francesco de Almança)**، الذي اعتنق الإسلام فيما بعد وكان شخصا أنانيا، حقودا،وميالا للثأر،وفي اثناء اللعب أيد الجميع خصمه مما أغضبه بشدة، فراودته فكرة اطلاع خير الدين على المؤامرة بجميع تفاصيلها، وهو ما حدث فعلا؛ إذ ما إن حل المساء حتى كان خير الدين على علم بالمؤامرة، زعمائها، توقيتها، ووسائل تنفيذها، وهو ما حير الجواسيس، الذين لم يتفطنوا لوجود مؤامرة تحاك للاستيلاء على المدينة[3].كما وجدت مفاتيح السجن المقلدة عند الحداد،الذي قام بصنعها، الأسلحة مخبأة في منزل عينه فرانسيسكو،الذي سجن في دار الجنينة حتى يستثنى من

---

(3) Farine :Op.cit,pp191-192.
(1) ibid.
(2) ibid :pp192-193.
(3) ibid :pp194-195.

العقاب، الذي سيسلط على مواطنيه الذين لم يعلموا بخيانته لهم [4]. هذا وقد استعجل خير الدين تنفيذ العقوبات،فأعطى الأوامر للغارديان باشي حتى يبدأ التنفيذ:فتحت الأبواب واخرج المتآمرون ومثلوا أمام خير الدين،الذي حكم عليهم بالموت جزاء لما خططوا له وعزموا على تنفيذه.أما بقية المتآمرين فقد حكم عليه بالسَّجن،والأغلال [5].وكان جزاء المتآمرين الموت.بينما حكم على بقية المتآمرين بالسجن، والأغلال[6].

أدت هذه الثورة لنتائج لم تكن متوقعة،فبدل أن يحصل الأسرى على حريتهم من خلالها،حُكِمَ على بعضهم بالموت،وطالت مدة إقامة بقيتهم في سجن الجزائر.

ثانيا– الوضع الديني للأسرى:

لقد كانت الحريات الدينية وما تزال إحدى المسائل الهامة في حياة الأفراد على اختلاف مللهم،

ونحلهم.والدين الإسلامي لكونه دين رحمة ويسر،فقد منع معتنقيه من حمل غيرهم على واعتناق الإسلام.

وقد اعتقد الأوروبيون على مدار قرون طويلة بان الجزائريين يرغمون أسراهم على تغيير دينهم بالقوة والتهديد،أو المعاملة السيئة،أو الإقناع عن طريق الإغراءات الكثيرة،التي يعرضونها عليهم.

وقد يحدث أحيانا وفي بعض الحالات أن يجبر الأسير على تغيير دينه إذا اقترف جريمة لا تمس بالدين الإسلامي أو باستقرار الدولة الجزائرية وأمنها،حتى ينجو من الموت. كما أن الأطفال الصغار، الذين تقل أعمارهم عن العشر سنوات يقوم مالكوهم بتغيير دينهم ليجعلوا منهم أفرادا صالحين في المجتمع،لاعتقادهم بأنهم يقدمون خدمة جليلة لله سبحانه وتعالى [1].ويتم إدخال هؤلاء الأطفال الصغار إلى الإسلام عن طريق ختنهم، وجعلهم ينطقون بالشهادتين موجهين السبابة اليمنى نحو السماء، وإذا استعصى عليهم النطق بالشهادتين يقوم بذلك مالكوهم بدلا عنهم. وتتم هذه

---

(4) ibid.
(5) ibid :pp195-196.
(6) ibid.
(1) Laugier De Tassy:Op,cit,p62.

الحفلات بسرعة كبيرة للحيلولة دون بيعهم، افتدائهم، أو إرجاعهم إلى قناصل بلدانهم، الذين يطالبون بهم [2].

وقد سمي هؤلاء المسيحيون المعتنقون للإسلام ب **الأعلاج**، أو **المهتدين**،كما سماهم الأوروبيون **المرتدين أو(Renégats)**.

وتمتع الأعلاج في مدينة الجزائر بجميع الامتيازات، التي تمتع بها العثمانيون، ومن ذلك انضمامهم إلى صفوف الانكشارية.كما كانت القرصنة نشاطهم المفضل،ويخبرنا هايدو في هذا الإطار بأن عدد الأعلاج المنتسبين إلى طائفة الرياس قد بلغ اثنين وعشرين علجا في القرن السادس عشر [3].

وقد ساعدهم المعارف والمهارات المختلفة، التي كانوا يتمتعون بها على اعتلاء المناصب الإدارية والعسكرية على حد سواء، ومنها منصب الخوجة، القائد، الصبايحي، والباي [1].ومن أشهر الأعلاج، الذين ارتقوا عرش مدينة الجزائر نذكر:حسن باشا(ابن خير الدين بربروس بالتبني)، علج علي،حسن فتزيانو،وحسن قورصو.

وكان للأعلاج المنتسبين لطائفة رياس البحر دور كبير في التصدي للأساطيل الأوروبية،وحملاتها

المتكررة على مدينة الجزائر فكانوا بمثابة الحاجز أمامها، وهذا على الصعيد الخارجي،أما على الصعيد الداخلي فكانوا يشتركون في جميع القضايا المتعلقة بالحكم وشؤونه من خلال تواجدهم في الدواوين المعنية باتخاذ القرارات،كما أسسوا لهم ديوانا خاصا بهم عرف ب **ديوان الرياس**،يهتم وكيل الحرج بتعيين رئيس عليه[2].

ونسجل ملاحظة مهمة في هذا الإطار مفادها أن هؤلاء الأعلاج من أشد الأعداء للمسيحية،فإذا كان هذا القول ينطوي على الحقيقة، فإن ذلك عائد إلى مواقف الحكومات

---

(2) ibid.

(3) Diego de Haedo:Topographie…,Op.cit,P70.

(1) ibid.

(2)أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926هـ/1519م–1246هـ/1830م**،ط1،دار الكتاب العربي، الجزائر 2009م،ص ص 167-168.

الأوروبية منهم؛ فالرايس العلج إذا وقع أسيرا بين يدي القراصنة الأوروبيين كان مصيره الحرق، ودعواهم في ذلك أن هذا المسيحي قد تخلى عن دينه، وارتد،وقد زادهم ذلك إصرارا على التمسك بالدين الإسلامي، ونصرته[1].

ويمكن القول بأن الأعلاج قد شكلوا مع الأتراك العثمانيين فئة اجتماعية تأثرت كل منهما بالأخرى، وجمع بينهما المصير المشترك.وقد ساهم أفراد هذه الفئة في ازدهار البحرية الجزائرية بفضل خبرتهم في الصناعة الحربية الحديثة وخاصة في مجال صناعة السفن.كما استطاعوا أن يتحكموا في البحرية من خلال معرفتهم بالسواحل الأوروبية[2].

أما الأسرى، الذين فضلوا عدم تغيير دينهم فلهم الحق في أداء شعائرهم الدينية بكل حرية في الأماكن المخصصة لذلك وهي الكنائس.ذلك أن حكام الجزائر كانوا دائما يقولون عن الأسير بأنه إذا لم يكن مسيحيا جيدا، فإنه سوف لن يكون مواطنا صالحا،ولن يخدم الله ،ولا سيده بإخلاص كذلك[3].

وأقيمت هذه الكنائس في داخل السجون،وقد بلغ عددها ثلاثا: فالأولى وجدت في سجن البايليك[2]،وهي تحمل اسم **الثالوث المقدس**، وإلى أسفل منها يوجد مستشفى صغير يضم بعض الأسِرَّة(كان عددها خمسة). أنشأه الآباء الثلاثيون في سنة 1531م[3] .ثم طورها الأب سيباستيان دوبور في سنة1021هـ/1612م[4].

أما الكنسية الثانية ومقرها في سجن **علي بتشين**، فشيدت تحت اسم القديس **روش**[5]، وكان مقرها في الطابق العلوي، وكانت من السعة بمكان لتضم ثلاثمائة أسير في أوقات الأعياد الرسمية[6].وكان مقر الكنسية الثالثة في سجن **سانت كاثرين**، و هي تحمل نفس الاسم[7].

---

(1)نفسه،ص 169.

(2)نفسه،ص170.

(3) De Grammont : Op.cit., p80.

(2) Moulay Belhamissi:Les relations…, Op.cit., p63.

(3)بومدين دباب:المرجع السابق، ص 128.

(4) Moulay Belhamissi: Les relations…, Op.cit., p63.

(5)ستيفنس: المرجع السابق،ص216

(6) Henri Klein:Op.cit, T2, p157.

وقد أشرف على هذه الكنائس التي كانت في بدايتها أديرة، رجال الدين الإسبان، على أن يدفع كل أسير إسباني ريالا إسبانيا كل شهر. لكن هؤلاء القساوسة تمكنوا بعد ذلك من إقناع أصحاب حانات السجون بدفع مبلغ معين عن كل كأس خمر بيعت خلال السنة. وبهذه الطريقة تحسنت وضعية هذه الأديرة وتحولت إلى كنائس في نهاية القرن السابع عشر[8] .

ويحي المسيحيون القداس كل يوم بحرية بالغة، و يشعرون بقيامهم بذلك بسعادة وراحة كبيرتين[9].ويشرف على القداس رجال الدين الأسرى،أو بعض أفراد الأنظمة الدينية،التي تتمثل مهمتها في افتداء الأسرى، وغرضهم من ذلك مشاركة هؤلاء في حياتهم،والتخفيف عنهم من أجل الجزاء،الذي يعتقدون بأنهم سيلقونه في الآخرة[10].

و لم يقصر الأمر مقتصرا على هذه الكنائس المتواجدة في داخل السجون، إذ أعطي الحق للخواص في إقامة مصليات صغيرة في داخل منازلهم، ففي القرن السادس عشر للميلاد قام المسيحي المدعو **بيار الكاتالوني**، الذي وقع في الأسر ومكث في الجزائر لسنوات طويلة، بتأسيس مصلى صغير في منزله،وغرضه في ذلك تقديم العزاء للأسرى المسيحيين البائسين و التعساء[1] .

وتعهد هذا الأسير بالاهتمام بكل حفلات القداس التي تقام كل أيام الآحاد في منزله، و أصبح العديد من الأسرى يقصدون مصلاه لتأدية الصلوات، و خاصة النساء منهم، واللواتي يفضلن اللجوء إلى المصلى الخاص به دون التردد على الكنائس الأخرى، لكونهن يشعرن ببعض الإحراج من لقاء الأتراك والجزائريين عموما، والذين يشغلون منصب كبير الحرس،أو كبير البوابين في هذه الأماكن[2] .

وقد حظي بعض رجال الدين بالمحبة والاحترام البالغين، ذلك أن المواعظ،التي كانوا يقدمونها، وإنصاتهم للشاكين، وعزائهم للمحتارين واليائسين قد حببهم لدى كل الطوائف الدينية المسيحية،

---

(7)بومدين دباب:المرجع السابق،ص 126 .

(8) ibid.

(9)

(10)بومدين دباب:المرجع السابق،ص128. Pierre Dan :Op.cit,p 433.

(1) Diego de Haedo :Topographie…,Op.cit,p224.

(2) ibid.

من كاثوليك،وبروتستانت، وأرثودوكس، وحتى العثمانيون كانوا يحترمونهم هذا إضافة إلى تقواهم، وأعمالهم الخيرية، ولتأثيرهم الحسن على سلوك الأرقاء[3(1)] .

وتدفع الكنائس ضريبة للمزوار[4] ، الذي لا يتسامح مع أقل تأخير.وإذا حضرت الموت أحد الأسرى، يحضر رجل الدين،ويجلس إلى جواره ليتلو بعض الصلوات والتراتيل، التي تتلى في مثل هذه المناسبات[2(5)] .

و لم يكن لهؤلاء الأسرى في البداية مقبرة يدفنون فيها بعد موتهم .ولكن في النصف الثاني من القرن السادس عشر تمكن المسيحيون من إنشاء مقبرة لهم؛ فقد وقع رجل دين إسباني كان ينوي الذهاب إلى صقلية، أسيرا بين يدي البحارة الجزائريين.وبعد أن أمضى عدة أيام من العبودية في الجزائر تلقى رجل الدين هذا من إسبانيا مبلغ افتدائه، الذي كان معتبرا نظرا لمكانته[1].

ولكن رجل الدين هذا أدرك مدى أهمية أن يوظف هذا المبلغ في مشروع خيري عظيم.عند ذلك توجه –وكان مازال أسيرا– إلى باشا الجزائر وقتها، وعرض عليه مبلغ افتدائه مقابل شراء قطعة ارض تستعمل كمقبرة للمسيحيين،لأن القانون كان يمنع المسيحيين من امتلاك الأراضي[2].

تأثر الباشا من طلب رجل الدين هذا،ووعده أن ينفذه رجاءه هذا مقابل أن يدفع ما قيمته دورو واحدا عن كل قدم.لكن هذا المبلغ لم يف بالغرض المطلوب،غير أن حكومة إسبانيا أضافت

---

(3)جون وولف:المرجع السابق،ص.234

(4)ويسمى قائد الليل، وهو مكلف بالحفاظ على الأمن في المدينة،وخاصة أثناء الليل.ويشتغل تحت إمرته بعض الحرس.كما يتكفل بحراسة سجون أتباع المذهب المالكي،ويسهر على تطبيق العقوبة وهي الضرب بالعصي على من يستحقها.وتطبق هذه العقوبة سواء في قصر الداي من طرف أحد الشواش أو في مقر الكاهية من طرف أعوان المزوار.أما عقوبتا الشنق،وقطع الرأس فتنفذان خارج باب عزون.ويُقْتَاد المجرم إلى مكان تنفيذ العقوبة من طرف أعوان المزوار يسبقهم البراح،الذي يصرخ بأعلى صوته معلنا عن اسم المجرم وجريمته،التي اقترفها.وبعد تنفيذ الحكم مباشرة يتجه المزوار إلى الباشا،ويخبره عن موت المجرم.انظر: Albert Devoulx :Recueil de notes historiques sur l’administration de l’ancienne régence d’Alger, imprimerie du gouvernement, Alger1852,p80.

(5) Henri Klein :Op.cit,T2,p157.

(1) M .Poujoulat: **Voyage en Algérie**, **études africaines**, Paris1868,p119.

(2) ibid:p 120.

مبلغا أخر مما ممكن رجل الدين من شراء قطعة الأرض تلك،وإنشاء المقبرة.وهكذا ضل رجل الدين هذا عبدا في الجزائر؛إذ لم يتمكن من الحصول على مبلغ أخر يفتدي به نفسه[3].

وقد اشترط الباشا عدم إقامة سور لهذه المقبرة،ولكن احد القناصل طلب الإذن بالسماح له ببناء سور صغير لها لضمان عدم دخول بنات أوى إليها،ونبشها القبور،وبالتالي التهام جثث الموتى.وقد اشترك كل القناصل في دفع مبالغ مالية تقدر بمائتي دورو عن كل واحد منهم،وشيدوا بذلك سورا عاليا ومنيعا،بالرغم من أن الباشا قد أمرهم بعكس ذلك،إلا انه أغضى عن ما فعلوه[4].

ثالثا–المهن،التي كُلّف الأسرى بانجازها:

لقد شكل الأسرى الأوروبيون في الجزائر في العهد العثماني يدا عاملة ممتازة وخاصة في مجال صناعة السفن، التي كانت تتم في داخل الورشات البحرية،لأن الأوروبيين كانوا يفوقون الجزائريين في هذا المجال بحكم خبرتهم و ابتكارهم الدائم.

وتقتضي الأوامر أن يحمل كل أسرى البايليك خاتما حديديا حول رسغ القدم، بغرض تمييزهم عن غيرهم من الأسرى، ولحمايتهم من أية إهانة أو اعتداء قد يتعرضون لهما من طرف السكان[5].كما يجب تجديد هذا الخاتم من وقت لآخر؛ فقد يحدث أن يقوم بعض الأسرى المسنين ممن يعرفون لغة البلاد بارتداء ملابس السكان المحليين و القيام بأعمال تخريبية في البلاد[1].

وكان الأسرى يصنفون حسب مهنهم فيشكلون بذلك أربع مجموعات هي: مجموعة العاملين في الورشات البحرية، مجموعة الملاحين، مجموعة الحمالين و المجموعة الرابعة و هي التي كلف أفرادها بإنجاز الأشغال العامة[2].

---

(3) ibid:p 121.

(4) ibid.

(5)جيمس ستيفنس:المرجع السابق،ص260.

(1) Laugier de Tassy:Op.cit, p 165.

(2)أرزقي شويتام:المرجع السابق، ص202.

1-**أشغال الورشات البحرية**:وتتمثل في النجارة ،والجلفطة، والحدادة و غيرها من أعمالصناعة السفن،صيانتها[3].

ويستيقظ الأسرى في الصباح الباكر من كل يوم (قبل شروق الشمس) على صراخ الورديان باشي[4]،الذي يوجه كلا منهم إلى عمله.وعندما يصل الأسرى إلى الرصيف ينادي عليهم الكاتب يوزع على كل منهم رغيفين صغيرين من الخبز الأسود. بعد ذلك يمضي الحرفيون المختصون إلى ورشاتهم البحرية[5]أين يعملون على بناء السفن و ترميم القديمة منها، أو التي تعرضت بعض أجزائها للتدمير أو التلف. وكان خير الدين بربروس أول من استعمل الأسرى الأوروبيين لهذا الغرض، ففي سنة 1530م استعان بحوالي سبعة آلاف عبد أوروبي في بناء و إصلاح السفن[6].

كما يصنع الأسرى. و قد يوجد بينهم في بعض الأحيان من لا يجيد صنعها فيتعلم ذلك بعد بضعة أيام من التدريب[7].

ويشرف على سير الأعمال في داخل الورشات رؤساؤها وهم من أسرى مسيحيون، تدفع لهم الحكومة مرتبات تتراوح بين الستة و العشرة ريالات للشهر الواحد[8].

وعلاوة على الأجور،التي يتقاضاها هؤلاء العمال،فإنهم يحصلون على بعض الهدايا من طرف القراصنة على سبيل تشجيعهم، وذلك في اليوم، الذي يرَكِّبون فيه الأشرعة على صاري السفينة، وتتمثل هذه الهدايا في النقود، الحلي، أو الملابس، التي يبيعونها، ويشترون بثمنها بعض الأذرع مـــــــــــــــــــــــــــن الأقمشة القرمزية الصوفية، الحريرية أو المخملية .كما يحصلون اليوم نفسه على وجبة تتمثل في طبق من الكسكسي مع لحم الخروف[1].

---

(3) Emmanuel d'Arenda:Op.cit, p66.
(4) Laugier de Tassy:Op.cit, p 276.
(5) Pierre Boyer:Op, cit, p 248.
(6)يحي بوعزيز:**علاقات الجزائر مع دول وممالك أوروبا1500–1830م**،د.م.ج، الجزائر 1985م،ص 39.

(7) Pierre Boyer: Op.cit,p 248.
(8) Diego de Haedo: Topographie..., Op, cit, p 86.
(1)جون وولف:المرجع السابق،ص 195.
(2)نفسه.

ويجتمع الأسرى على الساعة الرابعة من مساء كل يون عند باب الجزيرة و إذا لم يكن لقائد الميناء عمل عاجل يكلفهم به يستطيعون عند ذلك العودة إلى السجن [2].وفي أثناء ذلك يقوم الكاتب بالمناداة على الأسرى لآخر مرة ويوزع عليهم الخبز مرة أخرى [3].بعد ذلك يصطف الأسرى في انتظار مجيء وكيل الحرج الذي يظهر سريعا، وعند مروره بينهم يترعون قبعاتهم احتراما له، ثم يتجه نحو سفينته المعدة لحلوسه. بعد ذلك يجتمع الأسرى، الذين بمجرد أن يسمعوا صوت البوق يصعدون على ظهر مراكب البايليك المعدة خصيصا لنقلهم[4].

ويعتبر العمل في الورشات البحرية أقل الأعمال شقاء بالنسبة للأسرى ،ومع ذلك فإنهم يخضعون في بعض الأوقات لأعمال متعبة، يحدث ذلك عندما تكون مدينة الجزائر بصدد إرسال حملة بحرية، هنا يكلف الأسرى بالعمل ليلا تحضيرا للخروج للبحر.و يضاء الشاطئ بالمصابيح و ينتشر حراس الشاطئ في المرفأ لمنع هروب الأسرى من تنفيذ محاولات الهروب[5] .

2-أشغال البناء:

ويدخل في مجموعة الحرف كذلك أشغال البناء التي أوكل القيام بها للأسرى المسيحيين، فمعروف أن العديد من الأشغال الكبرى قد تحققت كليا أو جزئيا بالاستعانة بهم [6]؛فميناء مدينة الجزائر الذي استغرق بناؤه ثلاث سنوات جنّد له خير الدين بربروس الأسرى المسيحيين، الذين قاموا ببنائه بواسطة الصخور التي كانوا ينقلونها من مدينة **تامنتافوست** القديمة، التي كانت تقع في الضفة الشرقية لخليج مدينة الجزائر[1].

ودائما في إطار أشغال البناء فإنه في سنة 936هـ/1529م عندما استولى خير الدين على قلعة البنيون،كما ذكرنا سابقا،وأسر من كان بها من الجنود الإسبان وعلى رأسهم قائدهم دي فرغاس،

---

(3) Pierre Boyer :Op.cit,p 248.

(4) ibid.

(5)جيمس ستيفنس:المرجع السابق، ص 268.

(6) Jean Monlau :**les Etats barbaresques**, P.U.F,Paris 1963, p 99.

(1)علي عبد القادر حليمي:**صفحات في تاريخ مدينة الجزائر قبل**1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1967م، ص 170.

الذي عين مراقبا عليهم في أثناء عملهم المتمثل في إعادة بناء منارات المساجد والمنازل، التي تم تدميرها من جراء القصف[2].

وقد وجب التخلص من هذه القلعة نهائيا لضمان عدم حدوث أية مغامرات محتملة في المستقبل، و لذلك تم هدمها وطمرت القنوات التي تصل بين الجزر، وربطت باليابسة عن طريق رصيف طويل بلغ طوله حوالي المائتي متر وعرضه حوالي الخمسة و العشرين مترا و ارتفاعه الأربعة أمتار تقريبا لربط المدينة بالميناء[3].

وقد عمل أكثر من ألفي أسير مسيحي في خلال سنتين على إنجاز هذا المشروع الضخم وأضافوا إلى هذه الأنقاض الأحجار، التي نقلوها من المحاجر المجاورة[4].

و لم تقتصر أشغال البناء التي كلفوا بها على المشاريع الحكومية، مثل بناء المساجد، و إنما يبنون المنازل بما فيها منازل العامة، و يدهنوها (يبيضونها) بواسطة الجير (الكلس)[5].

3-نقل الأخشاب، والحجارة:

ويتمثل عمل هؤلاء في نقل الحجارة، من باب الوادي، وهي الحجارة المستعملة كموانع بحرية ضد أمواج البحر، و لكن قبل ذلك يتوجب عليهم تفجيرها لثقبها من منتصفها لتشد بعد ذلك بالحبال[1].وفي خطوة أخرى يقوم الأسرى بحر هذه الحجارة بواسطة الحبال و يدحرجونها نحو العربات المكونة ذات العجلات الأربع بغرض نقلها إلى المرفأ [2].وقد يحملون بعد ذلك الماء إلى البيوت[3]، وينقلون البضائع إلى الأسواق[4].

---

(2) Sander Range et Ferdinand Denis: **Fondation de la Régence d'Alger**,2T,+J. Angé éditeur, Paris1837,T1,p223.

(3) Corine Chevalier :Op.cit,p 48.

(4) ibid.

(5) Rouland Courtina :Op.cit,p52.

(1)جيمس ستيفنس:المرجع السابق،ص ص263-264.

(2)نفسه:ص264.

(3)جون وولف:المرجع السابق،ص229.

(4)نفسه:ص263.

كما ينقلون الأخشاب إلى الورشات البحرية، لأن صناعة السفن تتطلب استعمال خشب ممتاز،والذي يتم الحصول عليه من أشجار الصنوبر و البلوط،وتُقطَعُ الأشجارُ، التي تنمو بكثرة على الجبال المجاورة لمدينة شرشال[5].

4-التجديف:

وكان التجديف على متن السفن بالفعل عملا شاقا يعاني منه الأسرى كثيرا.وقد أسند هذا العمل في أوائل القرن السادس عشر للميلاد للأسرى الأوروبيين، الذين كانوا ضباطا قبل وقوعهم في الأسر [6] .ولم يكن هؤلاء الأسرى يوثقون بالحديد [7] .أما طعامهم على متن السفن فكان مكونا من البسكويت،والماء[8].

ويحق للرايس الذي لا يملك عددا كافيا من الأسرى المجذفين على متن غليوطاته أن يستأجر هؤلاء الأسرى من تجار اعتادوا القيام بمثل هذا العمل [9].ويختار الرياس أكثر الأسرى قوة،وصلابة فيأخذ عددا منهم يتراوح ما بين العشرة والخمسة عشر أسيرا للغليوطة الواحدة، و يدفع في مقابل ذلك اثني عشر ريالا للرأس الواحد عن كل رحلة بحرية[10] .

وبعد رجوع البحارة من الحملات البحرية، يحمل المجدفون مجاذيفهم إلى مخزن البايليك القريب

جدا من الميناء، أين يتم حفظها بعناية كبيرة[2] .

و يحرص الرياس في هذه الأثناء على الانتباه تفاديا لهروب الأسرى ،الذين قد يستغلون انشغال هؤلاء بتنظيم الأمتعة[3] .

---

(5) Diego de Haedo:Topographie…,Op.cit,p95.

(6)جون وولف:المرجع سابق،ص 212.

(7)شارل جوليان:المرجع السابق،ج2،ص 354.

(8)جيمس ستيفنس:المرجع السابق،ص ص.263

(9) Diego de Haedo :Topographie…,Op.cit,p89.

(10) ibid.

(1) ibid:p96.

(2) ibid:p50.

5-الحرف العامة:

وآخر النشاطات،التي نتحدث عنها هي الأشغال العامة، والتي من بينها: صناعة الحلي، الخياطة، صناعة الأحذية، دباغة الجلود، صناعة السروج، صناعة السلال،صناعة الأسلحة (البنادق، السهام، الأقواس، والسيوف)، صناعة البارود، وصناعة المدافع. وينجز هذه المهن الأسرى التابعون للورشات.وكان من حق هؤلاء اكتراء الورشات من أصحابها مقابل مبلغ مالي يجري الاتفاق عليه بينهم، وبين أصحاب الورشات[1].

وكان هؤلاء الأسرى ينجزون أعمالهم،وفق **نظام المناوبة**؛حيث يُستَبدَلُ الأسرى العاملون كل يومين بأسرى آخرين يحلون محلهم، بينما يأخذون قسطا من الراحة[2].كما لم يكلف الأسرى بإنجاز الأعمال، التي تفوق طاقتهم خوف أن يمرضوا ويموتوا بعد ذلك. والأسير، الذي يمرض يبقى في السجن ولا يخرج للعمل، وهو ما يؤدي ببعضهم إلى ادعاء المرض حتى لا يخرجوا للعمل،ولكن إن حدث واكتشفت حيلة هذا الأسير ، يعاقبه الورديان باشي ،ويرسله إلى عمله فورا[3].

ويحق للأسرى كذلك إدارة المطاعم و الحانات، ولكن ذلك لا يتم ذلك إلا بعد أن يكونوا قد اشتغلوا لفترة معينة، وجنوا من ورائها أموالا تمكنهم من ذلك.كما يحدث أحيانا أن يستدين الأسرى أموالا من زملائهم أو من اليهود، الذين يشترطون عليهم فوائد فاحشة[4].

ويستطيع مسير الحانة-على الرغم من كونه أسيرا مسيحيا- تجريد الزبائن، الذين يمتنعون عن دفع ثمن الشرب من المبالغ المالية بنفسه، وهذا التفويض يحصل عليه من الداي، كما يحظى بالحماية من طرفه[5].

وقد خُصِّصَ يوم الجمعة لراحة الأسرى، الذين يستطيعون العمل إذا أرادوا لحسابهم الخاص، ولكن العديد منهم كانوا يفضلون الراحة بعد عناء الأيام الشاقة [1].وقد تحدث بعض الاستثناءات؛ إذ

---

(3) ibid.

(2)نادية مباركي:المرجع السابق،ص ص216-217.

(3) Laugier de Tassy :Op.cit,p165.

(4)جيمس ستيفنس:المرجع السابق،ص 291.

(5)جيمس ستيفنس:المرجع نفسه.

يكلفون بمساعدة رياس البحر قبل خروجهم إلى الرحلات البحرية، فيضطر الأسرى هنا إلى العمل حتى في أثناء الليل[2].

المبحث الثالث:

الوضع الصحي للأسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر في القرنين السادس والسابع عشر:

---

(1)نفسه.

(2)بومدين دباب:المرجع السابق،ص117.

أ–الوضع الصحي في الجزائر في القرنين السادس والسابع عشر:

رغم أن الجزائر كانت تتمتع بمناخ صحي، وعلى الرغم من أنّ أهلها كانوا شديدي الحفاظ على النظافة، فإنها كانت عرضة لأمراض مختلفة كان الطاعون أخطرها على الإطلاق. وكانت المجاعة في أحيان كثيرة تعقب وباء الطاعون، فيتسبب ذلك في إحداث خسائرَ معتبرةٍ في أوساط الجزائريين.هذا إضافة إلى أمراض أخرى كانت شائعة وقتها،و هي بطبيعة الحال تقل خطورة عن وباء الطاعون.

1–وباء الطاعون، والمجاعة:

وقد ظهر وباء الطاعون بمدينة وهران أولا في سنة 1517 م مما أدى بأهلها إلى الهجرة، والاستيطان بضواحي المدينة هروبا من هذا المرض. وقد أعقبت هذه السنة فترة ارتاح فيها سكان مدينة وهران من الطاعون، الذي عاد هذه المرة إلى الظهور ولكن في مدينة الجزائر، التي هلك كثير من سكانها بفعل الطاعون ،والجوع، الذي سبَّبه جنوح سفينة كانت محملة بالقمح، فلم تصل إلى ميناء مدينة الجزائر كما كان مقررا، وتصدير القمح نحو فرنسا دون مراعاة حاجة الجزائر لهذه المادة، هذا بالإضافة إلى اجتياح الجراد لكامل المنطقة المغاربية في نفس السنة، أي 1517 م[1].

ثم انتشر الطاعون مرة أخرى في مدينة وهران سنة 1542م، مما نتج عنه خسائر بشرية كبيرة. وقد أدى الطاعون من ناحية ثانية إلى مغادرة الإسبان لوهران.وقد وصل الطاعون إلى مدينة الجزائر، واستمر فيها إلى غاية سنة 1543م، واهلك العديد من الأشخاص، وعلى رأسهم حسن آغا[2].

---

(1)فلة موساوي–القشاعي:**الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي**(1518–1871)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، بإشراف:أ.د/ناصر الدين سعيدوني، وبمساعدة أ.د/ دانيال‌بانزاك، قسم التاريخ، جامعةالجزائر 2003–2004م، ص50.

(2)نفسه،ص 50–51.

وقد ضربت المجاعة مرة أخرى مدينة الجزائر في سنة 1552م، غير أن قائد صفا زودها بكمية من الحبوب.ولكنها لم تنج من الطاعون هذه المرة، والذي ضربها في نفس السنة. ومنذ هذا التاريخ أي 1552م، أصبح الطاعون يتسلط على أهل مدينة الجزائر[1].

أما وباء الطاعون، الذي ضرب مدينة الجزائر بين عامي 1552 و1556م، فيرجع السبب فيه إلى عودة أسطول صالح رايس من القسطنطينية، التي كان ميناؤها موبوءا و قتها. ثم انتقل الطاعون مجددا إلى مدينة الجزائر عبر وهران في بين عامي 1553 و1554م، بينما اشتدت وطأته بين عامي1555 و1556م، وذلك راجع لتوافد الحجاج على المدن، والأرياف.وقد هلك من جراء ذلك خلق كثير كان على رأسهم صالح رايس عن عمر ناهز السبعين سنة[2].

وقد خفت حدة الطاعون في مدينة الجزائر في سنة 1575م إلى غاية 1582م، ولكن بالمقابل انتشرت المجاعة في المدينة مما أدى إلى هلاك الكثير من الأشخاص، وانتشار جثثهم في شوارع المدينة. أما الناجون فقد قاموا باقتحام منازل الأغنياء وكبار القادة، ونهبوا الدكاكين بحثا عن مصادر للقوت[3].

ولقد عاد الطاعون مرة أخرى إلى مدينة الجزائر بين عامي 1591 و1597م نتيجةً للجفاف، وإتلاف المحاصيل الزراعية، وانتشار المجاعة في أوساط السكان[4].

و انتشرت المجاعة من جديد في مدينة الجزائر سنة 1601م بفعل اجتياح الجراد، ثم اجتاحها الطاعون في سنة 1604م مما انجر عنه وفاة سبعمائة(700) هالك يوميا.ثم توالت المجاعة في سنوات 1609، 1610، 1612، 1613، و1614م، بسبب ندرة القمح، الذي كان يصدر نحو فرنسا دائما[5].

ويعود الطاعون مرة أخرى إلى مدينة الجزائر ،وهران، بجاية، وقسنطينة بين عامي 1645 و1666م.ويحتمل أن يكون رياس البحر هم مصدر العدوى. وقد حدث أن توفي في الطاعون،

---

(1)موساوي-القشاعي: المرجع نفسه.

(2)نفسه.

(3)نفسه،ص 51.

(4)نفسه.

(5)نفسه،ص 52.

الذي ضرب مدينة الجزائر عشرة آلاف أسير.وقد تسرب الوباء من تونس عن طريق البر إلى الجزائر، أمّا وهران فدخلها الطاعون عن طريق الإسبان [1].كما اكتسح الطاعون مدينة بسكرة حوالي سنة 1650م، وقد خلف سبعين ألف ضحية[2].

2-الأمراض الأخرى الشائعة في الجزائر:

وكانت البلاد بالإضافة إلى وباء الطاعون عرضة لأمراض أخرى منها الجدري، وحمى المستنقعات

أو حمى التيفوس.

وقد أرجع المؤرخون وجود داء الجدري في بلاد المغرب إلى ثلاثة آلاف (3000) سنة قبل الميلاد، واعتبروه من اخطر الأمراض، التي تفتك بالسكان، إذ كان يحل بالبلاد مرة كل أربع سنوات تقريبا.وقد كان السكان القاطنون بالقرب من المستنقعات أكثر عرضة لهذا المرض من غيرهم[3]، وذلك لان المياه المتراكمة في فصل الشتاء في السهول القريبة من منطقة متيجة تتسبب في تلوث الهواء في فصل الصيف [4]، وانتشار هذا الهواء الملوث إلى المناطق المجاورة.أما قاطنو مدينة عنابة فكانوا يعانون من انتشار الحمى العنيفة المستوطنة في المنطقة[5].

وقد أدى انعدام الرعاية الصحية، وجهل السكان بالطرق الوقائية إلى انتشار داء العنين، وأمراض جلدية مختلفة[6].

3-طرق التداوي:

لقد كانت الصحة بين أيدي الطُّلبَة، والمرابطين، الذين توارثوا طرقا تقليدية عن آبائهم، وأجدادهم. بالإضافة إلى السحر والشعوذة، الذين كانا منتشرين في الأوساط الشعبية.ومن ناحية

---

(1)موساوي-القشاعي: المرجع نفسه،ص 60.

(6)عائشة غطاس:**الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني**،في مجلة الثقافة، ع76، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر 1983م،ص125.

(3)عائشة غطاس: الوضع الصحي...، المقال السابق، ص126.

(4)

(5)عائشة غطاس: الوضع الصحي...، المقال السابق، ص126.

(6)نفسه.

ثانية، كانت جميع الأمراض تُفَسَّرُ على أنها مرتبطة بالقدرة، والإرادة الإلهيتين؛ بحيث أن الله يعطي المرض ويشفي المريض إذا شاء...وهذا كله راجع إلى أنّ الجزائر في العهد العثماني كانت تخلو من أي تعليم طبي، ومن أطباء يتقنون المعارف الطبية على غرار ما كان موجودا في أوروبا. ولذلك كانت حرفة العلاج حرفةً يمارسها من يشاء بفعل الهواية والحاجة، وغالبا ما كان الشخص المكلف بعلاج المرضى شخصا يجهل القراءة، والكتابة، والمعارف الطبية[1].

أما العلاجات الشائعة فكانت الأعشاب، التي كانت تزخر بها منطقة القبائل.ويستفيد منها المريض عن طريق شربها بعد غليها، أو نقعها، أو استعمالها كبخور. ومن الطرق الأخرى للعلاج: ---ارتياد ينابيع المياه المعدنية، التي تحتوي على الكبريت.

-زيارة المرابطين، والأولياء الصالحين بغرض الحصول على البركة، وذلك بوضع الأغراض شخصية داخل الضريح ثم الرجوع بعد أيام لأخذها. أو اخذ بعض من التراب المحيط بالضريح، والمخلوط بالماء لابتلاعه، أو جمع بعض الأعشاب من المحيط نفسه، أو اخذ بعض البخور.

-تعليق المريض على صدره الأحراز، التي تشكل له مناعة ضد الأمراض، آو تشفيه منها بحسب الاعتقاد السائد وقتها[2].

أما موقف الحكام في الجزائر وقتها، فتراوح بين الإهمال واللامبالاة، من طرف البعض؛ بحيث أنهم سعوا إلى جلب الأطباء لأنفسهم، وحاشيتهم [3].بينما عمل البعض الآخر على اتخاذ إجراءات وقائية، وتأسيس بعض المصحات والملاجئ، وفرض نظام الحجر الصحي على القادمين نحو مدينة الجزائر[4].

وأولى الإجراءات في هذا المجال كانت جهود حسن آغا ابن خير الدين، الذي أمر ببناء مصحة أو مستشفى صغير للانكشاريين، والشيوخ، والعجزة بتاريخ 20 جوان 1544م.وكان هذا المستشفى مكونا من خمس غرفٍ، اثنتان منها في الطابق السفلي، والأخرى في العلوي. غير أنّ

---

(1)القشاعي-موساوي:المرجع السابق،ص184.

(2)نفسه.

(3)أبو القاسم سعد الله:المرجع السابق،ص 431.

(4)القشاعي-موساوي:المرجع السابق، ص186.

المريض كان ملزما بإحضار فراشه، دوائه، غذائه، وطبيبه إلى هذه المصحة [1].والجدير بالذكر أنّ الجزائر كانت أفقر الولايات العثمانية من ناحية المرافق الصحية؛ إذ كانت مستشفياتها عبارة عن ملاجئ ومصحاتٍ صغيرةً نادرا ما وفرت العلاج للمرض، كما كانت تُؤجّر لبعض الخواص لعلاج الانكشارية، وقد كانت تسمى الفنادق [2].بالإضافة إلى ملجئ للأمراض العقلية وجد في ضاحية باب عزون[3].

وكانت الزوايا هي الأخرى تتكفل بالصحة العمومية، بحيث كانت مسئولة عن مصاريف المرضى، اعتمادا على مداخيل الأوقاف[4].

أما الصيدليات فتكاد تكون شبه منعدمة، فقد صيدلية واحدة بمدينة الجزائر تحوي مجموعة من القناني، والكؤوس، الحاوية على العقاقير والتوابل، ويشرف عليها «باش جراح»، والذي كان صيدليا، وطبيبا، وجراحا في وقت واحد.إضافة إلى بعض الدكاكين، التي كانت تبيع أنواعا من الأدوية المستخرجة في معظمها من النباتات، مثل الصبر، الحلبة، والقرنفل[5].

4-المستشفيات الخاصة بالأسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر:

لقد أولت الدول الأوروبية اهتماما كبيرا برعاياها، الذين وقعوا أسرى في الجزائر منذ النصف الأول من القرن السادس عشر؛ ففي سنة 1531م أسّس الآباء الثلاثيون مستشفى بخمسة أسرّةٍ، ثم جرى تطويره في سنة 1612م، بأن أضيفت إليه ثلاثة أسرّةٍ[5].

وقد كان جميع الأسرى الاوروبيين على اختلاف مذاهبهم(أرثودكس،كاثوليكيين،وبروتستانت)، يقصدون هذا المستشفى. أما أبوابه فكانت تغلق في نفس التوقيت،الذي تغلق فيه أبواب السجون، أي مع غروب الشمس[6].

---

(1) Diego de Haedo :Topographie…,Op.cit,p85.

(2)القشاعي-موساوي:المرجع السابق، ص202.

(3)عائشة غطاس: الوضع الصحي...، المقال السابق، ص128.

(4)نفسه.

(5)عائشة غطاس:الوضع الصحي...، المقال السابق،ص128.

(5) كاثكارت:المصدر السابق،ص 102.

(6)نفسه.

وقد ساهم الأثرياء الإسبان في البيرو ،والمكسيك في توسيعه فأصبح يضم اثني عشر سريرا.كما ساهم القناصلة بالمال؛ إذ قدم نائب القنصل الفرنسي بالجزائر **بيار بيونو** بين عامي 1585-1587م

مبلغا ماليا قدر بعشرين ريالا ذهبيا إسبانيا[1].

ومع نهاية القرن السابع عشر وجد هذا المستشفى مصادر تموين ثابتة تتمثل في: دفع المرضى لمبلغ من المال يوميا لتلقي العلاج، ومساهمة المسيحيين الأحرار، والتجار المقيمين في مدينة الجزائر بالمال.كما يدفع الأسرى المسيحيون بعضا من المال، الذي وفروه[2].

وكان الأسير إذا مرض يرسل سيده للعلاج في هذا المستشفى، ويعطيه قرشا لشراء الكفن إذا كان في حالة خطيرة. أما إذا استعاد المريض عافيته فإنه يعيد القرش لسيده[3].

كما أُسّس مستشفى لهؤلاء الرعايا في سنة 1546م[4]1 ، وفي سنة 1551م أسس القديس الأب **سيباستيان دي بورت(Sebastien Duport)** م أنشأ دارا للعلاج بمدينة الجزائر إلا أنها لم تعمر طويلا نظرا لنقص الموارد المالية[5] .

وقد واصل رجال الدين المسيحيين تأسيسهم للمرافق الصحية بمدينة الجزائر؛ إذ أسّس الأب **كابوسان(Capucin)** عام 1575م أهم مستشفى بمدينة الجزائر بمساعدة مالية من طرف دون جوان النمساوي خارج باب الوادي بالقرب من المقبرة المسيحية. كما قام القديس **برنار دي مونروا(Bernard de Monroy)** بتأسيس مستشفى بالقرب من تبرنة البايليك، وقام بتوسيعه بعد ذلك القديس الاسباني **بيار دي لا كونسيبسيون (Pierre de la Conception)**، وتم افتتاح صيدلية بالقرب من الجنينة عام 1665م، وأخرى بالقرب من سجن الباشا من طرف

---

(1)بومدين دباب:المرجع السابق، ص ص 128-129.

(2)نفسه،ص 129.

(3)نفسه،ص 130.

(4)القشاعي-موساوي:المرجع السابق،ص208.

(5) نفسه.

القديس بيدرو؛ حيث كانت تزود كل المستشفيات المسيحية بالأدوية، وتبيع بعضا منها للجزائريين (6).

وعندما زار الآباء **ريكودون** و **أودري** مدينة الجزائر (**Recaudon et Audy**) لافتداء الأسرى، فكرا في تأسيس هياكل صحية إضافية لتدعيم المستشفيات الخمس الموجودة في سجون مدينة الجزائر. وكان الأب بيدرو دي لا كونسيبسيون مسئولا عن تسيير هذه المصحات، التي أصبحت غير كافية للتكفل بالمرضى وبالخصوص أثناء الأوبئة الفتاكة، مما أدى برجال الدين المسيحيين إلى افتتاح مصحات إضافية في منازل مؤجرة لهذا الغرض مثلما فعل الأب لوفاشي، الذي حوّل منزله إلى مستوصف خلال وباء 1682م[1].

ويمكن أن نستنتج من كل ما سبق أمورا عديدة أهمّها:

-أنّ السبب الرئيسي وراء استعباد الجزائريين للأوروبيين، هو رد فعل عن قيام هؤلاء باستعباد المسلمين.

-تعدد طرق وقوع الأوروبيين أسرى لدى البحارة الجزائريين، ومن بينها:الهجوم على السواحل الأوروبية، وخاصة الجنوبية الغربية منها، أو عن طريق اعتراض السفن في البحر، سواء كانت سفنا حربية، أو تجارية.كما أنّ هزيمة الأوروبيين(وخاصة الإسبان) في بعض الحملات العسكرية،التي كانوا يقومون بها ضد مدينة الجزائر،أدت إلى وقوع أعداد كبيرة منهم في قبضة الجزائريين.وتضاف إلى ذلك طريقة أخرى وهي الهجوم على أماكن تواجد الأوروبيين في بعض المناطق،وخاصة الساحلية منها في الجزائر.

-أنّ عملية بيع الأسرى الأوروبيين في الجزائر تتم عملية بيعهم في سوق مخصص لذلك، وهو سوق البادستان، بحضور الداي، وكبار الرياس، والتجار، وذلك وفقا لتقاليد معينة.

-تميزت معاملة الأهالي لأسراهم معاملة حسنة، فلم يكونوا يضربونهم، أو يعذبونهم حتى أنّ كثيرا منهم كان يعتبر أسيره صديقا له، بل وأخا له في أحيان كثيرة، وهذا بشهادة الأسرى أنفسهم.

---

(6)نفسه.

(1)موساوي-القشاعي:المرجع السابق،ص 220.

-أنّ الأسرى في الجزائر قسمان:الأول ويضم أسرى الخواص،الذين يكونون من نصيب الداي، وكبار رجالات الدولة،وحتى عامة الناس، فيقيمون في منازلهم يسهرون على نظافتها، ويعتنون بالحدائق الملحقة بها،بالإضافة إلى تحضير الطعام.أما القسم الثاني وهم أسرى البايليك، الذين يقيمون في مبانٍ خصصت لذلك وهي السجون ويُوَجَّهُون للقيام بالحرف،والأشغال العامة في المدينة. مع حصولهم على قسط من الراحة لضمان بقائهم في صحة جيدة.

-حرية ممارسة الأسرى لشعائرهم الدينية في الكنائس،وهذا بالنسبة لمن يبقى على دينه.أما الذين يعتنقون الإسلام منهم-وهذا بإرادتهم- فينالون حريتهم، فيتمتعون بنفس حقوق الأتراك.

-أنّ الأسرى كثيرا ما كانوا يحاولون الهروب من المدينة على الرغم من الظروف المعيشية اللائقة،التي كانوا يعيشونها.وعلى الرغم من فشل جميع هذه المحاولات إلا أن بعض الأسرى قد نجح في الهروب. -ويمكن القول في الأخير بأن هؤلاء الأسرى عاشوا ظروفا حسنة،في خدمة مالكين رحماء بهم على عكس ما عاشه الأسرى المغاربة،والمسلمون عموما في أوروبا.

-حصول الأسرى على الرعاية الصحية، والمستشفيات ،التي وفرتها لهم حكوماتهم، والتي شكلت لهم ملاجئ آمنة في فترات الاوبئة في الجزائر.

الفصل الثاني:

دور الأسرى الأوروبيين في علاقات الجزائر مع دول الحوض الغربي للمتوسط.

المبحث الأول:دور الأسرى الأوروبيين في علاقات الجزائر مع فرنسا.

المبحث الثاني: دور الأسرى الأوروبيين في علاقات الجزائر مع إسبانيا.

المبحث الثالث: دور الأسرى الأوروبيين في علاقات الجزائر مع الدويلات الايطالية.

المبحث الأول:

دور الأسرى الأوروبيين في العلاقات مع فرنسا:

وسنحاول دراسة الدور، الذي لعبه الأسرى الأوروبيون في علاقات الجزائر مع فرنسا من خلال العنصرين التاليين:

-الحملات العسكرية:

-المعاهدات السياسية، ودور المبعوثين الدبلوماسيين.

أولا-الحملات العسكرية:

أ-حملة الدوق دي بوفور على جيجل1664م:

لقد كان احتلال فرنسا في سنة 1246هـ/1830م للجزائر خاتمة محاولات عديدة قامت بها لهذا الغرض،وكان من أهمها محاولة احتلال جيجل في سنة 1075هـ/1664م.

عندما اعتزم الفرنسيون القيام بحملة ضد مدينة جيجل في سنة 1664م،كلّف الكاردينال مازاران[1](Mazarin)،الفارس كليرفيل (Clerville) في سنة 1068ه/1658م بالتعرف على

---

(1)هو جون مازاران ولد في بيسينا(Pescina)في فرنسا سنة 1602م وهو ذو أصول إيطالية.كان في بداية أمره قائدا للجيش البابوي،ثم أصبح دبلوماسيا في خدمة البابا،ثم انتقل إلى فرنسا وحصل هنالك على الجنسية الفرنسية في سنة 1639م.عينه ريشيليو كاردينالا في سنة 1641م. وبعد موت ريشيليو في سنة 1642م عُيِّن مازاران الوزير الأول **لآن النمساوية**(1601-1666م).وضع مازاران حدا لحرب الثلاثين سنة بعقد معاهدة ويستفاليا (Westphalie)في سنة 1648م. مات في سنة

الساحل الجزائري في سرية تامة.فاختار ثلاث مناطق:عنابة،سطورا،وكولو.وفي نفس الوقت سمح الملك[1] للكوموندان بول بتجهيز قواته للهجوم على مدينة الجزائر على غفلة من أهلها وكان هذا الفارس على رأس القيادة العامة ويقود إحدى سفن مالطة،ونظرا لأنه كان متحمسا للقيام بالمشاريع الكبرى،ومحبا للمكافآت فقد شرع في تجهيز الجيش في تولون [2].ومن جهته اقترح القديس فانسان دي بول مكافاة قدرها عشرين ألف ريال.هذا في الوقت،الذي اقترحت فيه مدينة مرسيليا تأمين المؤن والعتاد.ولكن الكوموندان، الذي لم يكن يمتلك النقود رغب في الحصول على المال مسبقا غير أن ذلك لم يتحقق[3].

وقد كثّف فرسان مالطة هجماتهم على السفن الجزائرية بالقرب من السواحل الإسبانية والفرنسية،فأصبحت السفن الجزائرية لا تخرج منفردة.كما عنّف الديوان القنصل الفرنسي بارو[3].وليس من المستبعد أن يكون لويس الثالث عشر،الذي كان قد خرج إلى طولون هو من كان وراء تحريض فرسان مالطة على الهجوم على السفن الجزائرية[4] .

خرج الفارس بول في صيف 1660م على رأس أربعة عشر سفينة إلى بلاد المغرب للمطالبة بإرجاع الأسرى الفرنسيين.وقد وصل إلى طرابلس وحلق الوادي في جويلية، وهنا تحققت جميع مطالبه،وكان وصوله إلى الجزائر في أوت،وحاول مهاجمة ميناء الجزائر بغتة مع إضرام النار في

1661م في **فانسان(Vincenne)** بعد أن ترك ثروة هائلة، والعديد من المجموعات الفنية في قصره.انظر Dubois et autres :Op.cit,p1555.

(2)هو لويس الرابع عشر الكبير المعروف باسم "الملك الشمس" المنحدر من أسرة آل بوربون. ولد في سان جيرمان سنة 1638م،ومات في فرساي سنة 1715م،حكم فرنسا بين عامي(1643و1715م).كان له من العمر خمس سنوات حينما مات والده لويس الثالث عشر فأصبحت أمه آن النمساوية وصية عليه بمساعدة مازاران، الذي مات في سنة 1661م فتحرر الملك الشاب من الوصاية، ونصب نفسه ملكا مطلقا. انظر:.Dubois et autres :Op.cit,p1555

(2) De Grammont :Histoire…,Op.cit,p205.

(3) ibid.

(3) هو رجل دين فرنسي تابع لتنظيم القديس فانسان دي بول.تولى مهام قنصل فرنسا في الجزائر بين عامي1640 و1661م. انظر A.Berbrugger : **Relevé des principaux français qui ont résidé à Alger de 1686 à 1830**, in R.A, V16, 1872, p385.

(4)أمين محرز:**الجزائر في عهد الآغوات(1659–1671م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، بإشراف [4] الأستاذة/غطاس عائشة، قسم التاريخ 2007–2008م، ص48.

السفن الراسية فيه(وكان عددها أربعين).غير أنّ الجزائريين،الذين كانوا على علم مسبق بهذه الحملة اتخذوا احتياطاتهم،ولذلك عاد هذا الفارس إلى فرنسا من دون أن يحقق شيئا[5] .

وإذا عدنا إلى مهمة الفارس كليرفيل، فإنّه امتطى سفينة تجارية حتى لا يثير شكوك الحكومة الجزائرية،وأهالي المدينة[6].ويقول في تقرير أرسله إلى كولبير بتاريخ 22 جوان 1662م أن سطورا أحسن ميناء للإنزال.وفي خريف 1663م قام الفارس بول بشن هجمة خاطفة على البحارة الجزائريين في سطورا فادى ذلك إلى خسارتهم لعدد من السفن. ولكنه فشل في تطبيق ذلك في القل نظرا لسوء الأحوال الجوية فالتحق بأسطول لدي بوفور،الذي رسا في يوم 2 أوت أمام سطورا أين تزود بالماء والمؤن من دون أن يخشى القبائل.ومنها انطلق نحو مدينتي دلس،والجزائر للقيام ببعض الهجمات الخاطفة،وهنا تمكن من إغراق سفينتين للرياس،تحرير عشرة آلاف أسير مسيحي،وأسر مجموعة من أهالي المدينة،ومن ثم الانسحاب نحو ايفيسا والاحتماء بها من سوء الأحوال الجوية[1].

ويرجع بعض المؤرخين أسباب هذه الحملة إلى الانتقام من الجزائر لتزايد نشاط قراصنتها؛إذ في الفترة الممتدة من صفر 1070هـ/اكتوبر1660م إلى غاية شعبان 1071هـ/أفريل 1661م استولى الجزائريون على حوالي ثلاثين سفينة،وأسرهم لحوالي 500أسير[2].

قرر المجلس الملكي احتلال مدينة جيجل،وتم التحضير للحملة في ربيع 1664م.وفي يوم 25 ذو الحجة/19 جويلية رسا الأسطول أمام ميناء المدينة،وكان مكونا من ستين سفينة منها ستة عشر مركبا معدا للحرب،اثنا عشر مركبا،تسعة وعشرين زورقا لنقل البضائع، وحراقة واحدة.أما الجيش فكان مكونا من سبعة آلاف رجل تحت قيادة الكونت دي غادان (de Gadagne).أما في يوم 27ذو الحجة/ 21 من نفس الشهر فوصلت الحملة إلى مدينة بجاية.واخذ الأميرال يفكر في احتلال هذه المدينة الخالية تمام من كل التحصينات،وقد اتفق جميع قادة الجيش على ذلك لما رأوا

---

(5) Belhamissi :**Marine et Marins d'Alger (1518-1830)**,3T,B.N ,Alger 1996,T2,p40.

(6)عائشة غطاس:**العلاقات الجزائرية–الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1619–1694م)**،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،بإشراف الاستاذ/مولاي بلحميسي،قسم التاريخ، جامعة الجزائر1985م،ص73.

(1) De Grammont :Histoire…,Op.cit,p213.

(2)عائشة غطاس:العلاقات...،المرجع السابق،ص71.

فيه من فوائد غير أنّ معارضة ديكليرفيل،الذي كان العائق الوحيد في هذه الحملة منذ بدايتها إلى نهايتها قد حالت دون تنفيذ هذاالمشروع[1].

وصلت الحملة إلى جيجل في يوم28 ذوالحجة /22جويلية،وبدأت القوات في النزول في اليوم الموالي.وهنا بدأت أولى المناوشات،التي كانت قصيرة غير أنها دامية[2].وقد تمكنت القوات الفرنسية من احتلال المدينة بعد معركة دامية كلفت كلا الطرفين خسائر كبيرة بلغت أربعمائة شخص[3].وفي اليوم الموالي قامت بالإنزال بالقرب من إحدى القباب(أين انتصب فيما بعد حصن دوكين).وهنا قلد الدوق دي بوفور الكاردينال خيمينيس (Jiménez)[4]عندما دخل وهران في سنة915ه/1509م ؛إذ انه دخل مدينة جيجل حاملا للصليب في يده اليسرى والسيف في اليمنى،كما علق علم فرنسا والصليب على مئذنة المسجد،وذلك لإضفاء الصبغة الصليبية على هذه الحملة[5].وكان لهذا الانتصار المؤقت،الذي حظيت به القوات الفرنسية وقع كبير على تجار مرسيليا ؛إذ خرجوا بذلك كثيرا واعتبروه اكبر خدمة قدمت لهم من طرف الملك عند ذلك سارعت الغرفة التجارية بمرسيليا إلى ترشيح أحد تجارها ليشغل وظيفة قنصل في مدينة جيجل[6].

أمّا فيما يخص أهالي المدينة فقد واجهوا الغزاة بكل ما أوتوا من قوة،ولكن عدم توفرهم على العتاد الحربي المتطور أدّى بهم إلى إخلاء المدينة مع بقاء المقاومين معتصمين في موقع بين المدينة والجبال حتى يسهل عليهم القيام بعمليات الكر والفر،والتي اخذوا ينفذونها كلما سنحت لهم الفرصة.ولذلكقام الغزاة ببناء حصن لهم من المواد،التي جلبوها من مقبرة المدينة[7].

---

(1) De Grammont :Histoire…,Op.cit,p214.

(2) Belhamissi :Marine…,Op.cit,T2,p45.

(3)عائشة غطاس:العلاقات...،المرجع السابق،ص75.

(1)هو الكاردينال فرانسيسكو خيمينيس دي سيسنسروس (Francisco Jiménez de Cisneros).ولد في قشتالة(1436-1517م).وكان احد رجال للتنظيم الفرانسيسكاني،ومبشرا لصالح الملكة إيزابيلا في سنة1492م،وعين أسقفا على طليطلة في سنة 1495م،وأصبح بعد ذلك محافظا على قشتالة بعد موت الملكة (1504م)،وكان محققا في محاكم التفتيش في قشتالة بين عامي (1507-1516م)،وقد كان عديم الرحمة تجاه مسلمي الأندلس،الذين تنصروا عنوة بدعوى أنّإيمانهم لم يكن خالصا. انظر.Dubois, et autres :Op.cit,p1236

(5) Belhamissi :Marine…,Op.cit,T2,p45.

(6)عائشة غطاس:العلاقات...،المرجع السابق،ص76.

(7) Belhamissi :Marine…,Op.cit,T2,p45.

واستمرت المناوشات بين الطرفين شهرين كاملين [1].فقررت الحكومة الجزائرية إرسال المدد إلى مدينة جيجل على الرغم من الظروف السيئة،التي كانت تعيشها مدينة الجزائر في هذه الفترة والمتمثلة في الفوضى،والاضطراب.كما خرج شعبان آغا [2] على الجيش لقيادة المعارك بنفسه[3].وقد بلغ تعداد المحلة ثلاثة آلاف انكشاري،وخمسمائة صبايحي اضطروا لطلب الإذن من القبائل الثائرة عليهم لتسمح لهم بالمرمر عبر أراضيها.وقد كان الفرنسيون يعتمدون على الخلاف الموجود بين العثمانيين وشيوخ بلاد القبائل،ولكن ما لم يكن في الحسبان أنّ هذه القبائل فتحت الطريق لهؤلاء،بل وانضم عدد من أبنائها إلى المحلة العثمانية بغرض الجهاد حتى شكلت جيشا قوامه ما بين عشرة إلى اثني عشر ألف مقاتل.كما التحقت بهم قوات باي قسنطينة[4].

وصلت هذه القوات إلى جيجل في الفاتح من أكتوبر،وشنت في فجر اليوم الخامس هجوما عنيفا على المتاريس الفرنسية التي تهدمت ،فأصبحت القوات الفرنسية بذلك عرضة لنيران الجزائريين المباشرة [5].وقد استمر هذا الهجوم الأول للانكشارية قرابة خمس ساعاتٍ متواصلةٍ خسروا من جرائها سبعمائة جندي ما بين قتيل وجريح[6] فاضطروا عند ذلك إلى الانسحاب[7].

الانسحاب[7].

استغلت القوات الفرنسية بقيادة دي بوفور انسحاب الانكشارية فشنوا هجوما عنيفا لم يكسبوا منه شيئا خصوصا وأنهم كانوا في حالة سيئة من جراء نقص الطعام والماء والعتاد وانتشار الأمراض بين صفوفهم[8].

---

(1)مبارك الميلي:**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**،3 أجزاء،الجزائر 1964م،ج2،ص175.

(2)تولى منصب الآغاوية بين عامي1071-1075هـ/1661-1665م.

(3)عائشة غطاس:العلاقات...،المرجع السابق،ص76.

(4)أمين محرز:المرجع السابق،ص68.

(2)عزيز سامح إلتر:**الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية**تر علي محمود عامر،ط2،دار النهضة العربية،بيروت 1989م، ص394.

(6)أمين محرز:مرجع سابق،ص68.

(7)عزيز الترك:مرجع سابق،ص394.

(8)نفسه.

ونظرا لهذه الوضعية،التي آلت إليها القوات الفرنسية في جيجل،أرسلت الحكومة الفرنسية الإمدادات،التي وصلت في يوم 2ربيع الثاني/22 أكتوبر بقيادة كل من الماركيز دي مارتل (de Martel)،ودي كاستيلان(de Castillane).وعلى الرغم من الخلاف الحاصل بين هذا الأخير وبقية القادة إلا أنّ الملك كلفه بالقيادة.كما اقتضت الأوامر أن يستلم الجنرال غاردان العمليات البحرية بينما يخرج الدوق دي بوفور لاحتلال موانئ جزائرية أخرى [1]،ومطاردة البحارة الجزائريين في هذه الأماكن[2].

واستأنف الانكشارية هجماتهم في يوم 29 من أكتوبر،وبحلول اليوم الثلاثين من الشهر حتى كانت جميع المواقع الفرنسية قد دُكَّت،واخذ الجنود الفرنسيون يبحثون عن أي موقع يرونه مناسبا للاحتماء.وبعد ساعات انهارت معنوياتهم بسبب عدم تمكنهم من الرد على نيران الانكشارية،وأخذوا في الصراخ بأعلى أصواتهم معلنين بأنهم سيستسلمون ويعتنقون الإسلام[3].

وفيما يخص قادة هذه الحملة فقد دب الخلاف بينهم؛إذ أنّ غادان اعتبر نفسه القائد المطلق للعمليات ورغم ذلك لم يجرؤ على إعلان معارضته بشكل مباشر،غير انه أعلنها عن طريق التزام الصمت.أما الماريشال لاغييوتيير (La Guillotière) فقد اخذ في إعطاء الأوامر دون الرجوع للقادة الآخرين.وأخيرا فإن كليرفيل المثير الفعلي لكل هذه الفوضى اخذ في حبك الدسائس هنا وهناك مضيعا للوقت،الذي يجب أن يستغله في إعادة بناء الحصن.ومن ناحية ثانية كان هذا الرجل –بناء على أوامر سرية تلقاها–يحاول الاستيلاء على الوكالات التجارية في كل من سطورا وكولو،لما في ذلك من ثروات طائلة يمكن أن يتحصل عليها.كما أشرك الماريشال لاغييوتيير في هذا المخطط وادخله في حركة المعارضة،التي منع من خلالها نزول القوات الفرنسية في بجاية.وعلى ما يبدو فانه سعى إلى إفشال هذه الحملة حتى يتمكن مرة أخرى من إعادة احتلال المدينة وفقا للمخطط،الذي يراه والفوائد،التي يرجو تحقيقها[4].

ونظرا لهذه الوضعية،التي آل إليها الجنود الفرنسيون قرر قادتهم الانسحاب من ارض المعركة،وقد نفذوا ذلك فعلا في أمسية يوم 31 أكتوبر تحت نيران المدافع الجزائرية مخلفين ورائهم

---

(1)يحي بوعزيز:علاقات الجزائر...،المرجع السابق،ص 81.

(2) Moulay Belhamissi :Marine…,Op.cit,T2,p48.

(3) عزيز التر:مرجع سابق،ص ص394-395.

(4) De Grammont :Histoire…,Op.cit,p214-215.

مدافعهم،وأدواتهم الثقيلة إضافة إلى الجرحى والمرض،وحوالي ألف وأربعمائة قتيل [1].كما بلغ عدد الأسرى،الذي اخذوا إلى مدينة الجزائر ألفين وخمسمائة أسير،وغنموا ثلاثة مدافع.وفي شوارع مدينة الجزائر تعرض الأسرى للشتائم من طرف أهالي المدينة وحتى الأطفال اخذوا يتبعونهم وهم يصيحون"جيجري،جيجري"(أي جيجل)،وهم يقومون بحركة تدل على قطع الرأس.كما تعرض القنصل الفرنسي لسوء المعاملة وسُجِنَ هو الآخر،غير أنه أُفْرِج عنه بعد أيام قليلة[2].

كما اخذ أصحاب الخطط الحربية في فرنسا في وضع الخطط لضمان إنقاذ الحملة،وكانت هذه الخطط أشبه بالخيال ومن بينها مخطط احد البحارة المدعو تروبير (Trubert)،الذي اقترح على كولبير في يوم أول نوفمبر الهجوم على مدينة الجزائر بقوة بحرية كبيرة.غير أنّ الشيء،الذي لم يكن تروبير يعلمه هو أنّ الحملة قد انتهت في يوم 11ربيع الثاني/31أكتوبر[3].

لقد شعر لويس الرابع عشر بغضب عارم بعد نهاية الحملة،فأرسل إلى قادته يطلب منهم توضيحا حول انسحابهم من دون أن يتلقوا الأوامر بذلك.وتفاديا لانتشار أخبار الهزيمة في أوروبا أمر لويس الرابع عشر الصحابة بالتكتم التام على الهزيمة،التي منيت بها في جيجل.أما الحزب المعارض وخاصة الاتجاه الديني الساخط على الملك فقد فرح اشد الفرح لهذه الهزيمة[4].

ومحاولة منه للانتقام لهذه الهزيمة، خرج دي بوفور في العام الموالي أي في 2 شعبان 17/1074ه

فيفري 1665م من تولون على راس ست سفن بمطاردة الرياس واحرق لهم بذلك ثلاث سفن في حلق الوادي.وفي يومي 16شوال/2ماي،و12ذو القعدة/27 ماي قصف ميناء مدينة الجزائر،التي لم تتمكن من الرد عليه.وفي يوم 13 صفر 1076ه/24 أوت هاجم سفن البحارة في شرشال،وأحرق منها اثنتين واخذ ثلاثا.كما استولى على مائة وثلاثة عشر مدفعا[5].

ب–حملة الأميرال دوكين الأولى 1093ه/1682م:

---

(1)عزيز التر:مرجع سابق،ص ص394-395.

(2) De Grammont :Histoire…,Op.cit,p217.

(3) ibid :T2,pp49-50.

(4)عائشة غطاس:العلاقات...،المرجع السابق،ص 77.

(5) De Grammont :Histoire…,Op.cit,p218.

لقد زار بعض المبعوثين الفرنسيين جاءوا إلى الجزائر في سنة 1090ه/1679م للتفاوض مع الداي[1] بغرض إطلاق سرح الأسرى من الجانبين.وقد جرى الاتفاق على أن يتم ذلك في سنة 1092ه/1681م،ولكن في الوقت،الذي وفت فيه الجزائر بوعدها وأطلقت سراح الأسرى الفرنسيين،رفضت فرنسا إطلاق سراح الأسرى الجزائريين،بل وأرسلوهم للتجديف على متن السفن الفرنسية الموجودة في المشرق [2].عند ذلك قرر الديوان قطع علاقاته مع فرنسا فظهر ذلك في استيلاء قراصنة الجزائر على تسع وعشرين سفينةً،وأسر من كانوا عليها وعددهم ثلاثمائة[3].

وردّت فرنسا هي الأخرى بأن كلفت الأميرال دوكين بالتوجه على رأس أسطول إلى مدينة الجزائر لإحراقها وتدميرها.ولما علم الداي الحاج محمد بأمر هذه الحملة خاف من عواقبها،ثم ركب أحد مراكبه سرا وفر إلى طرابلس تاركا الحكم بيد صهره بابا حسن،الذي كان قد أصبح منذ مدة الحاكم الفعلي للبلاد[4].

انطلق دوكين من ميناء تولون في يوم 25 جمادى الثانية 1093ه/1 جويلية 1682م بعد أن أمره الملك"بإحراقها،وتدميرها رأسا على عقب" .وكان الماركيز دوسولت (Dussault)قد أرسل إلى الماركيز دي سينيولاي(Seignelay) رسائل كثيرة يخبره فيها بان هذه الحرب ستكون مكلفة جدا بالنسبة لفرنسا من جراء الخسائر،التي سببتها للتجارة البحرية الفرنسية،والمبالغ المالية الكبيرة،التي أُخِذت من الخزينة للإنفاق على هذه الحملة.كما قال بأنه من الأفضل لو تنازل عن بعض بنود المعاهدات التي لا يريد الجزائريون العمل بموجبها،وخاصة تلك المتعلقة بالأسرى الفرنسيين،الذين أُخِذوا من على متن سفن الدول المعادية للجزائر وهو أمر سيكون ذا فوائد لصالح البحرية الفرنسية،لان ذلك راجع للعدد الكبير من البحارة الفرنسيين،الذين يخدمون الأساطيل الأجنبية،التي تجذبهم إليها بفعل الامتيازات التي تقدمها لهم.كما يجب إرجاع الأسرى الجزائريين المتواجدين في مدينة مرسيليا.وإحلال السلم مع الجزائر عن طريق إعلان الحرب على

---

(1) ibid.

(2)مبارك الميلي:المرجع السابق،ج2،ص174.

(3)عزيز التر:المرجع السابق،ص423.

(1) De Grammont :**Relation entre la France et la régence d'Alger au XVII siècle,4eme partie, les consules Lazaristes et le chevalier d'Arvieux(1646-1688)**,in R.A,V29,1885,p5.

هولندا،وانجلترا.وبهذه الطريقة ستحصل فرنسا على امتياز احتكار تجارة المشرق،وشمال إفريقيا.كما ستحصل على الثروات كذلك من جراء خسائر الأمم الأخرى[1].

نزل دوكين بالقرب من شرشال في يوم 20 رجب/25 جويلية،وبدأ في قصفها واستطاع أن يدمر في ساعات قليلة ميناءها،وأحرق مركبين كانا راسيين فيه.وكان الفرنسيون في هذه الحملة معتمدين على سلاح جديد هو مدفع الهاون،الذي اخترعه رينودي اليساغاري.وهذا المدفع يطلق القذائف الضخمة فيستطيع بذلك أن يحطم أية بناية في مواجهة المدفعية.كما حاولت فرنسا كذلك استعماله في كل من الأراضي المنخفضة،وجنوة لفرض السيطرة الفرنسية عن طريق الإرهاب.ولمعاقبة كل من يعصي أوامر ملك فرنسا[2].

وانطلقت الحملة بعد ذلك باتجاه مدينة الجزائر،التي وصلتها في يوم 24 رجب/ 29 جويلية.وكان الأسطول الفرنسي مؤلفا من خمس عشرة غاليرة،وأحدى عشر مركبا،خمس غليوطات مجهزة بمدافع، وحراقتان.وخلال خمسة عشر يوما كان دوكين يصول ويناور داخل المرسى.وفي يوم 11 شعبان/ 15 أوت عادت السفن الفرنسية، واستأنفت القتال في يوم 16 شعبان/20 أوت.وكانت الواجهة البحرية للمدينة تحتوي على خمسين مدفعا،وبرج الفنار على سبعة وعشرين مدفعا بثلاث بطاريات،وبرج الإنجليز غلى عشرة أو اثني عشر.كما يحتوي كل من برجي باب الواد وباب عزون على خمسة عشر مدفعا[3].

بدأ الفرنسيون أولى محاولات قنبلة المدينة في ليلة 20 إلى 22 أوت غير أنّ المسافة بينهم وبين المدينة كانت كبيرة،لذلك لم تتسبب في حصول أيّ تدمير.ولكنهم عاودوا القصف في مساء 22 شعبان/26 أوت فتم إطلاق ست وثمانين قذيفةً باتجاه المدينة و لكنها لم تحقق شيئا.ثم تجدد القصف في ليلة الثلاثين؛إذ أرسلت المدافع مائة وأربع قذائف تسببت في حدوث دمار كبير في المدينة[4].وهنا يحدثنا صاحب مخطوط الزهرة النائرة عن هذا القصف إذ يقول:«...فعند نصف الليلة قربوا الحويلار إلى الجزائر ورموا قدر مائة وخمسين بومبا،كل بومبا في الثقل قنطار واحد،

---

(2) ibid.

(2)جون وولف:المرجع السابق، ص343.

(1) De Grammont :Relation … ,Op.cit,p7.

(2) ibid.

وهدموا بتا قدر مائتي دار وسقط منها بومبا واحد في الجامع الجديد وأخرى في الجامع الكبير واستشهد من المسلمين قدر عشرين نفسا[1]».

لقد خرج الأسطول الجزائري في 1 رمضان/3 سبتمبر لمواجهة هذه الهجمات لكنه عاد مباشرة لان السفن الجزائرية لا يمكنها مواجهة السفن الفرنسية الضخمة والمسلحة بشكل جيد.لذلك طلبوا من القنصل الأب لوفاشي [2] التوجه إلى الأميرال بغرض التفاوض معه حول وقف إطلاق النار ومعرفة شروطه بخصوص ذلك.غير أنّ هذا الأخير رفض الإصغاء إلى القنصل معربا عن عدم رغبته في سماع أيّ شخص ما عدا ممثلي الديوان[3].

استمر قصف المدينة إلى غاية 9 رمضان/ 12 سبتمبر،وهنا كلف الداي بابا حسن بعض الرجال بحراسة المدينة حراسة مشددة لمنع دخول المتسللين إليها.ولكن سوء الأحوال الجوية اضطر دوكين إلى الإبحار باتجاه فرنسا في نفس اليوم،وخلف وراءه الماركيز دي ليري(de Lhéry)مع نية الرجوع في الربيع القادم إلى مدينة الجزائر[4].

لقد خلفت هذه الحملة وفاة خمسمائة شخص،وتهديم خمسين بنايةً.غير أنّ لويس الرابع عشر وكولبير لم يكونا راضيين عن النتائج خصوصا وان مدافعهما لم تود الغرض المطلوب،وأمرا بإعطاء عناية اكبر لمحاولة السنة المقبلة.أما دوكين فان منحه الملك لقب ماركيز،وهبة مالية مقدرة بألف فرنك نظيرا لخدماته،التي قدمها والمتمثلة في إحراق جزء من أسطول الجزائر،وعدد من سفن بحارة طرابلس في الميناء[5].

ج–حملة الأميرال دوكين الثانية1094ه/1683م:

انطلقت هذه الحملة من ميناء تولون في يوم 9 جمادى الأولى 1094م/6 ماي 1683م بقيادة الأميرال دوكين.وكان الأسطول مكونا من عشرين فرقاطةً،سبع غليوطاتٍ، ثلاثين فلوتة،

---

(3)محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الجيلالي بن رقية التلمساني الجديري: **الزهرة النائرة فيما جرى فيالجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**،في مجلة تاريخ وحضارة المغرب،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة الجزائرجويلية 1967م،رقم3،ص 20.

(2)

(3)

(4) De Grammont :Relation…,Op.cit,p8.

(5)جون وولف:المرجع السابق،ص343.

وحراقتين، وبعض الطرطانات على أن تلتحق به بعد ذلك ست عشرة غليوطةً.وقد صادفت الأسطول عاصفة قوية عند مخرج الميناء أدت إلى إتلاف بعض الزوارق،وإلحاق أضرارٍ خفيفة ببعض السفن،التي أوجبت عليه قطع مسيرته بغية إصلاحها مما أدى إلى تأخير هذه الحملة[1].

استأنفت هذه الحملة مسيرتها ووصلت في يوم 22 جمادى الثانية/18 جوان.غير أنّ اضطراب البحر عطل قصف المدينة،الذي لم يبدأ إلا في مساء يوم 1 رجب/ 26 جوان ،واستمر إلى اليوم الموالي،أين كان الجزائريون يردون على المدافع الفرنسية بالمثل.وعلى ما يبدو أنّ الجزائريين كانوا يفتقرون

لجنود مدفعيين مهرة[2].

ونظرا للخسائر المعتبرة،التي حلت بالمدينة اضطر الداي إلى إرسال أحد مبعوثيه برفقة الأب لوفاشي،الذي رفض دوكين مقابلته[3].وبعد يومين رجع لوفاشي لمقابلة دوكين،الذي كان تصرفه أكثر خشونة من المرة الماضية؛بحيث لم يسمح للقسيس بالجلوس على الرغم من مرضه وكبر سنه،بل وأهانه قائلا له بأنه(أي الأب لوفاشي)كان تركيا أكثر من مسيحي،عند ذلك أجابه هذا الأخير بقوله:«إنني قسيس»[4].عند ذلك صرفه دوكين بفضاضة كبيرة بينما أجاب مبعوث الداي بأنه لنيوقف قنبلة المدينة ما لم يتم الإفراج عن كل الأسرى الفرنسيين الموجودين بالمدينة[5]،بالإضافة إلى دفع ضريبةحربية مقدرة بمليون ونصف مليون فرنك فرنسي[6].

حاول الجزائريون رد هذا القصف،ولما عجزوا عن ذلك طالبوا بعقد هدنة وقد تمت بين الطرفين غير أن مدتها قلت عن أربع وعشرين ساعة استغلها الجزائريون في البحث عن الأسرى الفرنسيين الموجودين في المدينة.وهكذا ارجع الجزائريون في منتصف النهار من يوم 4 رجب/29 جوان مائة وواحدا وأربعين أسيرا،وفي اليوم الموالي ارجعوا مائة وأربعة وعشرين رجلا،أما في يوم الفاتح من شهر جويلية فكان عدد الأسرى،الذي أرجعوهم مائة واثنين وخمسين،وفي يوم 7

---

(1) De Grammont :Relation…,Op.cit,pp8-9.

(2) ibid :p9.

(1) ibid :p9.

(4)جون وولف:المرجع السابق،ص344.

(5) De Grammont :Relation…,Op.cit,p9.

(6)عزيز إلتر:المرجع السابق،ص424.

رجب/2 جويلية ثلاثا وثمانين،وأخيرا في يوم 8 رجب/3 جويلية لم يبق أيّ أسير في مدينة الجزائر يمكن تسليمه للأميرال.ونفذ أعضاء الديوان هذه الشروط دون أن يطالبوا بالضمانات،التي وعدهم بها هذا الأخير،والمتعلقة بإحلال السلم بين الطرفين.كما وقف كل من الماركيز هاييت(Hayet)،ودي كومب(de Combes) على تنفيذ هذه الشروط [1].

وكان الأميرال من ناحية ثانية قد اشترط إرسال عدد من الرياس يحتجزهم عنده كرهائن للدخول في مباحثات مع الجزائريين،فاستجاب الداي لذلك وأرسل عددا منهم(أي الرياس)،الذين كان من بينهم الرايس حسين ميزومورتو.وقد أرسله الداي للتخلص منه وذلك تفاديا للفوضى،التي قد يثيرها في المدينة[2].

وقد استمرت المفاوضات بين الطرفين أسبوعين كاملين طالب الداي من خلالهما بمنحه مزيدا

من الوقت ليتمكن من جمع ضريبة الحرب.وبما أنّ الجزائر لم تكن تمتلك هذا المبلغ فقد ازدادت هذه المشكلة تعقيدا[3].

ونتيجة لهذا الوضع انقسمت المدينة إلى قسمين:قسم يريد السلم ويتمثل في البَلْدِيَّة والانكشارية،وقسم آخر يريد الحرب،ويتمثل في رياس البحر وعلى رأسهم ميزومورتو.وكان هذا الأخير على علم بما يجري من خلال الزيارات القصيرة،التي كان يتلقاها من حين لآخر فطلب مقابلة دوكين،وأقنعه بأنه سيحقق في ساعة ما عجز الداي بابا حسن عن تحقيقه في أسبوعين.عندها تم إنزاله إلى البر بصعوبة على الرغم من التهكم،الذي كانت عبارته التي قالها تنطوي عليه.ثم اجتمع بعد ذلك بالرياس ومشوا جميعا إلى قصر الجنينة،أين حصلت جلبة كبيرة قُتِل في أثنائها الداي بابا حسن،ونصب ميزومورتو بعد ذلك نفسه دايا جديدا[4].

وقد أعرب حسين ميزومورتو عن عدم رغبته في قبول شروط دوكين؛إذ انه أرسل إليه رسالة يخبره فيها بأنه(أي الأميرال) إذا أراد الصلح فعليه بإطلاق سراح الأسرى الجزائريين الموجودين

---

(5) De Grammont :Relation…,Op.cit,p9.

(2)عزيز إلتر:المرجع السابق،ص424.

(3) De Grammont :Relation…,Op.cit,p9.

(2) ibid,p10.

لديه.غير أنّ دوكين أجابه بأنه لن يطلق سراح هؤلاء ما لم تُؤَدَّ إليه ضريبة الحرب [1].فاستأنف ميزومورتو القصف،الذي رد عليه دوكين بالمثل.فأوفد إليه ميزومورتو الماركيز هاييت في يوم 22 جويلية ليبلغه بأنه إن لم يوقف قصف المدينة فانه(أي ميزومورتو) سيقذف جميع المسيحيين من فوهة المدفع[2].

استمر دوكين في قصف المدينة إلى غاية 29 من نفس الشهر،وفي غمرة هذه الفوضى والاضطرابات،التي عمت المدينة اتجه جمع من الجماهير الغاضبة إلى مقر القنصلية الفرنسية،وطوقوها وهم يطلقون صرخات الموت،واخرجوا القنصل العجوز،الذي لم يكن قادرا على المشي فحملوه على كرسي وأخذوه إلى الداي محدثين في أثناء ذلك جلبة كبيرة في الشوارع [3].وقد اتُّهِمَ لوفاشي بالتفاهم مع الفرنسيين،واخبرهم أنّ قنبلة المدينة في النهار أكثر فعالية من الليل [4]وكان الداي في هذه الأثناء متواجدا في برج الفنار(ومصابا بجرح في وجهه).وبدون أي تفكير منه مشى إلى الميناء أين كان القنصل

الفرنسي مثبتا إلى المدفع [5].وهنا خير القنصل بين اعتناق الإسلام أو الموت، غير انه فضل الموت"شهيدا"، فقذف بواسطة قذيفة حولت جسده إلى أشلاء.كما لاقى عشرون فرنسيا نفس

---

(1)الجديري التلمساني:المصدر السابق،ص22.

(4) De Grammont :Relation…,Op.cit,p10.

(5) ibid.

(4)عائشة غطاس:العلاقات...،المرجع السابق،ص90.

(1)أطلق الجزائريون على هذا المدفع اسم "بابا مرزوق"،أما الفرنسيون فسموه "القنصلية".صنع في سنة 1542م من طرف مهندس بندقي كان يعمل في مدينة الجزائر بمناسبة إحياء ذكرى إنهاء الرصيف،الذي كان يربط الجزائر بحصن البنيون.يبلغ طوله سبعة أمتار، ووزنه الكلي خمسة وعشرين ألف كلغ، وعياره ألفان وسبعمائة ملم، ووزون قنابله ثمانية وستون كلغ.كما يخلو من كل الزخارف ما عدى النقش، الذي كتبه عليه الفرنسيون عندما استولوا عليه في سنة 1830م.وكان موقعه في القبو الممتد بين برجي السردين والقومان، يكون هذا البرج برجا غير انه لا يحمل اسما خاصا به وكان فيه سبع فتحات للمدفعية. وقد كان المدفع احد الغنائم، التي استولت عليها فرنسا؛ إذ انه اخذ إلى باريس، وعرض في فندق الانفاليد. وبعد مراسلة وُجِّهَت إلى وزير الدفاع الأميرال دوبيري (Duperré) نقل إلى مدينة بريست (Brest)؛حيث تم تنصيبه بتاريخ 27 جويلية 1833م في ساحة الترسانة. وقد سمي بالقنصلية لان القنصل لوفاشي قذف به في أثناء حملة دوكين في 1683م على مدينة الجزائر. وقد انشق المدفع من جراء قوة الطلقة، ولذلك لم يعد يستخدم منذ وقتها وقد طلي بالزفت لإخفاء التشقق، الذي لحقه. وابقي عليه في مكانه عله يحدث الرعب في نفوس الأعداء. انظر: Belhamissi :**Alger la ville aux mille canons, remparts et canons de la Casbah**, A.N.E.P, Alger 2009,p46. وHenri Klein :Op.cit,T2,p142،وخلاصي:المرجع السابق، ص ص127-128،وجودي:مرجع سابق،ص111.

المصير،ولم ينج منهم سوى القبطان دي شوازول بوبري(de Choiseul Beaupré)،الذي كان صديقا لأحد الرياس فأنقذه هذا الأخير من موت أكيد حالما أرادوا تثبيته إلى المدفع على غرار سابقيه[1].

ومع حلول الأيام الأولى من شهر أكتوبر اضطر الأميرال دوكين للعودة بسفنه إلى فرنسا بعد أن أجبرته على ذلك رداءة الجو[2].

ورغم القصف،الذي تعرضت له المدينة،إلا أنها لم تدمر مثلما كان يرغب الملك،ودوكين.وقد ذهب كولبير إلى القول بان الملك سيكون جد مسرور للنصر،الذي سيحققه والفوائد،التي ستجنيها جميع البلاد المسيحية بهدم تلك المدينة هدما كاملا.ولكن الأضرار كانت كبيرة إذا ما قورنت بالأضرار،التي خلفتها حملة 1682م.وكانت الخسائر كما يلي:تهديم ستين منزلا،وخمسة مساجد،ومقتل أربعمائة من أهالي المدينة تحت الأنقاض[3].

لقد يئست فرنسا من هذه الحرب،التي لم تجن من ورائها ما كانت تطمح إليه على الرغم من استخدامها لأحدث الأسلحة وقتها.فاضطرت عند ذلك إلى التفاوض مع الجزائريين،وأوكلت تلك المهمة إلى دي تيرفيل(de Terville)،الذي استطاع أن يبرم معاهدة صلح مع الجزائر بتاريخ 10 جمادى الأولى 1095ه/25 افريل 1684متضمنت تسعة وعشرين بندا،ونصت على أن يكون السلام بين البلدين لمدة قُدِّرَت بمائة سنة[4].

د–حملة الماريشال ديستري27شعبان1099ه/26جوان1688م:

جاءت هذه الحملة بعد ثلاث سنوات من توقيع معاهدة السلم بين الجزائر وفرنسا؛إذ أنّ نزاعاتهما تجددت،وعاد التوتر بينهما.وكانت فرنسا هي من أعلنت الحرب على الجزائر بعد أن تذرعت بسماح هذه الأخيرة لأحد قراصنة سلا ببيع غنيمة بحرية في مينائها(أي الجزائر).وهنا أمر لويس الرابع عشر قراصنته بمطاردة السفن الجزائرية أينما توجهت.كما كانت فرنسا قد وجهت أسطولا

---

(2) De Grammont :Relation…,Op.cit, p11.

(3) ibid.

(3)اسماعيل جودي:المرجع السابق،ص 111.

(4)عائشة غطاس:العلاقات...،المرجع السابق،ص ص90-91.

بقيادة بلان فيل في صيف سنة 1686م،وتلا ذلك محاولة أخرى لإخضاع الحكومة الجزائرية إلى فلم يف ذلك بالغرض مما دفع بالحكومة الجزائرية هي الأخرى إلى التفكير في قطع علاقاتها مع فرنسا[1].

توجهت الحملة الفرنسية إلى الجزائر بقيادة الماريشال ديستري (d'Estrées)،وكانت مكونة من خمسة عشر مركبا،ست عشرة غاليرة،عشر غليوطات مزودة بالمدافع،ووصلت أمام مدينة الجزائر بتاريخ12رجب1095ه/26 جوان 1688م[2].

وأول ما بدأ به ديستري هو إرساله رسالة إلى الحاججسين ميزومورتو محذرا من خلالها إياه بأنه إذا تجددت الممارسات الوحشية،التي حصلت في سنة 1683م فانه سيثار من الأسرى الجزائريين الموجودين متن سفنه.وقد رد ميزومورتو بدون اكتراث بان القنصل الفرنسي سيكون أول ضحية تقع على الرغم من أنه(أي الداي)يعتبر أنّ هذا النوع من القتال غير مشروع،ولكن إذا أراد الماريشال القتال بشرف عن طريق المدافع،أو إذا عزم على النزول إلى البر للقتال،فإن الأسرى سيكونون تحت حمايته هو شخصيا(أي الداي) [3].وقد قيل بأن ديستري خاطب الضابط،الذي كان قد أرسله،وجاءه بالجواب:لو لم تكن إنجليزيا لشنقتك على إحضارك هذا الجواب[4].

بدأ القصف الفرنسي في يوم 3 رمضان/1 جويلية واستمر إلى غاية 18 رمضان/16 جويلية فادى هذا القصف إلى إغراق بعض السفن،التي كانت في الميناء وقتها،وهدم استحكام ماتيفو،وإصابة بعض المساجد والمنازل بأضرار كبيرة،كما تهدمت الترسانة والفنار ورصيف الميناء.كما أصيب ميزومورتو ببعض الجروح.غير أنّ الأهالي لم يتأثروا من جراء هذا القصف لأنهم كانوا قد اخلوا المدينة[5].

---

(1)نفسه:ص92.

(3) De Grammont :Relation…,Op.cit,p164.

(1) ibid.

(4)جون وولف:المرجع السابق،ص352.

(5)عزيز التر:المرجع السابق،ص430.

وكان أول ضحايا القصف ثلاثة من الفرنسيين،الذين ثبتوا إلى فوهات المدافع،وكاد القنصل بيول(Piolle) يكون رابعهم لولا أن أنقذه الرايس علي وأرجعه إلى السجن،ولكن ذلك كان بشكل مؤقت[1].

لقد عرض الجزائريون الصلح غير أن ديستري رفض ذلك لأنه رأى بان الجزائريين يستحقون العقاب،فاستأنف القصف[2]،وكرد فعل على القذائف الفرنسية أقتيد بيول مرة أخرى برفقة خمسة عشر بحارا،وضربوا بالعصي قبل أن يُقْذَف بهم بواسطة المدفع.وبعد يومين قتل المدعو مونتماسون ومعه خمسة آخرون.وخلال الأيام القليلة الباقية لقس الباقون نفس المصير[3].

عند ذلك رد المارشال بالمثل؛إذ أنه قتل العبيد الجزائريين،الذين كانوا على متن سفنه بنفس الطريقة،التي قتل بها مواطنوه.ولو أنّ الحملة استمرت أياما أخرى لتحولت مدينة الجزائر إلى الحطام.كما اشتدت وطأة المجاعة،وفي كل يوم الأهالي بانتفاضة احتجاجا على هذه الأوضاع.أما الانكشارية وبعد رجوعهم من حصار وهران وجدوا أنّ بيوتهم قد نهبت،وعائلاتهم قد تشردت فغضبوا لذلك اشد الغضب.ولم يستسلم ميزومورتو فكان يرد بالمثل على القصف وأحيانا يكون البادئ به[4].

وفي أوائل أوت وصلت الأوامر إلى ديستري وكانت تقتضي بان يرجع إلى فرنسا؛فقد كانت الخطط تحضر لغزو فرنسي لأرض الراين ولذلك يكون الأسطول أكثر فائدة في فرنسا منه في الجزائر،لذلك لا بد من تجهيزه،وتسليح،وتزويده بالبارود،الذي نَفِد في هذه الحملة على مدينة الجزائر[5].

لقد خسر الجانبان الفرنسي والجزائري في هذه الحرب الكثير،ورغم ذلك لم يحصل لويس الرابع عشر على النتائج،التي كان يرجو الحصول عليها،بل انه اضطر إلى تحقيق شروط الجزائريين،إذ أنه التزم بتعويض سفينة احد الرياس،وتقديم العتاد الحربي المتمثل في تسعة آلاف

---

(1)جون وولف:المرجع السابق،ص352.

(2)نفسه.

(6) De Grammont :Relation…,Op.cit,p168.

(7) ibid.

(5)جون وولف:المرجع السابق،353.

قنبلة،وأربعة مدافع ،وقائد للمدفعية،وذلك لحصار وهران [1].كما أرسل لويس الرابع عشر إلى الجزائر مفوض البحرية الماركيز مارسيل (Marcel)،الذي وصل في بداية شهر شوال 1100ه/سبتمبر من سنة 1689م[2]،والذي تمكن في الرابع والعشرين من شهر سبتمبر من إبرام معاهدة الصلح،التي جاءت في واحد وثلاثين بندا،وتناولت جميع النزاعات القائمة بين البلدين.كما جرى الاتفاق كذلك على افتداء الأسرى[3].

ثانيا–البعثات الدبلوماسية، والمعاهدات السياسية:

تُعَد المعاهدات السياسية،التي أبرمتها الجزائر مع فرنسا خلال القرن السادس عشر احد مظاهر الدور،الذي لعبه الأسرى الأوروبيون في العلاقات بين الجزائر،وفرنسا ؛إذ أننا نلاحظ وجود بنود تتناول شؤون الأسرى في كل معاهدة من هذه المعاهدات. كما كانت فرنسا ترسل بين الحين والآخر أحد مبعوثيها إلى الجزائر للعمل على افتداء الأسرى، ويحدث أحيانا أن تقوم بالإلحاح لدى الباب العالي حتى يقوم بالضغط على الجزائر لتمثل لأوامر مبعوثيها.

1–مهمة فرانسوا صافاري دي بريف:

لقد تصدعت العلاقات بين الجزائر وفرنسا بعد مضي أيام قليلة على تاريخ تجديد وتأكيد فرنسا لامتيازاتها لدى الدولة العثمانية بتاريخ 30 ماي 1604م،بفضل مجهودات سفيرها سفاري دو بريف.ويعود السبب المباشر في تصدع العلاقات إلى تدمير حصن فرنسا من طرف الجزائريين في جوان 1604م، لان هذا المركز لم يحترم الاتفاقيات التي تحصر نشاطه في صيد المرجان وإنما تعداه إلى شراء الحبوب بأسعار زهيدة وتصديره إلى مرسيليا ليجني بذلك أرباحا طائلة هذا في الوقت، الذي كانت فيه البلاد تمر بظروف صعبة تتمثل في المجاعة، التي هددت حياة السكان[4].

---

(1)عائشة غطاس:العلاقات...،المرجع السابق،ص ص94-95.

(3) De Grammont :Relation…,Op.cit,p168.

(3)عائشة غطاس:العلاقات...، المرجع السابق،ص 95.

(4)عائشة غطاس:العلاقات...،المرجع السابق،ص ص 36-37.

اعتبر ملك فرنسا هذا الحادث إهانة لشرفه وأكد على إصلاحها فورا. وقد قدم احتجاجا لدى الباب العالي طالب فيه بإعادة بناء الحصن وتعويض سائر الخسائر، التي لحقت التجار الفرنسيين[1].

وبعد مرور سنة على هذه الحادث ونتيجة لإلحاح فرنسا الكبير أوفد الباب العالي مبعوثا عنه، وهو الآغا محمد خوجة بغرض تسوية الخلاف الحاصل بين الطرفين. وعلى الرغم من سلوكه العنيف والمثل في قتل الباشا ومصادرة ممتلكاته، إلا أن ذلك لم يؤد إلى أية نتيجة[2].

وبعد فشل هذه المفاوضات أوكلت فرنسا مهمة التفاوض إلى السفير فرانسوا سفاري دو بريف، الذي كان سفير فرنسا في إسطنبول وصحبه الخوجة مصطفى، الذي حمل معه فرمانا سلطانيا يلزم الجزائر باحترام وتنفيذ ما نصت عليه معاهدة الامتياز والامتثال لمطالب فرنسا[3].

وبعد أن انتهى دوبريف من مهمته في تونس اقلع بسفينته باتجاه الجزائر، التي وصلها في أواخر سبتمبر من سنة 1606م.وعلى الرغم من الاستقبال، الذي حظي به دوبريف على متن سفينته؛ إذ قدم له ما لذ وطاب غير أنه منع من النزول إلى البر، بينما سمح لمرافقه الخوجة مصطفى بمغادرة السفينة،وقام بنقل مطالب المبعوث الفرنسي.ولكن بمجرد استماع أعضاء الديوان إلى مطالب المبعوث ،أعربوا عن عدم امتثالهم لأوامر السلطان وثاروا على موفد السلطان.وظل دوبريف على متن سفينته لمدة تزيد عن الشهر، و لم يحصل على رخصة بذلك إلا بعد تدخل الرايس مراد لدى الديوان[4].

لقد فشل دوبريف في تحقيق مساعيه المتمثلة في افتداء الأسرى، وإعادة بناء المركز الفرنسي رغم

قيامه برشوة بعض أعضاء الديوان لاعتقاده بأنه سيحظى بدعمهم عن طريق رشوتهم[5].

---

(1)نفسه:ص37.

(2)نفسه:ص ص37-38.

(4) François Savary de Brèves :**relation des voyage de M.de Brèves** tant en **Grèce terre sainte et Egypte qu'aux royaume de Tunis et d'Alger**, Nicolas Gasse éditeur, Paris1628,p365.

(4) ibid:p373.

(5)عائشة غطاس:المرجع السابق،ص39.

وقبل الحديث عن هذه المعاهدات لابد من الحديث عن العلاقات السياسية بين الطرفين قبل توقيع أول معاهدة بينهما في سنة 1619م.

2-معاهدة 5 ربيع الثاني 1928م/ مارس 1619م:

تعد هذه المعاهدة أول معاهدة سياسية بين الجزائر وفرنسا، إذ لم يسجل قبل هذا التاريخ توقيع أية اتفاقيات أو معاهدات ثنائية تحدد الشؤون المشتركة الخاصة بالبلدين على الرغم من أنّ العلاقات الرسمية بينهما تعود إلى سنة 1578م،وهي السنة، التي أنشئت فيها أول سفارة فرنسية في الجزائر[1].

وقد سبق هذه المعاهدة توتر للعلاقات بين الجزائر وفرنسا حاول دوبريف إزالته إلا انه فشل. وقد زادت حادثة المدفعين، الذين سرقهما سيمون دانصا (Simon Dansa) البحار الفلامنكي ذو الجنسية الفرنسية، الذي دخل مدينة الجزائر في حوالي سنة 1606م وبدأ في ممارسة نشاط القرصنة وقد حقق في ذلك نجاحات باهرة مما اكسبه شهرة كبيرة بين الأهالي زادت بعد أن ادخل تقنية جديدة وهي كيفية استعمال السفن الدائرية [2].ولمكافئته على جهوده أعاره الباشا مدفعين برونزيين سلح بهما سفينته، التي أصبح يجوب بها البحار. ولكنه سرق المدفعين وهرب نحو مدينة مرسيليا[3].

أثارت هذه السرقة غضب الباشا، الذي تقدم باحتجاجات عديدة لدى ملك فرنسا باعتبار أن دانسا أحد رعاياه، غير أن هذا الأخير تجاهل هذه الاحتجاجات كليا. ويلاحَظ بان هذا البحار لم يكتف بسرقة المدفعين، الذين قدمهما هدية إلى الدوق دوغيز، بل راح يحرض حكومته للقيام بحملة ضد مدينة الجزائر واقترح نفسه قائدا لها[4].

ونظرا للتجاهل المستمر للاحتجاجات الجزائرية من طرف الحكومة الفرنسية تصدعت العلاقات بين الطرفين بشكل نهائي وأصبحت الحرب سجالا بينهما. وهنا سعت فرنسا لإعادة

---

(1)نفسه،ص44.

(3) De Grammont :Relation,première partie,**les deux canons de Simon Dansa(1606-1628)** in<u>R.A</u>,V23,1879,p9.

(3) ibid :p13.

(4)عائشة غطاس:العلاقات...،المرجع السابق،ص ص40-41.

العلاقات وإحلال السلم مع الجزائر، فأرسلت إليها بعثة مرسيليَّة في سنة 1616م من دون أن تتطرق لمسألة المدفعين، وقامت بتحرير بعض الأسرى الجزائريين لتسهيل مهمة التفاوض، ولكن هذه المفاوضات باءت هي الأخرى بالفشل؛ إذ لم يتفق الطرفان حول فحوى المفاوضات خاصة وأن الجزائر اشترطت إرجاع المدفعين قبل البدء في أية مفاوضات[1].

وقد تدخل الباب العالي في هذه المرة لتحسين العلاقات بين الطرفين بعد إلحاح فرنسا على ذلك. فجاء إلى الجزائر سنان شاوش ،الذي زوده بفرمان سلطاني يقتضي بتنفيذ أوامر فرنسا. ومن ناحية ثانية هددت فرنسا بشن حملة عسكرية ضد الجزائر في حال رفضها إحلال السلم. فوافقت الجزائر على استئناف المفاوضات، وأرسلت مبعوثين إلى فرنسا وهما كنان آغا ورزان باي. وبعد محادثة ثنائية بين الطرفين تم عقد معاهدة بتاريخ 21 مارس 1619م[2].

تنص هذه المعاهدة على احترام المعاهدات، التي أبرمتها الدولة العثمانية وفرنسا وعدم المساس بها بشكل مباشر أو غير مباشر.ولكن أهم ما جاء فيها التزام كل من الطرفين على إيقاف الأعمال العدائية ضد الطرف الآخر. وحصول فرنسا على حق عدم تفتيش سفنها من طرف البحارة الجزائريين حتى وان كان على متنها رعايا أو سلع لدول معادية للجزائر.أما البحارة الجزائريون الخواص فهم ملزمون قبل خروجهم بتقديم ضمانات بعدم تعرضهم للمراكب الفرنسية، وعدم أخذها إلى موانئ أخرى خارج مملكة الجزائر[3].

ويُمْنَعُ كذلك قراصنة البلدان الأخرى بنقل الأسرى الفرنسيين إلى الموانئ الجزائرية وبيعهم بها.أما إذا وقع حادث من هذا النوع فيطلق سراح الأسرى فورا مع إرجاع مراكبهم ،وأمتعتهم إليهم. كما اتفق الطرفان كذلك على تبادل إطلاق سراح الأسرى بعد ثلاثة أشهر من تاريخ توقيع هذه المعاهدة.وتعهدت الجزائر من جهتها كذلك بمعاملة الرعايا الإسبان،والإيطاليين مثل معاملتها للرعايا الفرنسيين إذ سوف لن يقع أحد منهم أسيرا لدى الجزائريين مستقبلا[4].

3-معاهدة13 رجب 1037ه/19 مارس 1628م:

---

(1)عائشة غطاس:المرجع نفسه،ص ص42-43.

(2)نفسه:ص43.

(3)جمال قنان:**معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م**،وزارة المجاهدين،الجزائر2007م،ص56.

(4)نفسه.

لقد أوفد ملك فرنسا إلى الجزائر لتوقيع هذه المعاهدة المدعو **سانصون نابولون** Sanson)

(Nappolon،الذي خرج قاصدا مدينة الجزائر في يوم 9 جوان 1626م،ووصلها في يوم 20 من نفس الشهر. ومثل بعد ذلك أمام أعضاء الديوان عارضا عليهم رغبة ملك فرنسا في إحلال السلم بين الطرفين عن طريق توقيع معاهدة ،بعد أن قدم لهم هدايا قيمتها ثمانية عشر ألف ريال ولكنه لقي معارضة من طرف بعض أعداء الديوان. وهنا بدا نابولون مساعيه لإقناع الرافضين للمعاهدة بالتوقيع عليها بادلا في ذلك كل جهوده[1].

أما المعارضون لتوقيع هذه المعاهدة فقد أعربوا لأعضاء الديوان بان التوصية، التي جاء بها من نابولون من طرف السلطان العثماني [2] مزورة ،ولذلك قرر الديوان إيفاد عشرين رجلا من طرفه إلى السلطان العثماني للتأكد من مدى صحة التوصية. كما أعلم نابوللون من جهته السفير الفرنسي عن ما جرى.وعاد الوفد في ربيع 1037هـ/1627م إلى مدينة الجزائر محمَّلا بأوامر من السلطان العثماني تقتضي بالعمل على توقيع اتفاقية الصلح مع فرنسا [3].وصحبهم حسين ،الذي عُيِّن باشا بدلا عن خسرو باشا ،الذي مات نظرا لإصابته بالوباء[4].

---

(1) De Grammont :**Relation…,La mission de Sanson Nappolon**, première partie,in,R.A , V23,1879,p145.

(2)هو السلطان مراد الرابع ولد في سنة 1020هـ/1611م،وجلس على العرش في يوم 14 ذو القعدة 1032هـ/9 سبتمبر1623م، وكان عمره وقتها احدى عشرة سنةً. حدثت في ولايته عدة حوادث منها: استيلاء الشاه عباس(ايران) على بغداد، واتحاد النمسا والمجر ضد الدولة العثمانية وإعلانهما الحرب عليها في سنة 1037هـ/1626م ،غير أنهما طلبتا الصلح والتوقف عن القتال لمدة خمسٍ وعشرينَ سنةً. وفي هذه الأثناء أيضا اتفق كل من والي مصر وشريف مكة سرا على الدولة العثمانية، وظهر أيضا في اليمن احد أفراد الطائفة الزيدية ادعى بأنه الخليفة الحقيقي للمسلمين واستولى على اليمن وقتل شريف مكة. وبالحديث عن بغداد فإن خسرو باشا حاول محاصرتها في سنة 1040هـ/1631م ،ولكنه فشل في استردادها.وفي سنة 1042هـ/1633م قضى السلطان مراد الرابع على جميع الأشقياء ومثيري الفتن، الذين كانوا في بلاد الأناضول فيها ،واطفأ الفتن التي كانت قد اندلعت في الحجاز ومكة المكرمة. ثم أعلن الحرب على شاه الفرس من سنة 1044هـ/1635م-1046هـ/1637م لاسترداد بغداد، وقد حصل ذلك في سنة 1048هـ/1639م بعد أربعين يوما من الحصار. وقد توفي السلطان مراد الرابع في سنة 1048هـ/1639م وعمره ثمان وعشرون سنة. انظر إبراهيم بك حليم: **تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية** ، ط 1، مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت 1408هـ/1988م،ص ص 126،134.

(3) De Grammont :Relation…,La mission..., première partie,V23,pp125-126.

(4) De Grammont :Histoire d'Alger,p162.

وقد عقد الديوان مجلسا كبيرا طالب في الأعضاء بتحرير أسراهم المتواجدين على متن الغاليرات في مرسيليا، وإرجاع المدفعين الذين كان سيمون دانسا قد أخذهما وهرب إلى فرنسا حتى يمتثلوا لأوامر الباب العالي[1].

رجع نابوللون إلى فرنسا في شهر ماي وعرض على الملك هذه التفاصيل، فأصدر في يوم 6 نوفمبر أوامره إلى جميع المقاطعات للقيام بعملية جمع الأسرى الجزائريين ووضع بين يدي القنصل مبالغ مالية قدرت بمائتي ليرة عن كل أسير. وقد وُجِّه المبلغ لشراء الأسرى، الذين كانوا مجدفين على متن السفن. ولكن هذه المبالغ المالية لم تكن لتكفي جميع هؤلاء الأسرى ،فاضطرت مدينة مرسيليا عند ذلك لتوفير مبلغ مالي كبير ،كما أخذت على عاتقها إعادة المدفعين ،الذين طالبت الجزائر بإرجاعهما منذ مدة طويلة ،وفرضت لأجل ذلك ضريبة خاصة. وفي هذه الأثناء كان نابوبللون يراسل الجزائريين ويتباحث معهم[2].وحالما عاد إلى الجزائر في يوم 17 سبتمبر 1628م كان قد رتب أموره مسبقا ،ووزع على الباشا والشخصيات ذات النفوذ خمسين ألف ليرةً ،وبعد يومين (أي 19) وقع الطرفان معاهدة السلم، التي أذيعت من فورها، وهدد الديوان بقطع رأس كل من يخالفها. كما تعهد هذا الأخير بإرسال رهينة إلى مرسيليا لضمان تطبيق هذه المعاهدة[3].

وقد استطاع نابوبللون تحرير عدد من الأسرى الفرنسيين، الذين كانوا في الجزائر ،واستعادة ثلاثة مراكب كان احدها محملا بالحرير وسلع أخرى لصاحبه لويس صوريب (Louis Soribe)، وكان الآخر محملا بالسلع كذلك لصاحبه كاربونو (Carbonneau).أرسلها نابللون إلى باريس مع الرهينة، التي تعهد الديوان بإرسالها لضمان السير الحسن للمعاهدة، بالإضافةإلى تقرير مفصل حول المعاهدة و ما تلاها من أحداث[4].

تعتبر هذه المعاهدة تتميما لمعاهدة 1619م؛إذ تعهدت فيها الجزائر بعدم اعتراض السفن الفرنسية وتفتيشها أو التعرض لراكبيها بسوء ومصادرة السلع،التي يحملونها معهم سواء كانت أمتعةً أو مؤناً أو حتى معداتٍ حربيةً.أما بضائع الدول المعادية للجزائر،والتي تكون محملة على متن السفن الفرنسية فعلى البحارة إحضارها لتُدْفَعَ عليها الرسوم الجمركية،وتُنْقَلَ بعد ذلك إلى

---

(1) ibid.
(2) De Grammont : Histoire d’Alger, p162-163.
(3) De Grammont : Relation…, La mission..., première partie, V23, p150.
(4) ibid.

الجهة،التي كانت متوجهة إليها.بينما يحق للجزائر استرقاق الفرنسيين،الذين يعملون على متن سفن أعدائها،ويحق لها كذلك مهاجمة السفن الفرنسية،التي كانت قد اعترضت على تفتيشها وأطلقت النار على السفن البحارة الجزائريين،واسترقاق ركابها[1].

كما تناولت المعاهدة كذلك مسألة اعتناق الفرنسيين للإسلام؛ إذ لا يجوز إرغامهم على ذلك. أما من اختار الإسلام فعليه الامتثال أمام الديوان لكي يعلن بان دخوله كان عن اقتناع منه،وليس عن كراهية.كما يُمْنَعُ من ناحية أخرى ختان الأولاد الصغار بالقوة[2].

وأخيرا أمّنت المعاهدة حقوق الرعايا الأجانب المقيمين في فرنسا،والفرنسيين المقلين لسفن أعداء الجزائر؛ إذ يمنع استرقاقهم مقابل إظهارهم للوثائق،التي تثبت أنهم من رعايا ملك فرنسا.كما التزمت الجزائر بمنع أعداء الفرنسيين ببيع هؤلاء في موانئها.ولتأكيد الطرفين على حرصهما على إحلال السلم،فقد تعهدا بقطع رؤوس كل من يخالف هذه البنود[3].

4-مهمة صونصون لوباج(Sonsan Le Page):

لقد عين الملك صانصون لوباج خلفا لنابوللون على رأس المراكز الفرنسية بتاريخ 9 ديسمبر 1633م، وكلفه فوق ذلك بالتوجه إلى مدينة الجزائر للعمل على تحرير الأسرى الفرنسيين ،والمطالبة بإدخال بعض التعديلات على معاهدة 1628م.وابحر إلى الجزائر في يوم 12 جويلية 1634م.ويبدو أن لوباج لم يكن يتوقع الإفراج عن الأسرى ولذلك اصطحب معه الأب بيير دان التابع لنظام الثالوث المقدس العامل على افتداء الأسرى المسيحيين. بالإضافة إلى مبلغ مالي معتبر لافتداء الأسرى الفرنسيين[4].

وقد عرض نابوللون الموضوع، الذي جاء لأجله في يوم السبت وهو اليوم المخصص لاجتماع أعضاء الديوان، الذين استقبلوه استقبالا حسنا، ووعدوه بالإفراج عن الأسرى وأذاعوا إعلانا في كامل أرجاء المدينة يتوعد كل من يعارض أوامر السفير بالقتل، كما أمر بإعفاء كل الأسرى

---

(1)جمال قنان:المرجع السابق، ص ص63-64.

(2)نفسه:ص64.

(3)نفسه.

(4) De Grammont :**Relation…,La mission de Sanson Le Page et les agents intérimaires** (1633-1646), V23, 1879, pp417-418.

الفرنسيين من الأشغال الشاقة. غير أن أيًّا من هذه الوعود لم يتحقق لان الجميع كانوا في انتظار الباشا الجديد، الذي جاء من القسطنطينية بدل الباشا حسين[1].

جاء الباشا الجديد إلى مدينة الجزائر بعد يومين، والتقى مع لوباج في اليوم ،الذي تلا تنصيبه وأفهمه بداية بأنه لن ينفذ شيئا بدعوى انه يجب أن يستغرق وقتا في دراسة القضايا العالقة في البلد ،وانه سيعمل على تنفيذها بعد مضي ثلاثة أسابيع. واستغل هذا الوقت في السعي للحصول من الديوان على الإذن بالتعامل مع فرنسا مباشرة وبدون وجود واسطة[2].

وكان الباشا الجديد وهو يوسف رجلا جشعا يسعى لجمع المال وقد اعتقد الحصول على الثروة ولذلك أخذ في المناورة؛ إذ أنه أعرب عن عدم استطاعته إرجاع المراكب، السلع، والأسرى الذين بيعوا من دون دفع تعويضات لذا لا بد من انتظار عقد مزاد عام حتى تجمع كل هذه الغنائم. أما من دون دفع تعويضات لذا لا بد من انتظار عقد مزاد عام حتى تجمع كل هذه الغنائم. أما الفرنسيون وحالما سمعوا بهذه الأنباء جددوا اعتداءاتهم على الجزائريين[3].

وهنا تدخل الأب دان في محاولة منه لشراء الأسرى بالتراضي. كما تقدم لوباج إلى الديوان بطلب آخر، وعرض مبادلة ثمانية وستين جزائريا موجودين في مرسيليا بالفرنسيين الثلاثمائة والاثنين والأربعين أسيرا فرنسيا ،الذين تم أسرهم واحتجازهم في الجزائر هذا الاقتراح ناسب الديوان مما أعطى للوباج أملا في نجاح مسعاه ،غير أن يوسف باشا اخذ في المناورة مرة ثانية وادعى بان قسما من هؤلاء الأسرى قد بيع في مالطة منذ مدة طويلة. كما أراد إعطاء الفرنسيين نفس العدد مع الجزائريين، الذين سيتم تبادلهم إلا أن عائلات الأسرى طالبوا بالإسراع في تنفيذ هذه العملية حتى يعود أهلهم وأخذوا في الضغط على الباشا مطالبين بإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين حتى يطلق هؤلاء أسراهم، عند ذلك اشترط الباشا إرجاع الأسرى الجزائريين ولضمان ذلك عرض لوباج نفسه رهينة غير أنّ عدم

قبول الباشا لذلك أدى بلوباج إلى الرجوع إلى فرنسا من دون أن يحقق شيئا[4].

---

(1) ibid :p422.
(2) ibid :p423.
(3) ibid.
(4) ibid :p425.

5-معاهدة 17 ربيع الأول 1050ه/7 جويلية 1640م:

لقد أعقبت الحملات الفرنسية الفاشلة على مدينة الجزائر فترة من الركود العلاقات الجزائرية الفرنسية؛ إذ لم يحاول أي طرف إعادة العلاقات إلى مجاريها ذلك أن انشغال فرنسا بحروبها ضد إسبانيا قد حال دون سعيها إلى الصلح، أما الجزائر فلم تكن تهتم كثيرا بذلك[1].

والجدير بالذكر أّن هذه المحاولة لم تصدر عن الجهات الرسمية الفرنسية، وإنما كانت بمبادرة من أحد التجار الخواص، والذي كان أحد أسرى الباستيون ويدعى دي كوكيال. ولأنه كان من أصحاب المصالح التجارية فإنه رأى بان توتر العلاقات بين الطرفين سيكلف التجارة الفرنسية خسائر كبيرة ولذلك فقد عمل على إعادة السلم[2].

ولقد أحرز دي كوكييل بفضل دهائه موافقة الحكومة الفرنسية على توقيع هذه المعاهدة. وبعد جهد استغرق سنتين تمكن من إبرام معاهدتي سلم إحداهما سياسية والأخرى تجارية[3].

وجاءت بنود هذه المعاهدة السياسية تأكيدا لبنود معاهدة 1628م؛إذ اتفق فيها الطرفان على عدة نقاط منها: اتفاق الطرفين على تبادل اطلاق سراح الأسرى، وعلى عودة التجار ومستخدمي الباستيون إلى مراكزهم. كما ضبط الطرفان قضية تفتيش المراكب الفرنسية حتى غدا ممنوعا على الجزائريين تفتيشها في البحر وإنما يمكنهم سوقها إلى الجزائر في حالة ما إذا كانت لهم شكوك في كونها تحمل بضائع لرعايا دول معادية وفي هذه الحالة فإنه يدفع أجرة الكراء لأصحاب المراكب.كما ضبطت قضية الرعايا الفرنسيين، الذين يوجدون على متن سفن أعداء الجزائر.ولضمان عدم التعرض للمراكب الفرنسية مرة أخرى في هذا الاتفاق الجديد. ولضمان عدم التعرض للمراكب الفرنسية من طرف السفن الجزائرية، التي لا يقودها ضباط الديوان فقد ألزم رياس هؤلاء السفن بدفع تعويضات عن الخسائر التي قد يلحقونها بالمراكب والرعايا الفرنسيين[4].

---

(1)عائشة غطاس:العلاقات...،المرجع السابق،ص59.

(2)نفسه.

(3)نفسه.

(4)جمال قنان:المرجع السابق،ص ص68-69.

6-معاهدة 12 ذو القعدة 1076ه/17 ماي 1666م:

لقد اندلعت في هذه الفترة الحرب بين إنجلترا والأراضي المنخفضة، التي كان ملك فرنسا قد التزم بالوقوف إلى جانبها. ولذلك أعلنت فرنسا الحرب على إنجلترا، فسعت فرنسا لضمان حياد الجزائر في هذه الحرب ولذلك سعت لإبرام معاهدة سلم معها في المرحلة الأولى ثم السعي إلى تطوير هذه المعاهدة للتحول إلى حلف موجه ضد إنجلترا والدول الأوروبية الأخرى المعادية لها[1].

وقد أرسل دي بورديو إلى البلاط الملكي يعلمهم بأن شعبان آغا يسعى للصلح مع فرنسا، ولذلك سيكون من السهل على فرنسا توقيع معاهدة معه وإرجاع الأسرى، الذين اخذوا بعد الحملة على جيجل. وقد تلقى تروبير الذي كان احد النبلاء والمفتش العام للبحرية أوامر بالاهتمام بهذه القضية. وبعد التحضيرات المكثفة من طرف القنصل استطاع توقيع معاهدة سلم مع فرنسا بتاريخ 17 ماي 1666م[2].

تضمنت هذه المعاهدة بعض التجديدات لبنود المعاهدات السابقة:ففيما يتعلق بمسالة تفتيش المراكب الفرنسية في البحر وهو الموضوع،الذي كان مصدرا للخلافات المستمرة بين الطرفين نظرا من جهة لإساءة استعمال الفرنسيين للتسهيلات،التي منحتها لهم الجزائر عندما كانوا ينقلون على متن سفنهم بضائعا وأشخاصا دون الأخذ بعين الاعتبار فيما إذا كان هؤلاء رعايا دول معادية للجزائر أم لا،وقيام الجزائر كرد فعل على هذا بتفتيش السفن الفرنسية،وأسر الأشخاص وحجز بضائع الرعايا من أعدائها مما كان سببا في التوترات،والنزاعات القائمة بين البلدين[3].

كما سعت هذه المعاهدة في محاولة منها لتجنب المشاكل إلى إقرار مبدأ التفتيش مرة أخرى مقابل تزود البحارة الجزائريين بشهادة مستخرجة من القنصلية الفرنسية بالجزائر تثبت كونهم جزائريين وليسوا من تونس أو طرابلس أو سلا؛إذ أنّ المراكب والسفن المغربية في هذه الفترة كانت ترفع كلها رايات مماثلة إضافة إلى وحدة اللغة التي تجمعهم،جعلت من الصعب على الفرنسيين التمييز بين من هم جزائريون وغيرهم.ولهذا السبب قبلت السلطات الجزائرية فكرة استخراج الشهادة أيّ جواز السفر من القنصلية الفرنسية لإثبات هوية البحارة الجزائريين.كما أنّ

---

(1)جمال قنان:المرجع نفسه:ص78.

(2) De Grammont :Histoire…,pp217-218.

(3)جمال قنان:المرجع السابق،ص ص80-81.

هذا الاتفاق ينص على إطلاق سراح الأسرى من البلدين.ولما كان عدد الأسرى الفرنسيين بالجزائر يفوق عدد أسرى فرنسا بالجزائر،فقد تطلب الأمر توقيع اتفاق خاص بالأسرى ملحق بهذه المعاهدة،والذي سيحدد المبلغ الذي يدفع لافتداء الأسرى الفرنسيين،أما أولئك الذين سيتم استبدالهم رجلا برجل فلن يدفع أي شيء من احد من الطرفين.ومن الأمور،التي أقرّتها هذه المعاهدة وهو مبدأ على درجة كبيرة من الخطورة:وهو عدم جواز أسر واسترقاق أي فرنسي تم أخذه من أية سفينة معادية سواء أكان هذا مجرد مسافر أو واحدا من الملاحين أو جنود السفينة[1].

أما في شهر فيفري من سنة 1670م،فقد أضيفت عدد من البنود إلى هذه المعاهدة،والتي تناولت عددا من المسائل منها:اعتبار ملاك السفن مسئولين عن الخسائر،التي يلحقها بحارتهم بسفن الطرف الآخر،وتحميل رياس المراكب المسؤولية المباشرة في الاعتداءات،التي تحدث في البحر،ومعاقبتهم معاقبة جسدية.وأكدت هذه البنود من جهة أخرى على قضية عدم جواز اسر واسترقاق أيّ فرنسي وتحت أية صورة اخذ عليها،وإذا ما وجدت هناك شكوك حول هويته الحقيقية فانه يحجز مبدئيا إلى أن يتم تبين أمره.ونفس المعاملة يحظى بها الأسرى الجزائريون في فرنسا[2].

7-معاهدة 2 جمادى الأولى 1096ه/24 أفريل 1684م:

لقد صادف رجوع الأميرال دوكين إلى فرنسا حدوث أزمة بسبب إعلان أسرة آل هابسبورغ،النمساوية، التي تحكم ألمانيا إعلان الحرب عليها.ولذلك قررت فرنسا أن تتبع سياسة جديدة مع الجزائر تتمثل في الاعتدال،ذلك أن وجود بحارتها في مكان آخر حيث الحاجة إليهم شديدة أجدى وانفع من وجوده في هذه الأخيرة.ولذلك جاء إلى الجزائر الأميرال دي تورفيل إلى الجزائر في يوم 2أفريل 1684م بصحبة القابجي، الذي أوفده السلطان العثماني ليوضح بان العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا جيدة، وان هذه الأخيرة ترغب في أن تُحَسِّن علاقاتها مع الجزائر. وقد اتسم دي تورفيل بالمرونة مع الجزائريين على عكس دوكين، الذي تصرف بخشونة شديدة[3].

---

(1)جمال قنان: المرجع نفسه:ص81.

(2)نفسه: ص82.

(3)جون وولف:المرجع السابق،ص ص348-349.

لقد التزم الطرفان بإطلاق سراح الأسرى كل من البلدين حسب القوائم،التي سيتم تبادلها بينهما،وتعهد مدير الباستيون من جهته بنقل الأسرى الجزائريين من فرنسا إلى ميناء الجزائر؛حيث يتم تبادلهم مع الأسرى الفرنسيين رجلا برجل.وقد أكدت فرنسا كذلك على مسالة الأسرى هذه بحيث تم التعرض إليها في عدد من البنود استهدفت التأكيد على ضرورة إطلاق سراح كل الأسرى الفرنسيين،الذين وقعوا في الأسر قبل 1670م؛ حيث اتفق على فدية هؤلاء بمبلغ ثلاثمائة جنيه فرنسي عن كل أسير مهما كان المبلغ،الذين اشتري به.وقد أكدت هذه المعاهدة مرة أخرى على عدم جواز أسر أي فرنسي من على متن سفينة معادية أو أجنبي على ظهر سفينة فرنسية تحت أية صفة كان عليها[1].

8-معاهدة10 ذو الحجة 1100ه/24 سبتمبر 1689م:

لقد سبقت هذه المعاهدة حملة الماريشال ديستري على مدينة الجزائر، الذي انسحب بناء على أوامر الملك، الذي كلن يحضر لغزو منطقة الراين. كما أن المجلس الملكي خشي على ضياع تجارة فرنسا في الشرق واحتكار الإنجليز لها لأنهم كانوا يعملون بنشاط للحصول على ذلك. وهنا عمل الفرنسيون على التفاوض مع الجزائر فأرسلوا المترجم القنصلي ميركاديي (Mercadier).لقد كان هذا الرجل بارعا جدا، وفي منتصف سنة 1689مكتب إلى دي فودري (Vaudré) بأن الداي يحضر لإعادة العلاقات بين البلدين عن رغبة منه. وحالما سمع المجلس الملكي بذلك أرسل إلى الجزائر مفتش البحرية المدعو مارسيل، الذي وصل في بداية سبتمبر، واستطاع في يوم 25من نفس الشهر أن يجدد معاهدة دي تورفيل مع إدخال بعض التعديلات عليها. وأرسل محمد الأمين إلى فرساي لكي يحصل على توقيع الملك[2].

لم تدخل هذه المعاهدة تغييرات جوهرية على ترتيبات معاهدة سنة 1684م،إلا فيما يتعلق بقضية الأسرى.فبعد الأخذ والرد اتفق الطرفان على تسوية المسالة بالشكل التالي:وهو حرية شراء الأسرى بدون تمييز بالنسبة لكل من الطرفين،ما عدا بحارة سفينتين جزائريتين فقد تم التنصيص بخصوصهم على أن يتم شراء كل واحد من عساكر الأوجاق بمائة وخمسين قرشا والبحارة الآخرين بمائة قرش وفي مقابل ذلك فان السلطات الجزائرية سترد عددا مماثلا من الأسرى

---

(1)جمال قنان:المرجع السابق، ص ص 98،100.

(2) De Grammont :Histoire…,p257.

الفرنسيين بنفس السعر الأخير على كل واحد مهم أي مائة قرش.ومما يلاحظ بخصوص هذا الترتيب هو أن قضية الأسرى لا يزال يحيط بها الغموض؛ذلك أن الطرفين لم يلتزما برد أسرى بعضهما البعض وإنما تعهدا بكونهما سيسمحان بذلك فقط،وغير ملزمين بإجبار سادة الأسرى بقبول افتدائهم[1].

المبحث الثاني:

دور الأسرى الأوروبيين في العلاقات مع إسبانيا:

ويتجلى دور الأسرى الأوروبيين في علاقات الجزائر مع إسبانيا، من خلال:

أولا–الحملات العسكرية:

1–حملة أندريا دوريا على شرشال في سنة 938ه/1531م:

لقد كان تحطيم الجزائريين لحصن البنيون في سنة 1529م،وهو الحصن ،الذي كان يهدد مدينة الجزائر إلى انتشار موجة غضب كبيرة في إسبانيا،وخاصة لدى سكانها المقيمين على السواحل،والذين راسلوا السلطة الحاكمة في بلادهم راجين منها وضع حد للهجمات،التي قد يشنها البحارة الجزائريون على مدنهم الساحلية مستقبلا[2].

وقد وضع الجزائريون بدورهم في الحسبان قيام الإسبان بشن هجمات أخرى على مدينتهم فادى بهم ذلك إلى زيادة التعزيزات في القوات في سنة 937ه/1530م.ومن بين هذه الجهود إلحاق أحد الرياس المشهورين للعمل تحت إمرة خير الدين وهو سنان باشا؛إذ كان هذا القرصان قد قام بالعديد من الهجمات على السواحل الإيطالية،والإسبانية انطلاقا من جزيرة جربة، التي كان

---

(1)جمال قنان: المرجع السابق،ص117.

(2)عزيز إلتر:المرجع السابق،ص ص93-94.

يتخذها مقرا له.ولما علم خير الدين بقوة هذا القرصان أرسل له بعض الهدايا الثمينة داعيا إياه للالتحاق بالجزائر والعمل ضمن قواتها[1].

لبى سنان باشا نداء خير الدين وأبحر باتجاه الجزائر يقود ستا وعشرين سفينةً مختلفة الأنواع.كما رافقه بحار آخر يدعى على كرمان،الذي كان في حوزته أربعُ سفنٍ وضعها تحت تصرف خير الدين فزاد عدد وحدات الأسطول الجزائري،التي أصبح عددها ستين عمارةً من بينها عشر غاليرات [2].

كما قام خير الدين في خطوة أخرى ببناء رصيف في مدينة شرشال،التي تتوفر على ميناء طبيعي عمل خير الدين على توسيعه،وجعله آمنا؛فبعد أن تمكن من القضاء على احد معارضيه ويدعى قارة حسن،والذي كان يتخذ من مدينة شرشال مركزا له،قرر جعلها معقلا حصينا لبحريته،ويؤمن بذلك الجهة الغربية لمدينة الجزائر لتتمكن من مواجهة الخطر الإسباني،الذي كان قائما وقتها في وهران والمرسى الكبير[3].

ولما علم شارلكان بأن خير الدين يعمل على جمع البحارة، ويستعد للهجوم على مضيق جبل طارق فانه أمر أندريا دوريا بالخروج على رأس سفنه وسفن نابولي وصقلية لمواجهة خير الدين [4].وقد وقع اختيار دوريا على شرشال بدل مدينة الجزائر لاعتبارات عديدة أهمها:علمه بالتحصينات، التي أنشأها فيها خير الدين،ولأن الإسبان فقدوا حصن البنيون، الذين كانوا يهددون من خلاله مدينة الجزائر،بالإضافة إلى كون شرشال أقرب المناطق قربا من إسبانيا،التي لا تفصلها عنها سوى بضع ساعات بحرا[5].

---

(2)عبد القادر فكاير:**الصراع الجزائري الاسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، والمعاصر، بإشراف د/جمال قنان،قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2000-2001م، ص ص131-132.

(3) C.H de Rotalier : **Histoire des etats barbaresques qui exercent la piraterie**, 2T, Paris 1757, T2, p166.

(1) Diego de Haedo :Histoire...,Op.cit,p44.

(2)مارمول كاربخال: **إفريقيا**،تر محمد حجي وآخرين، دار نشر المعرفة، الرباط 1408-1409هـ/1988-1989م،ص361.

(3) ibid.

خطط دوريا إذن للهجوم على مدينة الجزائر آملاً أن يحرر أكثر من سبعمائة أسير كان خير الدين قد وظفهم في الأشغال العامة،وهنا يقول هايدو:«لقد قيل وأكّد لي بعض المساجين هذه الأيام أن بعضهم قد كاتبوا الأمير دوريا يطلبون منه إنقاذهم وبينوا له سهولة المهمة استعادة حريتهم واحتلال المدينة وتهديم الرصيف[1]».

وكان دوريا يعلم بأنّ هذه المدينة لم تكن تمتلك إلا رجال الحامية،التي نصبها خير الدين بربروس للدفاع عنها،إضافة إلى من انضم إليهم من متطوعي المدينة،وبذلك هي لن تصمد أمام هجومه طويلا،كما أدرك بأنه إذا استقر هو ورجاله في قلعتها فان خير الدين لن يستطيع إبعاده عنها[2].

وبعد استعداد دام قرابة السنة خرج دوريا في جويلية 1531م من جنوة على رأس عشرين غاليرة،ووصل إلى المدينة قبل طلوع الشمس [3]،أي انه وصلها قبل خير الدين وأرسى قواته،التي كان تعدادها حوالي ألفا وخمسمائة رجلٍ بالقرب من المدينة دون أن يتعرض لمقاومة تُذْكَر،وأعطى الأوامر لجنوده بالتوغل في داخل المدينة،والشروع في نهب وسلب منازلها دون تردد،وتخليص الأسرى المسيحيين العاملين على إنجاز رصيف المدينة،والبالغ عددهم ثمانمائة أسير،كآخر خطوة من خطوات الهجوم[4].

وحين علمت حامية المدينة وأهاليها بأمر وصول دوريا ورجاله،تشاوروا فيما بينهم على إخلائها حالا من السكان،والتجاء أفراد الحامية إلى القلعة لمناوشة الإسبان ربحا للوقت ريثما يصل المدد من مدينة الجزائر[5].

وكان أول ماقام به الجنود الإسبان هو البحث عن الأسرى الأوروبيين الموجودين بالمدينة،فلما عثروا عليهم أخرجوهم من مخابئهم،عند ذلك انضم إليهم هؤلاء ودلوهم على بيوت أعيان المدينة والأماكن،التي من الممكن أن تحوي مخابئ الأموال،وغير ها من النفائس.وهنا انقسم

---

(4) ibid.

(5) أحمد توفيق المدني:**حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا1492–1792م**،ط2،ش.و.ن.و،الجزائر1976م،ص223.

(3)عبد القادر فكاير:المرجع السابق،ص134.

(4)عزيز التر:المرجع السابق،ص95.

(2) Diego de Haedo :histoire...,Op.cit,p45.

أفراد الجيش الإسباني والأسرى إلى عصابات شرعت في النهب والسلب،واخذوا في اقتحام البيوت،بل وزاد بعضهم على ذلك بان خرجوا إلى الحدائق،والمزارع المحيطة بالبلدة[1].

وكان دوريا قد أعطى لجنوده إشارة معينة وهي طلقة مدفعية ما إن يسمعوها حتى ينسحبوا بموجبها من المدينة.غير أنّ الجنود لم يسمعوا هذه الإشارة أو أنهم تعمدوا ذلك،واستمروا في أعمال السلب،والنهب في داخل المدينة[2].

طلع النهار والجنود الإسبان والأسرى ما يزالون في داخل المدينة،عند ذلك اجتمع العثمانيون ومعهم بعض مسلمي الأندلس،الذين كانوا محاربين مهرة وانقضوا على الجنود الإسبان والأسرى المنشغلين بالسلب والنهب،فقتلوا منهم الكثير.بعد ذلك صعدوا إلى داخل القلعة،واخذوا في قصف السفن بالمدافع،التي كانت بداخل القلعة [3].وعندما رأى دوريا ما وقع للرجال،انسحب بسرعة كبيرة

لإنقاذ ما تبقى من الأسطول تاركا وراءه ستمائة رجل بين أيدي العثمانيين [4]،كان من بينهم معاون

أندريا دوريا [5].

2-حملة شارل الخامس على مدينة الجزائر في سنة 948ه/1541م:

لقد عزم شارل الخامس على إعداد حملة في سنة 942ه/1535م،للهجوم على مدينة الجزائر غير أن انشغاله بمشاكله الداخلية،وخاصة مشاكله مع منافسه فرانسوا الأول،حال دون ذلك،فلم يتحقق مخططه إلا في سنة1541م.

كان الإسبان في هذه الفترة يعانون من هجمات البحارة الجزائريين،الذين واصلوا أعمال القرصنة تحت قيادة حسن آغا،فكانوا يغيرون على المدن الساحلية،ويعودون بالأسرى،والغنائم إلى مدينة الجزائر فقلق الإسبان من إلحاق الضرر بتجارتهم في المتوسط،فقرر شارل الخامس وضع حد

---

(1)أحمد المدني:المرجع السابق،ص223.

(4) Diego de Haedo :histoire...,Op.cit,p45.

(5) ibid.

(4) De Grammont :Histoire d'Alger…,Op.cit,p37.

(2)عزيز التر:المرجع السابق،ص95.

لهجمات هؤلاء القراصنة.وحتى يتمكن من إعلان الحرب عليهم طلب شارلكان إعانة ماليةمن البابا،الذي كان يريد إنجاح هذا المشروع،فوافق على منحه نصف عائدات الكنيسة،وراسل من ناحية أخرى كلا من كاردينال طليطلة،وكاردينال بورغوس (Burgos)[1]،ورئيس أساقفة سفيلا،ورئيس أساقفة قرطبة[2].

ولكن شارلكان تردد مجددا في تنفيذ هذا المشروع،لكي لا يترك المكان شاغرا في أوروبا لمكائد فرانسوا الأول،ومن ناحية أخرى أراد أن يحصل على مدينة الجزائر من غير أن يفتح الحرب على خير الدين وابنه،لذلك قرر التفاوض معهما،واقل شيء قد يجنيه من وراء المفاوضات هو كسب خير الدين إلى جانبه،وبذلك سيفقد الباب العالي هذا الرايس الكبير،والبحارة العاملين تحت إمرته[3].

دامت المفاوضات بين الطرفين عامين كاملين تظاهر خير الدين من خلالهما بقبول العرض،والوقوع في الفخ،مما أوهم مبعوثي الإمبراطور بأنه قد وافق بالفعل على تنفيذ المشروع،في حين كان ينقل

للسلطان العثماني كل الأحاديث،التي كانت تتم بينه،وبين مبعوثي الإمبراطور[4].

دخل شارلكان في هذه المفاوضات السرية مع خير الدين بربروس،وحسن آغا طمعا في أن يتسلم منهما المدينة دون حرب كما ذكرنا سابقا مقابل تمكين خير الدين من أن يصبح قائدا عاما لشمال إفريقيا،ويعترف بالتبعية لشارلكان غير انه فشل في ذلك[5].

وبعد الانتهاء من الاستعدادات اللازمة، قام الإمبراطور شارل الخامس الهجوم على مدينة الجزائر في النصف الثاني من شهر أكتوبر 948هـ/1541م في سرية تامة،وصحبه كبار القادة

---

(1)هي بلدة إسبانية،وعاصمة لقشتالة القديمة. تقع على بعد سبعة وأربعين كيلومترا من مدريد. وقد اشتهرت هذه المدينة بصناعة الأقمشة. ومن أهم منشآتها الكنيسة الأسقفية ذات الشكل الهندسي الرائع انظر: Dubois et autrs:O.p, cit, T1, p281

(2) Monnreau et E.Watbled: **Négociation entre Charles-Quint et Khir-Ed-Din(15381540)**,in R.A, V15, 1871, p139-140.

(3) ibid:p140.

(4)مبارك الميلي:المرجع السابق،ج3،ص63.

(5)نفسه: ج3،ص64.

العسكريين من أمثال فيرديناند دي توليدو (Ferdinand de Toledo)القائد العام للجيش الملكي،وهيغو دي مونكاد قائد فرسان القديس يوحنا،وأندريا دوريا،وفرناند كورتيز (Fernand Cortès)،والكونت دالكوديت حاكم وهران،والدون فيرناند غونزاغ (Fernand Gonzague) نائب ملك صقلية، والدون فيرنادينو دي ميندوزا (Fernadino de Mendoza) حاكم حلق الوادي،وأخيرا حاكم ميلانو الماركيز ديل فاستو (del Vasto)،الذين كانوا قادة على جنود محترفين ومدربين جاءوا من مناطق عديدة في أوروبا،منها:ألمانيا،إيطاليا،وإسبانيا[1].كما انه عرج على وهران في طريقه إلى مدينة الجزائر لضم عدد من أفراد حاميتها إلى جيشه [2].وبذلك قدر عدد الجنود باثني عشر ألفا وثلاثمائة وثلاثين بحارا،وثلاثة وعشرين ألفا وتسعمائة بحار، فشكل هذا الجيش بذلك احد اكبر الجيوش في القرن السادس عشر[3].

أما الاستعدادات الجزائرية فتمثلت في اهتمام حسن آغا بتحصين المدينة ببناء أسوارها،وترميم ما كان قد تهدم منها،ونصب فيها المدافع ومن ناحية ثانية أمر بقطع أشجار البساتين حتى لا يختبئ الغزاة خلفها،وقد بدأ حسن بأشجار بستانه [4]. كما استعان حسن آغا ببعض زعماء مدينة الجزائر لصد هذه الحملة،ومن بينهم شيخ المدينة المدعو"سيدي سعيد الشريف"،و"الحاج مامي"وهو أحد أعيان المدينة،بالإضافة إلى بعض القادة من أمثال:القائد رمضان،القائد يوسف،القائد أرسلان،الحاج باشا،والقائد صفر[5].

وصل الأسطول الإسباني إلى مدينة الجزائر يوم الأربعاء 27 جمادى الثانية/ 19 أكتوبر[6]،ويصف لنا صاحب الغزوات شدة ضخامة هذا الأسطول فيقول«...وخُيِّل لأهل الجزائر

---

(3)مولاي بلحميسي:**غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر(948ه/1541م) بين المصادر الإسلامية والمصادر الغربية**،في مجلة تاريخ وحضارة المغرب،كلية الآداب،جامعة الجزائر،جويلية 1969م،ص43.

(2)عبد القادر فكاير:الصراع الجزائري...،المرجع السابق،ص181.

(5) De Grammont :Histoire…,Op.cit,p58.

(6) ibid.

(5) عبد القادر فكاير:الصراع الجزائري...،المرجع السابق،ص181.

(2) De Grammont :Histoire…,Op.cit,p58.

الجزائر حين طلعت هذه العمارة عليهم أنها جبل يسير في البحر،فحين أرست بذلك الجون خُيِّل لهم أيضا أنّ جبلا استقر هنالك...»[1].

لقد اضطرب أهالي مدينة الجزائر عندما رأوا هذا الأسطول العظيم،لذلك عمل حسن آغا على تهدئتهم،فجمع علماء البلد،ومشايخهم لتهوين الأمر عليهم؛إذ اخذ يقص عليهم ما حدث في زمن عروج وخير الدين.كما اخذ في استشارتهم لمعرفة ما يشيرون به عليه.ووزع عليهم السلاح،والبارود بعد أن اطمأنت نفوسهم[2].ثم أمر سيدي سعيدي الشريف بتوزيع الرجال على الأبراج والأسوار،كما قام بتعيين الضباط،الذي سيتولون قيادة حراس أبواب المدينة؛فعين الحاج مامي على باب عزون،والقائد يوسف وثلاثة من مساعديه وهم:صفر،أرسلان،ورمضان على رأس باب الوادي،وأخيرا وضع على رأس باب الجزيرة كلا من الضباط:كجوك علي،حيدر،والقبطان خضر.كما أحاط أهل المدينة،والأندلسيون بأسوار المدينة لحمايتها.وآخر عمل قام به حسن في هو تنصيبه لمدفع في احد الأبراج ليتولى قيادته بنفسه[3].

أما بالنسبة للأسطول الإسباني،فانه انتقل إلى المكان المعروف اليوم بالحامة في يوم الأحد 2 رجب/23 أكتوبر،وتقدمت مجموعة من السكان في محاولة منهم لمنع الإسبان من النزول إلى البر،إلا أن هؤلاء رموهم بالقذائف المدفعية من السفن فتفرقوا،عند ذلك نزل الإسبان إلى البر وتركوا الزاد على متن السفن لاعتقادهم بان الاستيلاء على المدينة سيتم في غضون ساعات قليلة [4].وأرسل إلى إلى حسن آغا رسالة يقول له فيها:«أيها الرجل أنت خديم من خدام باربا روشة،وإنا ملك إسبانيا بأسرها وجميع بلاد النصارى تحت طاعتي فكيف تحدث نفسك بمقابلتي أما تعرف أني استوليت على مدينة تونس،وأزعجت منها بربروشة لا يصدق النجاة بنفسه،وهي أعظم من الجزائر شانا وأحصن منها بنيانا وما أقمت عليها إلا مدة قليلة حتى دخلتها عنوة بسيفي وخرج منها سيدك هاربا فتحقق أنّ هذه المدينة نملكها كما ملكت مدينة تونس كيف وقد قدمت إليها بنفسي أيمكن أن ارجع إلى بلادي و لم احصل على الجزائر وان لم يأت لي أخذها في هذه الدفعة أطاول حصارها شتاء هذه السنة فمعي من المال والزاد ما يكفي هذه العساكر الذين معي وإن احتجت إلى المدد

---

(1)المجهول:المصدر السابق،ص116.

(2)الجديري التلمساني:المصدر السابق،ص15.

(3)فكاير:الصراع الجزائري...،المرجع السابق،ص182-183.

(4)مولاي بلحميسي:المرجع السابق،ص46.

فبلادي قريبة فكل ما احتاج إليه يصلني في اقرب مدة وقد أعطيتك الأمان هذه المرة فان قبلته فبها،وان لم تقبله وشرعت في الدفاع عن المدينة وأرهقك قتالنا إلى طلب الأمان منّا فإنّا لا نبذله لك فانظر لنفسك ودبر على من معك فإنّك إن عاندت ورفعت رأسك و لم تَمِل إلى ما دعوتك إليه أمرت العسكر يدفعون إلى المدينة دفعة واحدة ويقلعونها حجرا حجرا ويقتلون كل من فيها من كبير وصغير وها أنا قد أعذرت إليك» فلما وصلت هذه الرسائل إلى حسن آغا وقراها أمر بإرسال الرسالة التالية إليه:«يا كلب النصرانية كيف حدثتك نفسك أنك ملك الملوك، وإنك في مقام السلاطين العظام الذين دانت لهم الدنيا وهل أنت إلا كلب من كلاب النصارى اضعف ما في بلاد البربرية من القلاع لا تقدر على أخذها فكيف بمدينة الجزائر ولو سمع بك سيدنا السلطان الأعظم لأرسل إليك عبدا من عبيده مع شرذمة من عسكره فاستأصلك ومن معك ومع ذلك فان عسكر الجزائر ما يقابلك وسترى عاقبة أمرك فأجهد جهدك غير موفق ولا مسدد وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار،وقد استدللنا بكتابك على قلة عقلك فإنّ الإنسان لا يفتخر بشيء حتى يفعله،وقد أتيتم إلى هذه المدينة مرتين مرة في عهد عروج رئيس،ومرة في مدة أخيه خير الدين باشا وقد سود الله وجوهكم في المرتين،وهذه المرة كذلك إن شاء الله»[1].

وعندما حل الليل خرج الحاج باشا على رأس ألفين وستمائة رجل للهجوم على القوات الإسبانية،التي فوجئت بهذا الهجوم.وقد استمر الجزائريون في قتال الإسبان إلى الصبح.وحالما رأى الإسبان،الذين كانوا على متن السفن في إطلاق القذائف على المسلمين لإبعادهم فرجعوا إلى المدينة،بينما أحصى الإسبان خسائرهم فَقُدِّرت بأكثر من ثلاثة آلاف[2].

وأمام هذه الأوضاع أمر شارلكان بنصب المدافع،التي كان عددها مائتي مدفع وشرع في قصف

المدينة من منطقة "كدية الصابون" [3]،ثم قرر التحرك نحو المدينة لاحتلالها ومن اجل ذلك قسم قواته إلى ثلاثة أقسام ضم القسم الأول الإسبان، الذين عين لقيادتهم الدون فيرناندو دي غونزاغ،أما القسم الثاني المكون من الإسبان،الذين كانوا تحت إمرة القائد جورج

---

(1)المجهول:المصدر السابق،ص ص117-118.

(2)نفسه:ص119.

(3)المجهول:المصدر نفسه،ص ص117-118..

فانسبيرغ(George Fransberg)فتولى شارلكان قيادته بنفسه،وأخيرا كان القسم الثالث مكونا من الإيطاليين والمالطيين،ويقوده كامي كولون(Camille Colonne).وتحركت هذه القوات في يوم 3 رجب/ 25أكتوبر لاحتلال المدينة بينما استطاع المدافعون عن المدينة وعلى رأسهم الحاج باشا،الحاج مامي،خضر،والحاج بكير جعلهم يتراجعون نحو رأس تافورة،ومن هناك اخذوا في قصف المدينة،بينما أخذ أهلها يردون عليهم بالمثل بل واخذوا في قصف سفنهم الراسية في الميناء[1].

أما في اليوم الموالي«...فهاجت الريح وساقت السحاب أمثال الجبال،وأمطرت السماء مطرا كالطوفان،وهال البحر واشتدت أمواجه وكثر اضطرابه بما لم يعهد مثله فجعلت سفنهم تتكفّأُ يمينا وشمالا.هذا والبحر في الزيادة والأمواج تتراكم كالجبال فغرق كثير من سفنهم،وعطب على الساحل سفن كثيرة»[2].ونلاحظ هنا بأنّ هذه العاصفة قد خدمت الجزائريين،إذ أنها ساهمت في إفشال هذه الحملة،بعد أن أغرقت للإسبان عددا من السفن،التي كان على متنها أسرى أتراك وعرب من أهل الجزائر وتونس[3]بلغ عددهم حوالي ألفا وأربعمائة رجل تمكنوا من الهروب بعد أن قتلوا أصحاب السفن[4].وقد زادت هذه الأوضاع في اضطراب الإسبان«...حتى أنهم لم يقدروا على الرمي بمدفع واحد،ولا بمكحلة واحدة...»[5].

لقد استعان أهالي المدينة بهذه العاصفة،التي رأوا أنها عون من الله تعالى على أعدائهم،فخرجوا للقتال،والتحم الطرفان في رأس تافورة،وملعب الكورة،وقنطرة الأفران،ناحية سيدي أبي التقي.وهنا كر المسلمون على الإسبان.عند ذلك تفرق الجمعان فعاد الإسبان إلى محلتهم،والجزائريون إلى المدينة[6].

خلفت هذه المعركة ما يزيد عن أربعة آلاف قتيل إسباني،واستشهاد مائتين من أهل المدينة.كما جرح الكثير من الجنود الإسبان منهم الأمير دي سالمون (de

---

(1)عبد القادر فكاير:الصراع الجزائري...،مرجع سابق،ص ص184-185.

(2)المجهول:المصدر السابق،ص119.

(3)نفسه:ص120.

(4)عبد القادر فكاير:الصراع الجزائري...،المرجع السابق،ص185.

(5)المجهول:المرجع السابق،ص120.

(6)مولاي بلحميسي:المرجع السابق،ص49.

Salmone)،وسافينياك(Savignac) قائد فرسان مالطة.وفي صباح يوم الاربعاء 6 رجب/ 26 أكتوبر أدرك الإسبان أنه من الصعب عليهم دخول المدينة،ولذلك قرروا أن ينسحبوا.وقد أرسل دوريا رسالة إلى شارل الخامس يبين له فيها ضرورة الانسحاب:«عزيزي الإمبراطور...أنصحك بأنك إذا لم تنسحب عندما يميل الجو إلى التحسن فان الأسطول سيضيع،وان الجيش يبقى معرضا للجوع والعطش وضربات الأعداء...لا تثابر في الحملة...انسحب إلى رأس ماتيفو،أين سألتحق بك شخصيا عن طريق البحر»[1].

أذعن الإمبراطور لطلب دوريا وأمر الجنود بالانسحاب،فانسحبوا إلى وادي خنيس في نفس اليوم(الاربعاء6 رجب/26 أكتوبر)أين قضوا ليلتهم وقد أجهدهم الجوع والعطش والبرد،واضطروا إلى أكل أربعمائة من خيولهم.وفي اليوم الموالي عبروا وادي الحراش غير أن مياه وادي الحميز أوقفتهم فلم يصلوا إلى تامنتافوس إلا في يوم السبت 9 رجب/29 أكتوبر،وقد قضى الإمبراطور اليومين المتبقيين من الشهر في عقد مجالس الحرب في انتظار هدوء العاصفة[2].

وفي يوم أول نوفمبر بدأ الجنود الإسبان بمغادرة ساحل تامنتافوس على متن السفن بعد أن تحسن الجنود،وحالما ركب شارلكان على متن سفينته وقع التاج من على رأسه فالتقطه،وبما أنه لم يعد لائقا به فانه رماه في البحر [3]بعد أن قال:«من أراد أن يحمل التاج فليتقدم إلى الجزائر ويأخذها»[4].وبعد ذلك اعتزل الحكم،وأمضى بقية حياته في الدير راهبا من شدة تأثره بهزيمته[5].أما وحدات الأسطول فلم تغادر ساحل تامنتافوس دفعة واحدة،بل أقلعت على دفعات كانت أولاها سفن الإيطاليين،ثم تبعتها سفن الألمان،وخيرا سفن الإسبان وذلك خوفا من هجوم الأهالي عليهم،أو تعرضهم للعاصفة.ولما أصبحت السفن في عرض البحر هبت العاصفة مجددا مما دفع ببعض السفن إلى الصخور فتحطمت،ووقع أصحابها أسرى بأيدي أهالي المدينة[6].

---

(1)نقلا عن عبد القادر فكاير:الصراع الجزائري...،المرجع السابق،ص ص186-187.

(2)مولاي بلحميسي:المقال السابق،ص ص49-50.

(3)عزيز التر:مرجع سابق،ص ص165-166.

(4)محمد بن عثمان المكناسي:**الإكسير في فكاك الأسير**،تحقيق محمد الفاسي،الرباط1905م،ص 91.

(5)عزيز التر:المرجع السابق،ص 166.

(4) De Grammont :Histoire…,Op.cit,p66.

وبعد أن تأكد شارلكان أنّ جميع سفنه قد أقلعت،اقلع هو الآخر وكان ذلك في يوم الثالث من الشهر،وتوجه هؤلاء نحو مدينة بجاية،التي كانت ما تزال خاضعة لهم فوصلوها في اليوم الرابع من الشهر على أمل الحصول على الزاد لان أميرها كان قد وعدهم بالانضمام إليهم حال وصولهم إلى مدينة الجزائر غير انه فضل البقاء في إمارته بعد الخسارة،التي مني بها الإسبان،واكتفى بأن أرسل إليهم بعض المؤن،التي حصل على الذهب في مقابلها [1].غير أنّ وقوع المدينة تحت طائلة المجاعة اجبر الجنود على تناول الكلاب،القطط،والأعشاب[2].

لقد ظل الأسطول الإسباني في بجاية إلى غاية 27 رجب/16 نوفمبر وهو اليوم،الذي اقلع فيه نحو صقلية ومالطة،وفي اليوم الموالي اقلع الإمبراطور مع ما تبقى من الجيش،غير انه عاد إلى بجاية مرتين بسبب رداءة الجو.غير انه استطاع الإقلاع في يوم 5 شعبان/ 23 نوفمبر باتجاه جزيرة مينورقة،التي وصلها بعد ثلاثة أيام،ووصل إلى قرطاجنة في يوم 1 ديسمبر[3].

-نتائج الحملة:

-خيبة الأمل، والأحزان، التي أعقبت هذه الحملة، وعمت أرجاء أوروبا المسيحية جراء هذا الانتصار، الذي أحرزه الجزائريون[4].

-الخسائر المادية الجسيمة،التي قدرت ب 16غليوطة كبيرة،و 140 جفنا،والخيام [5]و150 مدفعا من البرونز [6]،وأربعة آلاف حصان مات بعضها،واكل الإسبان بعضها الآخر بينما وقعت البقية بين أيدي أهالي المدينة[7].

-كثرة عدد الأسرى، الذين وقعوا بين يدي الجزائريين ما بين رجال، ونساء، وأطفال[8].

---

(1)عزيز الثر:المرجع السابق،ص 166.

(2)عبد القادر فكاير:الصراع الجزائري...،المرجع السابق،ص188.

(3)الثر:المرجع السابق،ص 166.

(4)عمار بن خروف: العلاقات السياسية...،المرجع السابق،ص31.

(5)مولاي بلحميسي:المرجع السابق،ص52.

(6)عزيز الثر:المرجع السابق،ص167.

(7)مولاي بلحميسي:المقال السابق،ص53.

(8) De Grammont :Histoire…,Op.cit,p66.

-المكانة،التي حاز عليها حسن آغا واعيان مدينة الجزائر،لدى السلطان العثماني [1] فقد «...وجه إليه السلطان بخلعة سنية،وأمر كريم يتضمن نيابته بالجزائر من قبل السلطان وبالغ في الثناء على حسن آغا وانه من جملة وزرائه،ووجه بخلع لأعيان أهل الجزائر...» [2].

-تدعيم الوجود العثماني في الجزائر،وبالتالي العمل على توسيعه في الشرق والغرب أي تونس،والمغرب،والتوسع في الجنوب الجزائري أيضا.ومن ناحية ثانية ضعف التواجد الإسباني في الجزائر؛إذ أنهم سيفقدون بجاية،وسيكون تواجدهم في وهران،والمرسى الكبير مهددا بفعل الحملات،التي سيوجهها حكام الجزائر نحو هاتين المدينتين من وقت لآخر[3].

-فشل المخطط الإسباني الرامي لاحتلال سواحل بلاد المغرب،والسعي للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط،وبالتالي محاصرة فرنسا[4].

ودائما كانت الاوامر تصل الى حكام مدينة الجزائر من الباب العالي،توصيهم بضرورة أخذ الحيطة والحذر لتجنب هجمات الإسبان على مدينة الجزائر، ومثال ذلك الفرمان الصادر إلى البيلرباي محمد بن صالح رايس(حكم بين عامي 1566 و1567م) بتاريخ 19 رجب 976هـ/ 10 فيفري 1566م«...أما في حالة توقعك الخطر فعليك الحذر من الأعداء، ورصدهم وفيما إذا هاجمت سفن الأعداء ولايتك فقابلهم بالمثل،واضرب بسفنك ولايتهم،التي تقد على ضربها بعنف، وألحق بهم كل خسارة...[5]».

3-حملة جيوفاني دوريا على مدينة الجزائر في سنة 1010ه/1601م:

لقد عانت الجزائر في هذه الفترة من الفوضى والاضطرابات الداخلية بفعل تمرد بعض القبائل على حكم العثمانيين في المنطقة،وقد لعب الإسبان في وهران دورا كبيرا في تحريض بعض هذه القبائل.وهنا استغل احد البحارة الفرنسيين انشغال الانكشارية باستخلاص الضرائب في المناطق الداخلية في البلاد،وخروج رياس البحر للقيام بنشاط القرصنة،وأجرى دراسة سرية على تحصينات

---

(1)عمار بن خروف: العلاقات السياسية...،المرجع السابق،ص31.

(2)المجهول:المصدر السابق،ص122.

(3)نفسه.

(4)مولاي بلحميسي:المرجع السابق،ص54.

(5)مهمة دفتري رقم 5،حكم رقم 967،ص367،صادر بتاريخ 19 رجب 973هـ/10 فيفري1566م.

المدينة،وأعد بموجب ذلك الخطة التالية:دخول المدينة في الليل،وإرسال قوتين تقوم إحداهما بمهاجمة الميناء،والأخرى تهاجم باب البحر،ونظرا لقلة الانكشارية في المدينة سيتمكن من السيطرة على القسم السفلي من المدينة،وتحرير الأسرى البالغ عددهم خمسة وعشرين ألفا،يقوم بتسليحهم ويرسل فرقة منهم إلى المخازن لإشعال النار فيها،وحالما تعم الفوضى أرجاء المدينة تقوم القوات الإسبانية بقصفها،وحالما تطلع الشمس تكون المدينة قد خلت من جميع القوات[1].

وبعد دراسة المجلس الملكي لهذه الخطة وافق عليها،واسند قيادتها إلى جيوفاني دوريا [2]،ابن أندريا دوريا،الذي حاول مرارا تدمير مدينة الجزائر،ولكنه لم يفلح في ذلك [3].وقد اختلق جيوفاني العديد من الأسباب للتهرب من تنفيذ هذا المشروع،واخذ في إدخال التعديلات عليها حتى حولها إلى خطة هجومية وافقه عليها المجلس الملكي فاعد لذلك حملة سرية ضخمة،شاركت فيها كل من القوات الإسبانية،والسردينية والصقلية[4] والقوات البابوية،وقوات جنوة[5].

خرج جيوفاني من جنوة في أوت 1601م على رأس أسطول مكون من ثمان وستين سفينةً،أما عدد جنوده فقدر بعشرة آلاف رجل.وكان جيوفاني قد دعا جميع الأمم المسيحية للمشاركة في هذه الحملة باعتبارها حملة مقدسة ضد "الشياطين".كما أن من واجبه إنهاء المهمة،التي فشل فيها والده.وإذا فشل هو الآخر فعلى أولاده الإعداد لغزو الجزائر من بعده[6].

وكانت خطة دوريا تقتضي بأن يهاجم ميناء الجزائر سرا ويشعل النار فيه بواسطة المتفجرات.وفي غمرة هذه الفوضى والاضطراب تقوم قواته بتحرير الأسرى المسيحيين،الذين سيعتمد عليهم في إتمام مهمته.ولكن دوريا رأى بأن تحصينات المدينة ستحول دون احتلالها[7].وقد احتلالها[7].وقد علم بأن الجزائريين اكتشفوا هذا المشروع،واتخذوا الاحتياطات اللازمة لصده.كما لصده.كما صادفت عودة الانكشارية بعد انتهائهم من عملية جمع الضرائب.ولا ننسى أن هذه

---

(1)عزيز التر:المرجع السابق،ص312.

(2)

(3)ابراهيم سعيود:**العلاقات الجزائرية الإيطالية في من خلال الوثائق في القرنين السابع،والثامن عشر** ،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،بإشراف أ/مولاي بلحميسي، قسم التاريخ،جامعة الجزائر 2000م.،ص54.

(3) De Grammont :Histoire…,Op.cit,pp10-11.

(5)ابراهيم سعيود:المرجع السابق،ص54.

(6)نفسه.

(7)نفسه.

الفترة ستكون بداية لموسم العواصف.وكل هذه العوامل صعبت من عملية الإنزال إلى البر،ولذلك عاد الأسطول الإسباني من حيث أتى دون أن يحقق أية نتيجة تذكر،وخسرت إسبانيا بذلك مصاريف باهظة على هذه الحملة الفاشلة[1].

4-حملة الأب ماثيو على مدينة الجزائر سنة 1012ه/1603م:

قبل الخوض في مجريات هذه الحملة لا بد من القول بان منطقة تحيط بها الجبال من كل جهة،وأزقتها الوعرة يحرسها البربر والعرب، الذين يقطنونها. كما أنها منطقة قريبة من مدينة الجزائر، التي حاول حكامها إخضاعها لسيطرتهم. ولهذا السبب كانت العلاقة متوترة بين الطرفين[2].

هذه الأسباب دفعت بملك إسبانيا [3] للتفكير في إعداد حملة سرية للاستيلاء على مدينة الجزائر، ومن هنا بدا المجلس الملكي في الإعداد لهذه الحملة وبشكل سري منذ بداية سنة 1603م[4].

وكان في هذه المنطقة راهب فرنسيسكاني [5]يدعى ماثيو والذي كان أسيرا لمدة طويلة عند أمير كوكو. وببقائه مدةً طويلةً في المنطقة فإنه تعلّم لغة أهلها، وحظي بمكانة مرموقة عند أميرها.وحتى بعد عودته إلىإسبانيا فانه استمر بعلاقاته الحسنة مع أمير كوكو ،الذي وعد بإعطاء الجنود الإسبان بعض الحاميات ، بل ووعد أيضا بإعطائهم قلعة صغيرة تتواجد عند مدخل المنطقة، لاعتقاده بأنه إذا ربط قواته مع قوات الملك يستطيع أن يحارب قوات مدينة الجزائر [6].كما اقنع

---

(1)عزيز التر:المرجع السابق،ص312.

(2) Pierre Dan :Op.cit,p114.

(3)هوفيليب الثالث ولد في مدريد سنة 1578م، وحكم إسبانيا بين عامي 1598 و1621م.بدا في عهده انحطاط إسبانيا السياسي،ولكن منالناحية الثقافية عرفت إسبانيا عصرها الذهبي الثاني لظهور أدباء كثيرين من أمثال سيرفانتيس ،ولوبي دي فيغا (Lope de Vega).انظر.Dubois, et autres :Op.cit,p1601

(4) Pierre Dan :Op.cit,p114-115.

(5)هو أحد التنظيمات الدينية أسسه القديس الفرنسي فرانسوا دي أسيس(François d'Assisse) في سنة 1206م،الذي عاش بين عامي (1182-1226م). كان محاطا الكثير من المريدين:تنظيم الإخوة مينور (1209م)،تنظيم السيدات الفقيرات(1212م)،وقد عمل طيلة حياته على التبشير بالدين المسيحي في أوساط المسلمين ،إذ انه سافر إلى المغرب ومصر من أجل ذلك. انظر:Dubois, et autres :Op.cit,p1601

(6) Pierre Dan :Op.cit,p114-115.

الأب ماثيو أمير كوكو بالإنزال في مرسى الفحم ،مع اتخاذ الحصن الصغير الواقع في أزفون كمكان لإنزال السلاح ،وهو المكان الذي كان يشغله عبد الله ابن أخ السلطان. وقد وعدوه بإعطائه خمسين ألف ريال ،وفي المقابل التزم بتقديم ابنه رهينة لضمان تعاونه[1].

وبعد الانتهاء من هذه الاستعدادات تم الاتفاق على اليوم، الذي سَيُنَفَّذُ فيه هذا المشروع. وقد علم الباشا، والديوان بهذا المخطط، فأرسلوا مجموعة من الانكشارية إلى هذه المنطقة لحصارها. وأنذروا عبد الله ابن أخ أمير كوكو، الذي اكتشف مخطط الباشا سليمان قطانيالي العلج البندقي، الذي وعد عبد الله بإعطائه خمسين سلطانيا عن رأس كل جندي إسباني شارك في هذه الحملة، ومائتين عن رأس الأب ماثيو المحرض على هذه الحملة[2].

وصلت هذه الحملة ،التي كانت مكونة من أربع غاليرات بقيادة نائب ملك مايوركة في اليوم المتفق عليه ،ورست أمام القلعة ،التي كان أمير كوكو قد وعد بإعطائهم إياها. أما عبد الله فلم ينس أن يتواجد في المكان بحسب الموعد ،الذي ضربه للإسبان وكان مصحوبا بعدد من الأهالي ،الذين عبر عبد الله أنه بصحبتهم مسرور بهذه الحملة الإسبانية. وحالما رآه الأب ماثيو لم يشك في أمره، ونزل إلى البر هو الآخر مع ثمانين رجلا، وأخذ كلاهما في تنفيذ المخطط، الذي كان قد اتفق مع أمير كوكو على تنفيذه. ولكن الأب ماثيو حالما لم يشاهد ابن عبد الله ،الذي وعد بتقديمه رهينة سأل هذا الأخير فإنه أجابه بان ابنه موجود في القلعة وهو في انتظاره. عندها شك الأب ماثيو في وجود خيانة، و قرر الانسحاب بشكل سري ،ولكن عبد الله وجنوده منعوه ،ثم انقضوا عليه وقتلوه هو وجميع الجنود، الذين كانوا معه[3].

وكان نائب ملك مايوركة في هذه الأثناء يشاهد ما يحدث ،فحاول إرسال جميع الجميع الباقين على متن السفن لنجدة الأب ماثيو ومن كان معه. ولكنه حالما رأى بأن أعداد الجزائريين كثيرة ،وأنهمن الصعب التغلب عليهم ،أعطى أوامره برفع المرساة للإقلاع في الحال[4].

أما عبد الله ولكي يحصل على المال ،الذي وعده به الباشا فإنه علق رؤوس الجنود الإسبان والأب ماثيو على الرماح ،وتوجه بها إلى مدينة الجزائر. وقد حملت هذه الرؤوس وطيف بها في

---

(1) ibid.
(2) ibid.
(3) ibid:p115.
(4) ibid:p115-116.

أرجاء المدينة ثم علقت على أسوارها. توجه إلى الباشا مطالبا إياه بالمكافئة ،التي كان قد وعده بها ،ولكن هذا الأخير وبدل أن يفي بوعده وبّخ عبد الله بدعوى انه كان من الأصح أن يأتي بالجنود الإسبان وعلى رأسهم الأب ماثيو على قيد الحياة لأن إسبانيا ستسعى لافتدائهم ،وتدفع في مقابل ذلك مبالغَ ماليةً باهظةً[1].

(1) ibid:p116.

المبحث الثالث:

دور الأسرى الأوروبيين في العلاقات مع الدويلات الإيطالية:

لقد اشتركت أغلب الدويلات الايطالية في الحملات العسكرية، التي وجهتها اسبانيا ضد مدينة الجزائر لتحطيمها، والاستيلاء عليها مثل حملة أندريا دوريا على شرشال في سنة 1535م، التي رأيناها في المبحث السابق.بالإضافة إلى الحملات، التي شنتها بعض الدويلات الايطالية على مدينة الجزائر من دون أن تكون قد تحالفت مع الإسبان.

1–حملة دوق توسكانيا على مدينة الجزائر في سنة 1012ه/1603م:

حالما استلم خضر باشا[1]الحكم للمرة الثالثة دفع البحارة للقيام بنشاطاتهم في المتوسط فاخذ هؤلاء في الاستيلاء على السفن الأوروبية واستولوا على مبلغ ستة آلاف سكين كان دوق توسكانيا الكبير قد أرسلها إلى التجار الفرنسيين لتعويض بعض الخسائر التي كانت تجارتهم قد تعرضت لها. وفي نفس الوقت كان خضر باشا قد أساء معاملة دي فياس (De Vais)،وأرسل بعض القوات إلى الباستيون،وهنا عين السلطان العثماني محمد قوصا[2] حاكما على مدينة الجزائرية بدلا عن خضر باشا[3].

جهز دوق توسكانيا جراء ذلك حملة وعزم على إحراق ميناء الجزائر والسفن الراسية فيه.ولكن الرياس اكتشفوا هذا المخطط بمساعدة من بعض يهود توسكانيا،الذين كانوا في تجارة

---

(1)استلم منصب الباشوية في شوال 977ه/أوت 1589م.كان أحد رياس البحر الكبار،والنشيطين.من الأعمال،التي قام بها إخضاعه لمنطقة مجانة بعد أن قضى على الثائرين فيها في سنة 988ه/1590م،ومساعدته لملك فرنسا هنري الرابع على تحرير مدينة مرسيليا من قبضة العصبة المقدسة.حمل إلى الباب العالي مكبلا بأمر من السلطان في سنة 999ه/1591م.انظر: عبد الرحمن الجيلالي:المرجع السابق،ج3،ص 116.

(2)تولى منصب الداي بين عامي 1010ه/1602-1011ه/1603م.انظرعثمان الكعاك:**موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي**، تقديم ومراجعة أبو القاسم سعد الله، وآخرون، ط 1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت 2003م،ص287.

(3)

مع الرياس(تجارة الغنائم).ولذلك احتاط البحارة الجزائريون و لم يتمكن فرسان القديس ايتيان من إحراق سوى أربع أو خمس غاليرات[1].

2-حملة بيكولوميني على عنابة في سنة 1016ه/1607م

وجه دوق توسكانيا الكبير حملة على السواحل الجزائرية،وأوكل مهمة القيام بها لفرسان القديس ايتيان.وكان الهدف هذه المرة هو مدينة عنابة.ويعود اختيار هذه المدينة لسببين رئيسيين:يتمثلان في أن المدينة كانت مصدر قلق،وتهديد للدويلات الإيطالية.ومن هنا جرى القضاء على العديد من أعضاء هذا التنظيم الديني.كما يقام فيها في وقت معين من السنة معرض للأسرى،ولذلك رغب فرسان القديس ايتيان في تحرير اكبر عدد منهم[2].

خرجت الحملة من ميناء ليفورنو في 1 سبتمبر 1607م تحت قيادة سيلفيو بيكولوميني(Silvio Piccolomini).وكان الأسطول مكونا من تسع غاليرات،خمس ناقلات،وألفين من الجنود المشاة المدعومين بمئات المتطوعين.وقد وصل هؤلاء إلى مدينة عنابة في صباح 23 جمادى الأولى /15 سبتمبر،بعد مسيرة حذرة ومتأنية ضمانا للأمن والسلامة[3].

وبعد أن تم الإنزال بدا القصف،وعلى الرغم من انه كان مفاجئا إلا أن الانكشارية وكان عددهم مائتين وخمسين،بالإضافة إلى عدد من سكان المدينة استماتوا في الدفاع عنها كما التحق بهم فرحات باي قسنطينة،الذي شرع في القتال إلى أن استشهد [4].

وكانت خطة بيكولوميني تقتضي أن يحيطوا بالقلعة الموجودة في المدينة،والهجوم عليها بعنف بغرض إعاقة المدافعين،واحتجازهم في داخل معاقلهم.ومن ناحية ثانية فان الثغرات،التي أحدثتها المدافع في السور لن يتم إغلاقها،وبذلك سوف لن يواجه الغزاة أي عائق يمنعهم من الدخول إلى المدينة،التي استطاعوا الدخول إليها و لم يستطع المدافعون منع الغزاة من الدخول،بفعل عددهم الكبير،ونيران مدافعهم[5].

---

(4) De Grammont :Histoire…,Op.cit,pp10-11.
(1) Moulay Belhamissi :Histoire de la marine…,Op.cit,p63.
(2) ibid.
(3) De Grammont :Histoire…,Op.cit,p148.
(4) Moulay Belhamissi :Histoire de la marine…,pp63-64.

انقسم الغزاة إلى ثلاث فرق،وتمكنوا من الدخول إلى المدينة.وحتى يحتفل بانتصاره هذا قام بيكولوميني بقنبلة جانب القلعة المطل على البحر،وبعد ست ساعات من القتال البحري والبري تم الاستيلاء عليها.وقبل وصول الإمدادات إلى المدينة كان فرسان القديس ايتيان قد تراجعوا مع الغنائم والأسرى[1]،الذين قدر عددهم بحوالي ألف وخمسمائة أسير في يوم 29 جمادى الأولى/21 سبتمبر.وكانوا قد خسروا في هذه المعركة اثنين وأربعين قتيلا،بينما فقد أهل المدينة أربعمائة وسبعين[2].

ومما تقدم ذكره يمكن القول:

-بأن دور الأسرى الأوروبيين، وخاصة منهم الذين أخذوا من فرنسا وشبه جزيرة أيبيريا، والدويلات الإيطالية قد أثروا تأثيرا كبيرا في العلاقات بين الجزائر وبين هذه الدول؛ إذ أننا لاحظنا بأن الحملات العسكرية الفرنسية، والإسبانية والايطالية على مدينة الجزائر، وعلى مدن ساحلية أخرى مثل عنابة وشرشال كان الهدف منها:

-معاقبة الجزائر على نشاط الجهاد البحري.

-وتحرير الأسرى، ثم الاستعانة بهم على احتلال المدينة، التي جردت ضدها الحملة.

كما يظهر تأثيرهم من خلال معاهدات السلم، التي أبرمت بين الجزائر وفرنسا، فمعظمها احتوى على بنود كان الهدف منها ضمان عدم وقوع الرعايا الفرنسيين أسرى في الجزائر، حتى أن هذه الأخيرة كانت تهدد البحارة، الذين يخالفونها بفرض عقوبات صارمة عليهم.

---

(1) ibid.

(2) De Grammont :Histoire…,Op.cit,p148.

الفصل الثالث:

أشهر الأسرى في مدينة الجزائر خلال القرنين السادس والسابع عشر للميلاد.

المبحث الأول:أشهر الأسرى، الذين اعتنقوا الإسلام.

المبحث الثاني:أشهر الأسرى المسيحيين.

الفصل الثالث:

أشهر الأسرى في مدينة الجزائر في القرنين السادس والسابع عشر.

شكل الأسرى الأوروبيين إحدى فئات مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني،لأن أعدادهم كانت كبيرة خاصة في القرنين السادس والسابع عشر،واختلفت جنسياتهم؛إذ جُلِبَ إلى هذه المدينة أرقاء من جميع أنحاء أوروبا،وقد نال الكثير منهم الحرية بعد أن اعتنقوا الإسلام لأنهم رأوا سماحة هذا الدين،واتصاف معتنقيه بالعدالة.وقد اندمج هؤلاء في الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر،وحصلوا على وظائف في الدولة،والجيش،ومنهم من أصبح حاكما على مدينة الجزائر.ونجد في المقابل أسرى مسيحيين فضلوا عدم تغيير دينهم،وقد اختلفت المدة التي أمضاها كل واحد منهم في الأسر.والأمثلة في هذا المجال كثيرة جدا قد ارتأينا هنا بحكم موضوع الدراسة أن نركز في هذا الفصل على أهم الأسرى،الذين تنحدر أصولهم من مناطق جنوب غرب أوروبا،وهي على التوالي:فرنسا، اسبانيا، والدويلات الايطالية. كما سنحاول أن نتتبع أصول كل منهم مبرزين سيرته ،وأهم أعماله.

المبحث الأول:

أشهر الأسرى،الذين اعتنقوا الإسلام.

لقد عاش في مدينة الجزائر خلال القرنين السادس والسابع عشر، أسرى كثيرون اخذوا من مختلف دول أوروبا، وخاصة فرنسا،اسبانيا، والدويلات الايطالية.وقد اعتنق بعضهم الإسلام،وأصبح ذا شان من أمثال:

-حسن آغا بن خير الدين.

-علج علي.

-حسن فتزيانو.

أولا-حسن آغا بن خير الدين:

هو الحاكم الثالث على مدينة الجزائر أسره خير الدين من إحدى ضواحي سردينيا وهو ما يزال طفلا صغيرا. وبما انه كان طفلا جميل الصورة حسن الطباع،فقد رباه في منزله كولد حقيقي له[1].

أظهر حسن قدرا كبيرا من الذكاء في كل المهمات، التي كلفه بها سيده، هذا الأخير عندما أصبح حاكما على مدينة الجزائر عين حسن كبيرا للخدم ومديرا لجميع أملاكه. بعد ذلك عينه قائدا عاما للقوات. وفي الحملات المعتادة،التي كانت تقوم بها المحلات في داخل البلاد لاستخلاص الضرائب من العرب اظهر حسن شجاعة كبيرة،واظهر كذلك خصائصه القيادية،التي يتمتع بها فعينه خير الدين خلفا له على مدينة الجزائر عندما خرج إلى تونس في سنة 940هـ/ 1534م.نفذ خير الدين المهام الموكلة إليه خير تنفيذ،كما انه سهر على إحلال الأمن والاطمئنان في المدينة،التي

---

(1) Diego de Haedo:Histoire des Rois … , :Op.cit,p69.

كان أهلها في قلق شديد من إن يباغت شارل الخامس مدينتهم مستغلا في ذلك غياب خير الدين عنها[1].

لقد أحدثت الانتصارات،التي حققها خير الدين بربروس إعجابا كبيرا لدى السلطان سليمان القانوني،فطمأنه ذلك على حال القوة الإسلامية في منطقة الحوض الغربي للمتوسط.فأرسل السلطان إلى خير الدين رسالة خلال سنة 939هـ/1533م أوصلها إليه **الشاويش سنان**،وكان من بين ما جاء فيها:«رغبتي توجيه عمل ضد إسبانيا،ضع مكانك رجلا جيدا وعاقلا،وأسرع إلينا،وإذا لم تجد من تتوفر فيه المقدرة،أعلمنا».وكان على خير أن ينفد أمر السلطان بسرعة،غير انه كان متخوفا من تركه البلاد،مع وجود سبعة آلاف أسير مسيحي فيها،كما أقلقه مصير الأسرى المسلمين لدى الدول المسيحية،لان قتلهم كان شيئا طبيعيا وقتها[2].

وقد جمع خير الدين مشايخ البلاد،والأعيان،والضباط وأعلمهم عن عزمه ترك البلاد تلبية لأوامر السلطان.ثم عين ابنه حسن خلفا له–وكان وقتها في العشرين من عمره–وعين رجلين ممن يثق فيهم ليساعداه على إدارة البلاد[3].

غادر خير الدين مدينة الجزائر في سنة 941هـ/1535م، واصطحب معه مولاي رشيد حاكم تونس،الذي التحق بخير الدين طالبا من المساعدة،بعد أن أزاحه أخوه مولاي حسن عن العرش. ولكنه قرر تأجيل مساعدته إلى حين عودته من إسطنبول [4].وإضافة إلى مولاي رشيد،فإن خير الدين اصطحب معه خيرة قادته،وضباطه.وحتى يتوج خير الدين دخوله إلى إسطنبول،قام بالهجوم على سواحل صقلية،وسردينية،وهاجم القلاع القريبة من جنوة،ونهبها.كما استولى على ثمان عشرة قطعة بحرية لاقاها مصادفة أمام مسينا،ثم احرقها بعد أن اسر جميع من كان على متنها[5].

ولما علم خير الدين بتوجه أندريا دوريا إلى كورون **(Coron)**،على رأس ست وعشرين سفينة،ولكنه تابع طريقه إلى بريفيزا،غير أن أهالي **بريندزي(Brindisi)**،الذين سمعوا باقترابه من مدينتهم فقاموا بإغلاق أبوابها .ومن ناحية ثانية كلف خير الدين خمسا وعشرين سفينة بملاحقة

---

(1) ibid:p70.

(2)عزيز التر:المرجع السابق،ص101.

(3) Rotalier:Op.cit,T1,176.

(4)عبد القادر فكاير:الصراع الجزائري ...،المرجع السابق،ص145.

(5)عزيز التر:المرجع السابق،ص103.

دوريا،ولن البحارة فشلوا في ذلك،وأثناءها صادفوا سبع سفن متجهة إلى نابولي فاستطاعوا الاستيلاء على اثنتين منها بينما تمكنت الخمس الباقية من النجاة.بعد ذلك توجه خير الدين إلى كورون بصحبة احمد باشا،وهاجما هذه الأخيرة،وأنقذا الأسرى المسلمين،الذين كانوا فيها،ومنها توجها إلى مضيق الدردنيل،وأخيرا دخلا إسطنبول وسط استقبال جماهيري حافل[1].

رسا خير الدين في إسطنبول في منتصف سنة 940هـ/1534م،وعندما دخل على السلطان كان بصحبته ثمانية عشر شخصا،قدموا الهدايا للسلطان،وقبلوا يده،فأمر بإلباسهم الخلع،وتأمين كل احتياجاتهم[2].

وإذا رجعنا إلى حسن بن خير الدين،الذي عين خلفا لأبيه في الحكم،فيمكن القول بان السنوات الست الأولى لحكمه،كانت سنوات امن،وسلام تامين؛إذ ساد العدل أرجاء المملكة،و لم يعكر ذلك أي حادث من الحوادث، [3]سوى ورود أنباء عن استعداد شارل الخامس لاحتلال مدينة الجزائر في سنة 1535م،مما أثار مخاوف أهاليها.ولكن حسن آغا طمأن الأهالي واستعد للحملة،التي أجلها شارل الخامس إلى غاية سنة 1541م،والتي هزم فيها شر هزيمة كما رأينا في الفصل الثاني.

وقد سمع خير الدين بأن احمد بن القاضي أمير كوكو-البعيدة عن مدينة الجزائر بثلاثة أيام- قد خرج لمساعدة الإمبراطور في هجومه على مدينة الجزائر مصطحبا معه الكثير من الفرسان وألفين من رجاله المسلحين بالبنادق،ولكنه عندما سمع بهزيمة الإسبان وركوبهم على متن السفن قرر العودة من حيث أتى.وعندما علم بأن القوات متواجدة في المنطقة بين رأس ماتيفو، وبجاية تنتظر تحسن الأحوال لمواصلة طريقها،أرسل إليهم المواد الضرورية،التي يحتاجونها[4].

قرر حسن،الذي وصلته هذه الأخبار معاقبة ابن القاضي على خيانته.وبعد مرور فصل الشتاء بأمطاره الغزيرة وقدوم فصل الربيع خرج حسن آغا في نهاية شهر أفريل من سنة 949هـ/1542م بجيش قوامه ثلاثة ألاف جندي مسلحين بالبنادق،وألفي فارس من السكان المحليين،وألف من

---

(1)نفسه.

(2)عزيز التر:المرجع نفسه:ص ص103-104.

(3) Diego de Haedo:Histoire des Rois… ,Op.cit,p69.

(4) ibid.

المشاة،واثنتا عشر مدفعا.ولكن ابن القاضي لما رأى كل هذه القوات الآتية لقتاله لم يجرؤ على فعل شيء وفضل الخضوع ودفع مبلغ مالي كبير وعدد كبير من العجول،الجمال،والكباش،والتزم بدفع غرامة سنوية،وقدم ابنه ووريثه الوحيد المدعو سيدي احمد بن القاضي و البالغ من العمر خمس عشرة سنة رهينة.وهكذا رجع حسن إلى مدينة الجزائر دون أن يخوض أية معركة[1].

لقد خضع مولاي محمد ملك تلمسان –وهو ابن مولاي عبد الله، الذي كان خير الدين متحالفا معه– لحسن آغا ولكنه مل هذا الخضوع ووجه ولاءه نحو الإسبان.غضب حسن من هذه الخيانة فاتجه نحو تلمسان الخيانة فاتجه نحو تلمسان في بداية فصل الربيع على رأس أربعة آلاف جندي مسلحين بالبنادق، وستة آلاف فارس،وأربعة آلاف من المشاة من السكان المحليين، وعشرة مدافع[2].

لم يجد مولاي احمد من حل مناسب سوى استرضاء حسن آغا بإرسال سفرائه إليه قبل وصوله مع هدايا ثمينة يحملونها إليه.وطلب منه أن يسامحه عن ما بدر منه في الماضي قائلا بأن من الخطأ اقحامه بالخروج عن طاعة السلطان،وأنه إذا خضع لملك إسبانيا فبسبب خوفه من أن يهاجمه **دون مارتن دي كوردوفا (Don Martin de Cordova)** حاكم وهران القريب منه،ولكنه–أي محمد– في أعماق قلبه صديق لحسن آغا على الدوام،وأنه لا يرى مانعا في مصادقة الأعداء ليأمن شرهم.ثم أضاف بأنه بالرغم من كل شيء مخلص لحسن آغا وأنه سينفذ كل ما يأمره به.وأخيرا إذا قدم حسن آغا إلى تلمسان سيستقبله مولاي أحمد بدون أسلحة وكم يشرفه أن ينزل عنده في قصره.وقد هدأت هذه السفارة من غضب حسن آغا بعض الشيء،الذي قرر مواصلة طريقه ووضع حامية عثمانية في تلمسان.وعند دخوله تلمسان استقبل من طرف ملكها وأهلها استقبالا لائقا حظي به أفراد جيشه كذلك.وقد اقسم مولاي احمد على أن يطيع حسن طاعة أبدية وأن لا يبرم أية معاهدة مع الإسبان وأن يلغي كل المعاهدات،التي أراد إبرامها معهم.وهكذا افترق الطرفان وكل منهما راض عن الآخر،وقد رجع حسن إلى مدينة الجزائر دون أن يضع الحامية،التي كان عازما على وضعها هناك[3].

---

(1) ibid.
(2) ibid:p73.
(3) ibid:p74.

أما فيما يخص موقفه من حميد العبد،الذي كان سلطانا على تنس وقتها،والذي لم ينفد وعده لشارلكان بمساعدته في حملته على مدينة الجزائر،فانه أبقاه في مركزه،خاصة بعد أن تعهد بالمشاركة في صد الحملة الإسبانية الفاشلة على مستغانم،التي قادها دالكوديت بعد ذلك بتاريخ 14 ذو الحجة949هـ/21 مارس 1543م،وقد نفد حميد العبد وعده هذه المرة؛إذ أنه هب لنجدة العثمانيين[1].

كان هذا فيما يخص الغرب الجزائري،الذي تمكن حسن آغا من ترسيخ نفوذه فيه.أما في الشرق

الجزائري فانه استطاع إخراج الإسبان من عنابة في أواخر سنة 947هـ/1540م بالإضافة إلى إخضاع الجنوب الشرقي،أي بسكرة وما جاورها من المناطق[2].

وبعد هذه الجهود،التي بدلها حسن آغا في تدعيم النفوذ العثماني في الجزائر،وإبعاد الخطر الإسباني عنها وافته المنية.غير أن هنالك اختلافا كبيرا في تاريخ وفاته؛ فقد تعددت الروايات حول ذلك، منها ما يذكر بأنه توفي في أواخر سنة 950هـ/1543م[3].وجاء في رواية ثانية أنه توفي في نوفمبر من سنة955هـ /1548م عن عمر يناهز السادسة والستين سنة بعد أن كان عادلا ومحترما من طرف الجميع وكان كريما ومحبا لفعل الخير،والصدقات [4].وأخيرا يقال انه قد عزل في سنة 1545م،قبل وفاة والده،وقد عين حسن باشا بدله،وأنه(أي حسن آغا) استمر في الإشراف على أوقاف أبيه في الجزائر إلى غاية وفاته في سنة 956هـ/1549م،ودفن في باب الوادي، وقد نقل الفرنسيون الحجر، كان على قبره إلى المتحف[5].

ثانيا–علج علي:

---

(1)عمار بن خروف: العلاقات السياسية...،المرجع السابق،ص33.

(2)عمار بن خروف: العلاقات السياسية...،المرجع نفسه، ص34.

(3)نفسه.

(4) Diego de Haedo:Histoire des rois …,Op.cit,p75.

(5)خليل ساحلي أوغلو:**من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني،بحوث ووثائق وقوانين**،مركز الأبحاث للتاريخ، والفنون الثقافية،استانبول 2000م،ص 320.

ولد علج علي في قرية **ليكاتولي(Licatelli)**الساحلية القريبة من **رأس الأعمدة(Cap des colonnes)** في كالابريا حوالي سنة 1508م لأسرة فقيرة،وبائسة تمتهن حرفة الصيد[5].ويعتقد بأن إسمه الحقيقي هو لوكا غالييني **(Luca Galeni)**[6].أما فيما يخص تاريخ مولده،فهو غير مضبوط؛إذ حدده البعض بسنة 1500م،على أساس انه عندما توفي في سنة995هـ/1587م كان عمره يقارب التسعين سنة،بينما حدده آخرون بسنة 1508م،لاتفاق المؤرخين،الذين تحدثوا عن حياة علج علي[7].

توجه علج علي بعد ذلك لدراسة الكهنوت بناء على رغبة والديه [1]،غير أن مشروعه هذا لم يكتمل لأنه وقع في الأسر في سنة 929هـ/1520م من البحارة الجزائريين،الذين هجموا على سواحل كلابريا وأسروا عددا كبيرا من أهاليها،ومن بينهم هذا الفتى ،الذي كان سيتوجه إلى نابولي[2].وتوجد رواية أخرى تقول بأنه كان يرعى الماشية عندما وقع في الأسر [3]من طرف الرايس الشهير علي احمد،الذي كان علجا يونانيا،والذي عينه مجدفا على متن إحدى غليوطاته[4]،أين عمل بعد ذلك مجدفا لمدة أربع عشرة سنة[5].

كان علج علي قد أصيب بمرض تسبب في صلعه مما أدى برفاقه في الأسر إلى النفور منه؛فلم يكونوا يجالسوه،أو يأكلوا معه،ولقبوه "ب**الفرطاس** "،أي الأصلع.وقد تكون معاملة رفاقه له احد الأسباب،التي أدت به إلى اعتناق الإسلام.بينما يقال بأنه قد تشاجر مع شخص ما وقتله،فكان اعتناق الإسلام طريقه الوحيد للنجاة من عقوبة الموت[6].

---

(5) Moulay Belhamissi: Histoire de la marine …,Op.cit,p84.

(6)محمد سي يوسف:**قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، بإشراف الدكتور أبي القاسم سعد الله، قسم التاريخ،جامعة الجزائر1408هـ/1988م،ص53.

(7)نفسه.

(1) Rouland Courtinat:Op.cit,p29.

(2)محمد سي يوسف:المرجع السابق،ص54.

(3) De Grammont:Op.cit,p360.

(4) Diego de Haedo:Histoire des rois …,p75.

(5) Courtinat:Op.cit,p29.

(6)محمد سي يوسف:المرجع السابق،ص55.

اعتنق علج علي الإسلام في سن الرابعة والثلاثين وبدأ بذلك حياة جديدة [7]،واختار لنفسه اسما جديدا هو علي.بعد ذلك أصبح مساعدا للرايس علي أحمد،أحد رفاق خير الدين.وما ميزه عن غيره شجاعته في المعارك،فسمح له ذلك بامتلاك سفينة أصبح رايسا عليها[8].

عين علج علي حاكما على تلمسان في سنة 964هـ/1557م[9].وفي سنة 967هـ/1560م أصبح خليفة ل **درغوث**،واشترك معه في تدمير الأسطول الإسباني في جربة.وبعد ثلاثة أشهر من المقاومة تمكنوا من هزيمة المسيحيين بالرغم من نقص المؤن وغيرها من المواد الضرورية [10]،لِيُعَيَّنَ بعد ذلك واليا على الإسكندرية[11].

1-مساهمة علج علي في حصار مالطة 1565م:

صدرت الأوامر من السلطان سليمان إلى علج علي للمشاركة في حصار مالطة في سنة 972هـ/1565م. وقد شارك فيه علج علي، على الرغم من معارضته للحملة هو وبيالي باشا؛ إذ أصرا على توجيه هذه الحملة إلى حلق الوادي، ووهران، وبادس لأن الخطر الإسباني في هذه المناطق أشد تأثيرا بخلاف مالطة، التي تعتبر إحدى القلاع المسيحية المحصنة والبعيدة عن الأراضي العثمانية[1].

وصلت الحملة إلى مالطة بتاريخ 17 شوال 972هـ/18 ماي 1565م تحت قيادة بيالي باشا ومصطفى باشا قائدا للقوات البرية، والتحق بهما بعد ذلك حسن باشا بيلرباي الجزائر وعلج علي من الإسكندرية، والذي وصل إلى مالطة بتاريخ 24 ماي على رأس أربع أو ست سفنٍ على متنها ألف وثلاثمائة رجل[2].

---

(7) Rouland Courtinat:Op,cit,p84.
(8) ibid.
(9) ibid.
(10) ibid
(11)محمد سي يوسف:المرجع السابق،ص79.
(1)محمد سي يوسف:المرجع السابق،ص 79.
(2)نفسه.

وكانت قوات مالطة مكونة من تسعمائة فارس وتسعة آلاف مرتزق من مناطق مختلفة كانوا قد استقروا في مالطة. ويقود هؤلاء جميعا لافاليت، الذي جاوز السبعين من العمر، والذي كان قد شارك

في الدفاع عن جزيرة رودس قبل سقوطها[1].

وأثناء الحصار في يوم 24 ذو القعدة/ 23 جوان وبالقرب من برج سانت آلم (Saint Alm)أصيب درغوث بشظية في رأسه توفي على إثرها[2].وأبحر علج علي بعد ذلك بتاريخ 2 ذي الحجة/30 جوان إلى طرابلس على متن خمس عشرة سفينة لجلب المؤن الضرورية،ونقل معه جثمان درغوث رايس.وكان عليه أن ينجز المهمة،التي كلف بالقيام بها والعودة بسرعة إلى مالطة[3].

ودام الحصار أربعة أشهر خسر فيها العثمانيون كثيرا من جنودهم،مما أدى إلى انتشار الطاعون بين الذين بقوا على قيد الحياة بسبب عدم دفن الجثث،وانسحبوا في الأخير دون أن يحرزوا أي انتصار.

وقد عين علج علي واليا على طرابلس، وأثناء ولايته، التي دامت ثلاث سنوات،عمل على تنشيط الجهاد البحري في البحر الأبيض المتوسط، فكان دائم الإغارة على سفن العدو.وعندما اثبت جدارته بهذا المنصب عينه السلطان سليم الثاني بيلربايا على الجزائر.وقد حصل ذلك بتاريخ 14 صفر 976هـ/8 أوت 1568م.

افتتح علج علي ولايته بتنظيم حملة واسعة لطرد الإسبان نهائيا من المناطق الساحلية الجزائرية،وفي أثناء ذلك وصلته أنباء عن تخطيط جماعة من أهل الأندلس،الذين لم يتمكنوا من الهجرة،القيام بثورة بعد أن جمعوا لذلك الكثير من السلاح بمساعدة بعض الجزائريين[1].

---

(1)نفسه:ص80.

(2)عزيز التر:المرجع السابق،ص 218.

(3)محمد سي يوسف:المرجع السابق،ص 80.

(1)مبارك الميلي:المرجع السابق،ج3،ص104.

قام علج علي بتعبئة قواته، وأعد لذلك مخططا يتمثل في هجوم مزدوج على القاعدة الإسبانية في وهران والهجوم على شواطئ الأندلس.غير أن اكتشاف الإسبان لهذا المخطط أدى إلى تأجيل تنفيذه[2].

كانت تونس في هذه الأثناء تعاني من الفوضى،والاضطرابات بسبب معارضة الأهالي، لحاكمهم مولاي حسن المعين من قبل شارلكان،وكان من بين المعارضين ابن مولاي حسن المدعو حميدة،الذي كان قد شن هجوما على تونس في سنة 951هـ/1544م،واحتلها،فادى ذلك إلى هروب والده نحو صقلية،ثم عاد إلى تونس بعد أن أمده حاكم مالطة بألفي جندي إيطالي.وفي أثناء القتال وقع مولاي حسن أسيرا لدى ابنه،الذي اقتلع عيني والده،وجلس على عرش تونس بدله[3] .

استمرت حالة الفوضى في تونس،ذلك أن أهالي تونس كانوا يكرهون حميدة مثل كرههم لوالده. فقاموا بإرسال وفد منهم إلى إسطنبول طالبين منهم إعادة تحرير مدينة حلق الوادي.عند ذلك اتجه علج علي إلى تونس في سنة 979هـ/1569م على رأس جيش مؤلف من خمسة آلاف جندي مسلحين بالبنادق،وستة آلاف جندي من القبائل،والتحم هؤلاء مع قوات حميدة البالغ عددها ثلاثين ألفا.ومنذ اللحظات الأولى من القتال تخلى العساكر عن حميدة والتحقوا بعلج علي.عند ذلك هرب حميدة إلى مالطة،ودخل علج علي إلى تونس وترك فيها ثلاثة آلاف جندي تحت إمرة القائد رمضان،

الذي أمره بمعاملة أهالي المنطقة باللين[1].

وحال عودة علج إلى الجزائر استمر في حملاته البحرية على السواحل الأوروبية،التي ألحق بها خسائر كبيرة[2].

2-دور علج علي في معركة ليبانت:

---

(2) نفسه،ج3،ص ص104-105.

(3) عزيز الترمرجع سابق،ص ص227-228.

(1)عزيز الترمرجع سابق، ص ص 228-229.

(2)نفسه:ص229.

كانت إغارة العثمانيين على بعض المناطق التابعة للبندقية من الأسباب،التي أدت بهذه الأخيرة إلى طلب المساعدة من إسبانيا،والبابا،وقد اتفق هؤلاء جميعا خوفا من امتداد سلطة العثمانيين إلى بقية المناطق الإيطالية، وأنشئوا أسطولا موحدا أسندوا قيادته إلى **دون جوان**[1]النمساوي بعد أن كانت هذه الدول قد أمضت حلفا مقدسا بتاريخ أول محرم 979هـ/25 ماي 1571م في كنيسة القديس بطرس بروما .وكان البابا **بيوس الخامس (Pie)** هو من تولى القيادة الروحية لهذه المعركة،وحث جميع المسيحيين على الاشتراك في حرب المسيحية ضد الإسلام،والمسلمين[2].

وقد أسندت قيادة الجناح الأيسر من الأسطول العثماني إلى علج علي أما الجناح الأيمن فقد قاده **محمد سيروكو** ،الذي جاء من الإسكندرية، أما الوسط فقاده علي باشا.وكان الأسطول العثماني مكونا من مائتين وعشر غالياتٍ، وأربعةٍ وستين غليوطةً، وخمسة وعشرين ألف جنديٍ يأتمرون بأوامر **برتو باشا(Pertau)**.أما الأسطول المسيحي فكان مكونا من سبعين سفينة إسبانية يقودها الأميرال دون جوان،واثنتي عشرة سفينة بابوية تحت قيادة الأميرال مارك أنطوان (**Marc Antoine)**،وثماني سفنٍ صقليةٍ يقودها الأميرال **جاندوكوردو**،أما البندقية فاشتركت بمائة وثماني سفنٍ أوكلت قيادتها للأميرال **وينبيرو**.وكان عدد السفن الفرنسية ثلاثا[1].بالإضافة إلى ثلاثين ألف جنديٍ،وخمسين ألف بحارٍ، ومجدفٍ تحت قيادة دون جوان النمساوي[2].

---

(1)هو ابن شارل الخامس،وأخ فيليب الثاني ملك إسبانيا.عاش بين عامي(1545-1578م).اختاره البابا بيوس الخامس قائدا للعصبة المقدسة في سنة 1571م،وعين حاكما على الأراضي المنخفضة(1576-1578م).انظر:
François Garnier: **Journal de la bataille de Lépante**, édition De Paris, Paris 1972,p421.

(4)محمد فريد بك المحامي:**تاريخ الدولة العلية العثمانية**،تحقيق إحسان حقي،ط1،دار النفائس،بيروت1401هـ/1981م، ص ص256-257.

(5)محمد سي يوسف:المرجع السابق،ص115.

(1)محمود السيد الدغيم:**أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية حتى نهاية عهد السلطان سليم الثاني**الحضارة الإسلامية وعالم البحار،منشورات اتحاد المؤرخين العرب،القاهرة1414هـ/1994م،ص ص406-407.

(2)هو ابن شارل الخامس،وأخ فيليب الثاني ملك إسبانيا.عاش بين عامي(1545-1578م).اختاره البابا بيوس الخامس قائدا للعصبة المقدسة في سنة 1571م،وعين حاكما على الأراضي المنخفضة(1576-1578م).انظر:
François Garnier:**Journal de la bataille de Lépante**, édition De Paris,Paris 1972,p421.

حصلت هذه المواجهة بين الطرفين على الساعة الثانية زوالا من يوم 7 أكتوبر من سنة1571م في المكان الواقع بين ليبانت،و **باتراس(Patras)**[3].وفي أثناء المواجهات انسحبت الميمنة،التي كانت تحت قيادة أندريا دوريا إلى عرض البحر فزحف علج علي عند ذلك وراءها مما سبب الفوضى داخل الأسطول المسيحي،كما أنه اغتنم هذه الفرصة فهاجم قيادة سفن فرسان مالطة،فقضى في مدة ساعة على كل من كان بها. ومن ناحية ثانية كانت ميمنة ووسط الأسطول العثماني قد انهزما منذ الساعات الأولى للمعركة.وعندما لاحظ علج علي الخطأ، الذي ارتكبه دوريا بابتعاده عن بقية الأسطول المسيحي اغتنم هذه الفرصة وهجم على سفينة القيادة التابعة لقوات مالطة. وفي مدة لا تقل عن الساعة قضى على كل من كان يتولى الدفاع عنها. ولما حاول جون كوردونا(Jean de Cordona) الحيلولة دون تدمير علج علي لهذه السفينة بقوة تبلغ خمسمائة جندي، قضي عليهم بسهولة و لم ينج منهم سوى خمسون جنديا بقي منهم على قيد الحياة بعد ذلك سبعة عشر شخصا فقط[4].

وبعد أن تخلص علج علي من العدو، الذي كان أمامه هجم إلى وسط المعركة ولكنه لم يدخل إلا إلى الأماكن، التي يضمن الخروج منها. ولما رأى أنّ سفينة علي باشا قد تحطمت بعد أن أصابه

طلق ناري، أصبح اكثر حذرا في تحركاته. وقد عملت سفن العدو على محاصرته إلا أنه استطاع التخلص منها. ولما لاحظ تقهقر المركز والجناح الأيمن بعد موت علي باشا تولى قيادة الأسطول بنفسه[1].

---

(3)هي مدينة ساحلية قديمة تقع في **المورة**، وتبعد عن ليبانت بواحد وثمانين كيلومترا يفصل بينهما مضيق باتراس، وتضم العديد من المساجد،والكنائس الإغريقية ، وأربع بيع لليهود المتواجدين في المدينة بكثرة. استولى البنادقة في سنة 1687م واستقروا فيها إلى غاية1716م.تشتهر المدينة بإنتاج الحرير،والجلد.انظر:

Giraud et Vosgien: **Dictionnare géographique ou description des quatre parties du monde** Tournachan-Molin librairie, Lyon1810,p514.

(4)محمد سي يوسف: المرجع السابق، ص ص 125-126.

(1) محمد سي يوسف: المرجع نفسه،ص126.

وتمكن علج علي في الأخير من الإفلات وسط الأسطول المسيحي، بعد أن أنقذ جميع سفنه على عكس باقي وحدات الأسطول، التي غرق بعضها أو احترق أو وقع غنيمة في أيدي المسيحيين. وكان علج علي قد استولى على بعض السفن المسيحية، وراية فرسان مالطة[1].

وقد غادر دوريا ميدان المعركة مستعملا المجاديف والأشرعة، وتوجه ناحية قناة سان مور(Saint Maure)، وقد حاول دوريا اللحاق به إلا انه فشل في ذلك[2].

دخل علج علي إلى إسطنبول وبحوزته تسعون سفينة، فحظي باستقبال السلطان شخصيا علاوة على عامة الشعب، وهنا عينه السلطان في منصب **القابودان باشا**[3] أي قائد الأسطول العثماني، وبيلربايا على مدينة الجزائر [5].كما أبدل السلطان لقب العلج، بلقب آخر هو **قليج(Kiliç)**،والتي تعني السيف في اللغة العثمانية.

وقد فرح المسيحيون كثيرا بهذا النصر، الذي حققوه؛ لأنهم بذلك يكونون قد انتصروا على الإسلام.كما أن البابا ألقى خطابا بهذه المناسبة في كنيسة **القديس بطرس** بروما، وقدم الشكر من خلاله لدون جوان على هزيمته للمسلمين [6] ،بل وكاد يرفعه إلى درجة القديسين، وقال عنه إحدى العبارات،التي جاءت في الإنجيل «هناك رجل أرسل من عند الله اسمه يوحنا».كما دعا هذا البابا، الأوروبيين إلى حشد أسطول آخر لمحاربة الدولة العثمانية،وإخراجها من أوروبا بشكل نهائي.ولكن موت هذا البابا في سنة 1572م،أدى إلى إضعاف هذا الحقد الصليبي[7] .

وبعد هذه المعركة انصب اهتمام علج علي على إعادة تشكيل الأسطول،وبناء السفن،لمواصلة

مشاريعه[4].

---

(1)نفسه.

(2)

(3)أ.ر.و.مهمة دفتري رقم18،ص ص 135-136،حكم 277 صادر بتاريخ 19 أكتوبر 979ه/4 مارس 1572م.

(5)نفسه.

(6) فريد المحامي:المرجع السابق،ص257.

(7) محمود الدغيم:المرجع السابق،ص ص410-411.

(4) Moulay elhamissi:Marine …,Op.cit,T1,p146.

كما لم ينس علج علي مشروعه المتمثل في توحيد البلاد تحت راية واحدة،فاخذ يحضر لضم المغرب الأقصى تحقيقا لرغبة سابقيه(خير الدين بربروس، وصالح رايس).ولكن علج علي لم يحسب حسابا للنتائج، التي من الممكن أن تنجر عن محاولته هذه. كما أن الديوان في الأستانة، لم يوقف محاولاته العديدة الهادفة لإيقاف المشروع خوفا من انفصال كل من الجزائر، تونس، وطرابلس عن الدولة العثمانية مستقبلا[2].

وقد وصلت الأوامر السلطانية إلى علج علي تحذره من إمكانية هجوم الإسبان على تونس «...ولقد أعرب الأسرى، الذين أخذناهم من الكفار في هذه المرة عن استعداد قبودان الإسبان للهجوم، فيجب التيقظ من هذه الناحية، والتشاور مع أمير أمراء تونس، وطرابلس، واخذ الترتيبات اللازمة في البر مسبقا، وفيما إذا استولى الأعداء على أي مكان من تونس فيجب الاتحاد مع أمير أمرائها، وبقية العساكر للهجوم عليهم، وبذل المقدور لدفعهم ومنعهم عن ذلك...»[3] .

قدم دون جوان إلى تونس في سنة 1573م،واحتلها مما سبب شعورا بالحزن لدى علج علي،الذي طلب من السلطان السماح له بالتوجه إلى تونس على رأس أسطول إلى تونس،لاستعادة حلق الوادي،وطرد المسيحيين منها بعد تدمير الحصن،الذي بنوه فيها.لبى السلطان طلبه،وأرسل إليه علجا بوسنيا يدعى حسن باشا حتى يساعده في العمليات البرية[4] .

وصل علج علي إلى تونس في شهر جويلية من سنة 1574م على أسطول مكون من مائتينِ وخمسينَ غاليرةً.وتمكن في غضون أربعين يوما،وبفضل حرص علج علي،واهتمامه من تحرير المنطقة من الإسبان، والرجوع إلى القسطنطينية منتصرا،وفخورا مع عدد كبير من الأسرى[5] .

وقد لفت التطور السريع للقوات العثمانية تحت قيادة علج علي نظر الأوروبيين نحوه وهو، الذي أخذت صيته يذيع أكثر فأكثر.ونتيجة لذلك ومنذ سنة 1572م قام البابا بيوس الخامس وبتدخل من الكاردينال **الكسندريني(Alexendrini)**،بتقديم نصيحة للملك الإسباني **فيليب**

---

(2)

(3)مهمة دفتري رقم 16،ص24،حكم رقم 40،صادر بتاريخ 13 ربيع الثاني 981هـ/11 أوت 1573م .

(4) Diego de Haedo: Histoire des rois … ,Op.cit,p158.

(5) ibid.

الثاني[1] بأن يعمل على الإطاحة بهذا الرايس الكبير عن طريق منحه حكومة في إسبانيا أو صقلية،والغرض من ذلك هو إثارة شكوك السلطان سليم حوله[2].

وقد فكر علج علي في تحقيق مشروع آخر وهو الربط بين البحر المتوسط والبحر الأحمر عن طريق شق قناة السويس،وغرضه من ذلك هو إيقاف المشاريع الإسبانية والبرتغالية في شبه الجزيرة العربية.وقد تطلب ذلك وجود أسطول عثماني في البحر الأحمر.فتم بذلك نقل الغاليرات والمعدات إلى غاية القاهرة.ومن هنا إلى السويس أخذت العملية تصعب،وتتباطأ،وبالتالي سترتفع التكاليف[3].

وقد أظهر علج علي كل خبرته لكي يبين للسلطان المنافع،التي سيجنونها من وراء حفر هذه القناة [4].

اندلعت الحرب من جديد ضد الفرس في هذه الأثناء،وكانت في هذه المرة أعنف من كل المرات السابقة،ولكن الكفة رجحت لصالح الفرس على حساب الدولة العثمانية،التي كانت قد أنفقت مبالغ ضخمة على قضايا أخرى [5].كما أن وفاة علج–مثلما سنتحدث عنها– أدت بالعثمانيين إلى إلغاء مشروع حفر قناة السويس،فتعطل بذلك إنجازه مدة ثلاثة قرون[6].

---

(1)هو ابن شارل الخامس،وخليفته على العرش.ولد في بلد الوليد في سنة 1527م اعتلى عرش إسبانيا بين عامي(1556و1598م)،وعرش البرتغال بين عامي (1580و1598م).وكان هذا الملك متعصبا جدا للكاثوليكية،التي أراد نصرتها عن طريق جيوشه. وفي سنة 1559م،وبعد معاهدة **كاتو كامبريسيس(Cateau Cambrésis)**قضى فيليب الثاني على الصراع، القائم وقتها بين بلاده، وفرنسا. ولكن وبعد أن مات هنري الثالث في سنة 1589م فانه دعم المؤتمرات الفرنسية ضد البروتستانت، وهنري دي نافار (Henri de Navarre).وإضافة إلى ذلك فإنه حارب إليزابيث الأولى ملكة انجلترا، وسعى إلى طرد المسلمين، والبروتستانت من إسبانيا، واشتبك مع العثمانيين في معركة ليبانت (1571م)،وحاول كذلك الاستيلاء على الأراضي المنخفضة،ولكن أهاليها ثاروا عليه في سنة 1572م.ومن ناحية ثانية أحل فيليب الثاني في البلاد النظام البيروقراطي،وسعى إلى استغلال جميع ثروات أمريكا.مات فيليب الثاني في سنة 1598م.انظر: Dubois, et autres :O.p,cit,p1601

(2) Moulay Belhamissi: Histoire de la marine …,Op.cit,p84.

(3) ibid:p84.

(4) Diego de Haedo: Histoire des rois … ,Op.cit,p158.

(5) H.D de Grammont: **Un Pacha d'Alger précurseur de M.de Lesseps(1586)**,Adolf Jordan Libraire-editeur,Alger1886,pp 8-9.

(6) De Grammont: Un Pacha d'alger,Op.cit,p9.

وأمام هذا التقهقر العثماني،عقدت جورجيا حلفا مع الفرس،وخلقت للسلطان العثماني عقبة كبيرة.ومن ناحية ثانية توجهت القوات العثمانية إلى بحر الأدرياتيك لمواجهة أسطول البندقية،وكانت هذه آخر حملة بحرية اشترك فيها الأميرال الكبير علج علي [1]؛إذ وافته المنية في ليلة21رجب995هـ/الموافق ل27جوان 1587م[2]وكان يومها قد أدى الصلاة في المسجد،ووزع الصدقات كعادته [3].ويصفه هايدو قائلا بأن لحيته كانت سوداء تماما،وانه كان طويل القامة،قوي البنية،اسمر اللون.غير أن صوته كان مبحوحا لدرجة أن المستمع إليه لا يقدر على سماع صوته إلا بعد الاقتراب منه[4]غير أن الروايات حول وفاته متعددة؛فقد قيل بأن سنان باشا هو من دس له السم باعتبار أنه كان طامحا في نيل منصبه،وقيل أيضا بأن إبراهيم باشا صهر السلطان مراد الثالث[5] قد أخبر زوجته–وهي ابنة السلطان–يوما بأن علج علي قد شتمه،فأخبرت والدها،الذي أصدر أوامره إلى إبراهيم باشا ليقتل علج علي،فنفذ أوامره عندما كان برفقة علج علي، وأحد رجاله في مكتب الجمارك،فأخذه إلى بيته،أين خنقه مرافق إبراهيم باشا بواسطة حبل[6].

دفن علج علي في القبر،الذي كان قد بناه داخل مسجده الواقع في القسم الأوروبي من إسطنبول.وبوفاته دخل الأسطول العثماني مرحلة الضعف،لأن جميع،الذين تولوا منصب الأميرال من بعده، لم يكونوا في مستواه؛ذلك أن الخبرة في الميدان البحري كانت تنقص بعضهم،وكان البعض الآخر من الانكشارية السابقين[7].

---

(1) ibid:p9.

(2) Rouland Courtinat:Op.cit,p84.

(3)محمد سي يوسف:مرجع سابق،ص186م.

(4) Diego de Haedo:Histoire des rois … ,Op.cit,p161-162.

(5)ولد في سنة 953هـ/1546م،واعتلى العرش في سنة 982هـ/1574م،ومن أهم الأحداث في عهده إخضاعه لبلاد فارس 985هـ/1577م،وفتحه لجزيرة قبرص.توفي مسموما من طرف أفراد حاشيته،الذين تآمروا عليه،وكان ذلك في سنة 1003هـ/ 1594م،ودفن في المقبرة الواقعة بجوار مسجد آيا صوفيا.انظر أصاف:مرجع سابق،ص ص69–70.

(6)محمد سي يوسف:مرجع سابق، ص ص186–187.

(7)نفسه:ص ص187-188.

خلف علج بعد وفاته آثارا كثيرة ما تزال تشهد على عظمته،ومن بينها:مسجده،الذي بناه في إسطنبول،والذي دفن في داخله–كما ذكرنا سابقا–والمدرسة،والحمام الملحقان به،إضافة إلى القلاع العسكرية،التي شيدها في مختلف أنحاء الدولة العثمانية[1].

ثالثا–حسن فتزيانو:

هو علج بندقي خلف رمضان باشا.كان شابا صغيرا عندما وقع في الأسر؛فقد كان على متن مركب خرج من **راغوزا(Raguse)**.وأثناء الرحلة وقع المركب في الأسر بعد أن اشتبك في قتال مع مراكب الرايس درغوث حاكم طرابلس[2].

وكان الاسم الأصلي لحسن هو **اندريتا(Andretta)**.وكان اندريتا من نصيب احد عثمانيي المشرق،الذي جعله يعتنق الإسلام،واحتفظ به طويلا.وبما أن سيده توفي من دون أن يخلف من يرثه،فإن جميع أملاكه آلت إلى درغوث بما فيها اندريتا أو حسن.وعندما قتل درغوث أثناء حصار مالطة في سنة1565م،وخلفه علج علي فانه ورث جميع ما كان يملكه.فأصبح حسن بذلك ملكا للباشا الجديد،وبما أنه كان ماهرا،لبقا،جريئا،فانه كسب عن طريق هذه الخصائص حظوة عند علج علي،الذي أصبح بيلربايا على مدينة الجزائر،فعينه أمينا على خزينته.واستمر في مزاولته لعمله هذا حتى عندما أصبح علج علي قائدا للأسطول العثماني.ونظرا لطموحه،وحيويته الكبيرة فان سيده كلفه بمزاولة الكثير من المهن لديه،وحتى الإشراف على الأسرى،الذين كانوا يخشونه،بسبب قسوته،والعقوبات،التي كان يسلطها عليهم[3].

بعد ذلك كلفه سيده بقيادة إحدى الغاليرات،فكان دائما يختار لها أحسن المجذفين من بين أسرى السجون.وقد اشترك مع علج علي كذلك في الحملة، التي قادها ضد حلق الوادي في سنة 1574م[4].

---

(1)نفسه:ص 188.

(2) Diego de Haedo:Histoire des rois … ,Op.cit,p177.

(3) ibid:p178.

(4) Diego de Haedo:Histoire des rois … ,Op.cit,p178.

وفي يوم 29جوان1577م تقلد منصب بيلرباي الجزائر [1]،فأعطاه علج إحدى غالياراته،وخمس غاليرات أخرى،والتي خرج بها من القسطنطينية في نهاية شهر ماي من نفس السنة،وقد اصطحب معه أحد الأعلاج، ويدعى مصطفى لكي يقود هذه السفن في أثناء هذا السفر[2].ولكن بعض الأعلاج،الذين كانوا تحت إمرة علج علي،والذين كانوا قد خرجوا مع حسن فتزيانو،أضمروا الشر لهذا الأخير لأنهم كانوا يكرهونه بسبب قسوته،فخططوا لقتله،والهروب بالغاليرة إلى أي بلد مسيحي.ولما قاربوا على الوصول إلى **مالفازيا**[3] **(Malvoisie)**،اختلف ثلاثة من هؤلاء المتآمرين مع صبي بندقي صغير يدعى **غزافان(Xavan)**،الذي كان أحد الكتاب،وأحد رؤساء المؤامرة،فقام هذا الأخير بكشف المؤامرة لحسن فتزيانو مع التبليغ على زملائه[4].

وعندما وصل حسن فتزيانو إلى مالفيزا،وهنا عاقب بالقتل كلا من العلجين اليُونَانِيَّين يوسف،و**أموتشا(Amuça)**،وعندما وصل إلى كورون قتل المدعو رجب، العلج الكالابري.أما بقية المتآمرين فقد قام بتقييدهم،وسجنهم[5].

قاد حسن فتزيانو العديد من الحملات على سواحل البليار في صيف 1578م[6]،وسبب الدمار في هذه المناطق،وجاء منها بأعداد كبيرة من الأسرى.ولدى عودته اعتقد بان الأرمادا،التي كان المسيحيون منشغلين بتجميعها تتأهب لشن حملة على مدينة الجزائر، فاهتم بتعزيز تحصينات هذه الأخيرة،وترميم برج مولاي حسن.وكل هذه الأعمال نفذها أمام عينيه الأسرى الأوروبيون[7].

---

(1)عزيز الثر:المرجع السابق،ص253.

(2) De Grammont:Hitoire d'Alger …, Op.cit,p119.

(3)هي جزيرة يونانية صغيرة واقعة على الجهة الشرقية من المورة.تمكن سليمان القانوني من أخذها منأيدي البنادقة في سنة 947هـ/1540م،غير أنهم استرجعوها في سنة 1101هـ/1690م،وضيعوها في سنة 1127هـ/1715م.انظر Vosgien et Giraud:O.p,cit,p384.

(4) Diego de Haedo:Histoire des rois … ,Op.cit,178.

(5) ibid:p179.

(6)يحي بوعزيز:علاقات الجزائر …،المرجع السابق،ص54.

(7) De Grammont: Histoire d'Alger …, Op.cit,p119.

وقد سمح حسن فتريانو للفرنسيين بإقامة أول قنصلية لهم في الجزائر في سنة 985هـ/1577م،بالرغم من رفض سابقيه لذلك،كما سمح لهم بصيد المرجان في الساحل الشرقي من الجزائر بعد أن حصلوا على هذا الامتياز من السلطان العثماني،وكان ذلك في سنة 986هـ/1578م[1].كما كان حسن فتريانو أول من ابرم معاهدة تجارية مع إنجلترا وكان ذلك في سنة 987هـ/1579م.كما شهدت هذه السنة كذلك هجوم فرسان القديس يوحنا،وفرسان القديس ايتيان على السواحل الجزائرية بأربعة مراكب،واختطفوا ستة وثلاثين شخصا من مدينة القل[2].

وقد تميزت سنين حكمه كذلك بمعاملته القاسية للانكشارية،وتساهله تجاه رياس البحر، واعتماده الكلي عليهم،ونظرا لمحبة علج علي فإنه تركه يتصرف بحرية من دون أن يجابهه [3].هذا بالإضافة إلى زيادة الضرائب،وفرض رسوم جديدة على الأهالي،والتدخل في مختلف العمليات التجارية،واحتكار التجارة،مما زاد الوضع سوءا في وقت ساد فيه الجفاف،والمجاعة،والطاعون،عند ذلك ضج الأهالي وشكوه للسلطان العثماني،الذي عين بدله جعفر باشا في سنة 988هـ/1580م[4].

استدعي حسن فتريانو إلى إسطنبول،التي غادرها في سنة 988هـ/1580م[5]،وكان يبلغ من العمر خمسا وثلاثين سنة،طويل القامة نحيفا،ذا عينين براقتين،وانفٍ حادٍ،وفم دقيق،ولحية خفيفة كستنائية اللون تميل إلى الاحمرار.كان قد تزوج من إحدى الأسيرات،اللواتي اعتنقن الإسلام ورزق منها بولد توفي بعد سنة من ولادته،ودفنه مع ابن أخيه–الذي كان قد جاء من البندقية،واعتنق الإسلام بطلب من عمه،غير انه توفي بعد سنة من ذلك–في داخل قبة بديعة الصنع خارج باب الواد.كما خلف ابنة عمرها ثلاث سنوات كانت قد ولدت في الجزائر هي الأخرى[6].

---

(1)عمار بن خروف:المرجع السابق،ص111.

(2)عبد الرحمن الجيلالي:المرجع السابق،ج3،ص101.

(3)عزيز التر:المرجع السابق،ص253.

(4)عماربن خروف:المرجع السابق،ص ص110-111.

(5)نفسه.

(6) Diego de Haedo:Histoire des rois … ,Op.cit,190.

عُيِّنَ حسن فتريانو للمرة الثانية حاكما على مدينة الجزائر بفعل إلحاح علج علي لدى السلطان،فخرج من القسطنطينية على رأس إحدى عشر غليوطةً،سبعة منها تعود إليه،بينما كانت الأربع الباقية ملكا لسيده،في شهر أفريل من سنة1581م ووصل إلى مدينةالجزائر في شهر ماي[1].

اهتم حسن فتريانو بأمور الدولة.فاستطاع إحلال الأمن،وفرض طاعته على الأهالي.وقد كثرت الغنائم في أيامه؛ ذلك أن سفنه كانت تقوم بالغارات على سواحل البليار،وصقلية،وسردينية.كما كان يغير هو الآخر على هذه المناطق فيجلب منها الأسرى،والغنائم.ومن أشهر هذه الغارات تلك،التي قام بها على مدينة بلنسية في سنة922هـ/1584م،وتمكن من إنقاذ ألفين وثلاثمائة موريسكي جاء بهم إلى مدينة الجزائر.وفي السنة الموالية أغار على كالوسا،وجلب جميع سكانها إلى مدينة الجزائر[2].

استمر حسن فتريانو في إدارته للبلاد إلى أن استدعاه السلطان العثماني،وعينه قائدا للسلطان العثماني خلفا لعلج علي في سنة 1587م،وحل محله محمد مامي عتيق،ولكن بشكل مؤقت.وبمغادرته انتهى العهد الثاني من عهود الحكم العثماني بالجزائر ليبدأ عهد آخر وهو عهد الباشاوات[3].

توفي حسن فتريانو في إسطنبول مسموما مثل ما حدث مع سيده علج علي،من طرف **سيغالا(Cigala)**[4]،الذي كان طامعا في أخذ منصب الأميرال منه[5].

---

(1) ibid:p190.

(2)عبد الرحمن الجيلالي:المرجع السابق،ج3،ص104.

(3)عبد الرحمن الجيلالي:المرجع نفسه.

(4)هو ابن الفيكونت **سيبيون سيغالا(Scipion Cigala)**البندقي.أسره العثمانيون،وكان وقتها طفلا صغيرا،في الوقت نفسه،الذي وقع فيه والده في الأسر في معركة جربة،واعتنق الإسلام بعد ذلك.ثم ارتقى ليصبح باشا،وقائدا عاما تحت اسم سنان باشا.تزوج إحدى بنات السلطان أحمد،وحصل على الكثير من التقدير من طرفه.انظر:

Haedo: Histoire des rois … ,Op.cit,204. و، De Grammont: Un Pacha d'alger,Op.cit,p9.

(5) Haedo: Histoire des rois …, Op.cit,p204.

المبحث الثاني:

أشهر الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر:

كان من بين الأسرى الأوروبيين الكثيرين، الذين عاشوا في مدينة الجزائر خلال القرنين السادس والسابع عشر، أسرى فضلوا عدم اعتناق الإسلام، ومع ذلك فقد نالوا الشهرة، ومنهم:

-ميغال دي سيرفانتيس سافيدرا.

-دييغو دي هايدو.

-إيمانويل دارندا.

-جون فرانسوا رونيار.

أولا-ميغال دي سيرفانتيس سافيدرا (Miguel de Cervantès Saavedra):

ولد الكاتب الإسباني سيرفانتيس في قلعة **هناريس** الواقعة على ضفاف نهر هناريس، وتبعد عن مدريد بحوالي ثلاثةٍ وثلاثين كيلومترًا. وقد لعبت هذه المدينة دورا هاما في تاريخ إسبانيا بفعل

الجامعة، التي أسسها فيها الكاردينال سيسنيروس **(Cisneros)** في سنة 1498م، وأخذت في استقبال الطلاب في سنة 1508م. وكانت خلال القرن السادس عشر واحدة من أهم الجامعات الأوروبية. أما تاريخ مولد سيرفانتيس فهو 29 من شهر سبتمبر من سنة 1547م، وعمد بعد ذلك في التاسع من شهر أكتوبر في كنيسة السيدة مريم[1].

كان والد سيرفانتيس وهو دون رودريغو طبيبا،إلا أنه لم يكن موفقا في مهنته، لذلك عاشت العائلة ظروفًا صعبةً، ولكن ذلك لم يمنع سيرفانتيس من الحصول على تعليمه الابتدائي في مدارس القلعة، أين تعلم الأدب، اللغة اللاتينية، وبقية العلوم، التي كانت تُدرَّس وقتها، وكان فتى ذكيا، متفوقا ميالا إلى الشعر، والمسرح.وقد دفعت قلة ذات اليد بالعائلة إلى الانتقال إلى إشبيليا في سنة 1563م، أين انضم سيرفانتيس إلى إحدى مدارس اليسوعيين المخصصة لأبناء الأشراف، والنبلاء فتلقى فيها بعض الدروس العليا.كما أنه شاهد في المسرح تمثيليات الروائي الإسباني الشهير **لوبي دي رويدا(Lopi de Royda)** ،فنبهت في نفسه ميلا إلى المسرح[2].

بقي الوضع المادي للعائلة على حاله،و لم يتغير فيه أي شيء، مما أدى بالعائلة إلى الارتحال مجددا، وكانت الوجهة مدريد في هذه المرة. وهناك استمع إلى دروس النحو، التي ألقاها الأستاذان **فرنسيسكو دل بايو (Francesco del Paillo)**،**وجوان لوبيز دي أيوس (Juan Lopezde Aillos)**، الذي خلف الأول بعد موته.كما اتصل سيرفانتيس بعدد من الشعراء الشباب، الذي استعمل أشعارهم، ومنظوماتهم. وسيبتسم الحظ لسيرفانتيس هذه المرة؛ إذ بعد موت الملكة **إيزابيل دي فالوا (Isabelle de Valois)** كلَّف الكاردينال دون **دييغو دي اسبينوثا**، الأستاذ دي أيوس بكتابة سيرة الملكة والمراثي، التي قيلت فيها. وهنا أدرج الأستاذ مرثيةً لتلميذه سيرفانتيس، وقيدها باللقب، الذي كان معتادا على مناداته به، وهو" **التلميذ العزيز الحبيب**"، وقد نالت هذه المرثية النجاح، والإعجاب الكبيرين[3].

وأثناء ذلك زار المبعوث البابوي **جوليو أكوافيفا اراغون(Julio Aquaviva Aragon)** في مهمةٍ رسميةٍ من طرف البابا، وقبل أن يغادر إسبانيا أحب أن يطّلع على أحوال الشعر والشعراء

---

(1)نجيب أبو ملهم، وموسى عبود:**سيرفانتيس أمير الأدب الإسباني**،مطبعة المخزن،تيطوان، المغرب 1947م، ص22.

(2)نجيب أبو ملهم، وموسى عبود:المرجع نفسه:ص24.

(3)نفسه: ص ص30-31.

فيها، فتعرف على سيرفانتيس، وقرر اصطحابه إلى قصره، وفعلا خرج معه هذا الأخير نحو إيطاليا في سنة 1568م. ولكن حدث ما لم يكن سيرفانتيس يتوقعه؛ إذ بعد أن نزل بقصر الأمير انصرف هذا الأخير إلى أشغاله تاركا سيرفانتيس مع عدد من الشباب، الذين كانوا في القصر من دون أن يعيره اهتماما، فخابت آمال سيرفانتيس، الذي قرر الدخول في ميدان آخر،وهو الجيش[1].

ودّع سيرفاتيس الأمير سنة 1569م، وانخرط في الجيش الإسباني المتواجد وقتها في إيطاليا تحت إمرة القائد **ميغيل دي مونكادا(Miguel de Moncada)**، فمكنه ذلك من زيارة عددٍ من المدن الإيطالية، والاطلاع فيها على مؤلفات الأدب الكلاسيكي، فزاد ذلك في عبقريته، ومهاراته الشعرية[2].

أقلع سيرفانتيس على متن الباخرة في 25 أفريل 1571م نحو خليج ليبانت بعد توقيع البابوية مع عدد من دول أوروبا للحلف المقدس ضد العثمانيين، قبل أربع سنوات من وقوعه في الأسر[1].وأثناء المعركة (ليبانت الشهيرة) جُرحت يد سيرفانتيس اليسرى، وفقد القدرة على استعمالها للأبد ولهذا أُطلق عليه لقب"**أكتع ليبانت**".وقد انتقل سيرفانتيس إلى مسينا لتلقي العلاج المناسب، ثم انتقل منها إلى نابولي، التي بقي فيها على الرغم من أنه شفي[2].

خرج سيرفانتيس من نابولي في يوم 26 سبتمبر 1575م على متن إحدى غاليرات الملك، والمسماة"الشمس" ليعود إلى إسبانيا، وكان مصحوبا بأخيه **رودريغو(Rodrigo)**.ولكن هذه السفينة وقعت في أسر الرايس الشهير **أرناؤوط مامي**[3] ،وهو أحد الرياس الأقوياء في وقته، والذي

---

(1)نفسه:ص ص 33-34.

(2)نفسه:ص35.

(1) Poujoula :Op.cit,p135.

(2) Henri Klein :Op.cit,T2,p111.

(3) هو الباي الجنسية وقد عده هايدو الحاكم رقم خمسة وعشرين على مدينة الجزائر،غير أنه لا يظهر على القائمة الرسمية لحكام مدينة الجزائر.قدم للسلطان العثماني وكان طفلا صغيرا وفق ما يعرف بضريبة الغلمان،وأصبح بعد ذلك عبدا للقرصان الجزائري قارة علي.ونظرا للخصائص،والمزايا، التي كان يتمتع بها فإنه عُيِّنَ على رأس طائفة الرياس في سبتمبر 1575م. وقد أغار على العديد من المناطق، واستولى على سفن كثيرة من بينها السفينة، التي كانت تقل ميغال دي سيرفانتيس، وأخاه رودريغو. غادر أرناؤوط مامي مدينة الجزائر، وتوجه إلى تونس، ومنها إلى طرابلس، التي عين باشا عليها، وهو ما ليس مؤكدا. انظر:

Moula Belhamissi: Histoire de la marine …,Op.cit,pp141-142.

سيكون سيده بعد ذلك. وكان هذا الرايس مسيحيًّا ألبانيًّا اعتنق الإسلام، وكان يكره المسيحيين بشدّةٍ، وخاصة منهم الإسبان[4].

وقد نفّذ سيرفانتيس العديد من محاولات الهروب،كان أولها محاولة الهروب نحو مدينة وهران [5] الخاضعة لحكم الإسبان، وكما ذكرنا في فصل سابق، فان الصعوبات، التي تعترض الأسرى الهاربين كانت كثيرة وقتها؛ إذ قد ينفد الزاد، الذي حملوه معهم، كما أن أعين حراس الشواطئ من ناحية، والبدو من ناحية أخرى لا تغفل عن مطاردة الأسرى، والذين إذا وقعوا بين أيديهم يذوقون أقسى أنواع المعاملة، هذا علاوة عن جهلهم بالطريق، والأخطار، التي من الممكن أن تعترض طريقهم مثل الحيوانات الضارية.

اتفق سيرفانتيس مع واحد من أهالي مدينة الجزائر–وكان راغبا في الحصول على المال– بإيصالهم إلى مدينة وهران. غير أنه وبعد ساعات من المسير استولى الندم، والخوف على هذا الدليل فتوارى عن أنظار هؤلاء الهاربين، الذين لم يستطيعوا مواصلة الطريق، ولا حتى التقدم خطوة واحدة من دون وجوده، فعادوا إلى مدينة الجزائر وهم في غاية الحزن[1].

وقد حدث في هذه الأثناء أن حصل أحد الفرسان الإسبان على حريته، وقبل خروجه من مدينة الجزائر حمّله سيرفانتيس رسالة إلى أهله.فلما وصل إلى مدريد سلم الرسالة لعائلة سيرفاتيس، وكم كانت فرحتهم عارمة عندما علموا بان سيرفانتيس، وأخاه رودريغو ما يزالان على قيد الحياة، وأحسوا بالحزن في مقابل ذلك لاعتقادهم بأنهما يعيشان في منتهى التعاسة وهما في الأسر[2].

خطط أفراد العائلة في هذه الأثناء لافتداء الشابين، وبما أنهم كانوا فقراء، فإنّ الأب قام ببيع كل ما يملك لدفع مبلغ افتداء ابنيه الاثنين، وقامت البنتان، اللتان لم تكونا متزوجتين ببيع ثمن المهر، الذي قدم لكليهما لأجل الغرض نفسه [3]،وبالإضافة إلى ذلك ارتدتا مع والتهما ثياب الحداد،

---

(4) Christian Alexandre Debelle: **Histoire des pirates et des corsaires de l'océan et de la méditerranée depuis leur origine jusqu'à nos jours, édition Henri** Noblet, Paris1846,T1, p418.

(5) Henri Klein :Op.cit,T2,p111.

(1) Poujoula :Op.cit,p13.

(2) نجيب أبو ملهم، وموسى عبود:المرجع السابق، ص ص67-68.

(3) Henri Klein :Op.cit,T2,p111.

وتوجهن إلى الأب **جورجي دي أليفار**، وأعطينه المبلغ، الذي تم جمعه، بعد أن أوصينه بالاهتمام بالشابين[1].غير أنَّ دالي مامي؛ رفض إطلاق سراح ميغال بدعوى أنَّ هذا المبلغ كافٍ لافتداء روديغو لوحده. وبعد حصوله على حريته وعودته إلى إسبانيا،قصد رودريغو وبتكليف من أخيه نائب قنصل فالنسيا للحصول منه على مركب يتوجه على متنه إلى شواطئ مدينة الجزائر محضرا بذلك لمشروع هروب جديد[2].

وسيرفانتيس في مشاريعه هذه لم يكن يفكر في الهروب وحيدا، ولكنه فكر في مساعدة جميع الأسرى الإسبان العاملين في الحقول، والبساتين المحيطة بمدينة الجزائر، على الهروب[3].

وصادف أن كان لأحد الأعلاج اليونانيين حديقة لا تبعد عن المدينة سوى بثلاثة كيلومترات، وقد عين لخدمتها أسيرًا أوروبيًا من منطقة **نافاري(Navarrais)**.وبعد سنوات من العمل في الحديقة استطاع هذا الأخير أن يحفر نفقا في إحدى زواياها، التي لا يرتادها صاحبها إلا نادرا، والذي يؤدي إلى البحر.تمكن سيرفانتيس من الهروب من منزل سيده وكان أولَ من عبر هذا النفق، وقد حدث ذلك في نهاية شهر فيفري من سنة 1577م[4].

اجتمع في نهاية شهر أوت من نفس السنة خمسة عشر أسيرًا إسبانيًّا وضعوا ثقتهم في سيرفاتيس، الذي كان على قد كبير من الحكمة، والتيقض.أما البستاني فقد كُلِّف بمراقبة مدخل النفق، وإعطاء هؤلاء الهاربين الإشارة عند ظهور أول خطر.كما أُسنِدت لأحد الأسرى، وكان ملقبا بالمذَهِّب-لأنه كان يمارس مهنة التذهيب عند مالكه-مهمة إحضار المؤن اللازمة إلى الحديقة بسريةٍ تامةٍ،لأنه كان يتمتع بقدر كبير من الحرية مما يمكنه من ذلك بسهولة[5].

وقد علم سيرفانتيس في بداية شهر سبتمبر أن أسيرًا من مايوركا يدعى **فيان(viane)**كان على وشك العودة إلى بلاده، وكان رجلا شريفا، شجاعا، وبحارا ممتازا، وله معرفة كبيرة بسواحل المدينة.عند ذلك حمّله سيرفانتيس رسالة إلى نائب ملك نابولي استعرض فيها أحواله، وأحوال زملائه في الأسر.وقد وعد فيان سيرفانتيس بأن يقوم بمساعدتهم على الهروب بواسطة مركب صغير

---

(1)نجيب أبو ملهم،وموسى عبود:المرجع السابق،ص 69.

(2) Poujoula :Op.cit, p13.

(3) ibid.

(4) Chridtian Debelle:Op.cit,T9, pp419-420.

(5) ibid.

28 يحضره لهم بعد أن يزوده به نائب ملك نابولي. وبالفعل التزم فيان بوعده لأنه عاد في يوم سبتمبر يقود براغانتيةً كان نائب ملك نابولي قد وعده بتوفيرها له[1].

اقترب فيان من الميناء عند غروب الشمس دون أن تعترضه أيّة عواقب، وكان سعيدا، ومسرورا للغاية، ومتشوقا لعبور النفق، غير أنّ بعض الأهالي شاهدوه وعرفوا مخططه، فاستدعوا حراس الشاطئ. وعندما رأى فيان أنّ مشروعه قد أُحبِط، فكر في القيام في محاولة أخرى. وفي هذه الأثناء كان سيرفانتيس، ورفاقه مجتمعين في داخل النفق، وليست لديهم أيّةُ فكرة عما يحصل في الخارج بالقرب منهم، منتظرين شريكهم، الذي وضعوا فيه كامل ثقتهم[2].

والأسير الملقّب بالمذهِّب، الذي تعهد بالمساعدة، والذي وضع فيه سيرفانتيس كامل ثقته بفعل اهتمامه الكبير بالمصلحة العامة لم يكن في النهاية سوى خائنٍ.وفي اليوم الموالي مَثَل المذهِّب بين يدي الباشا وأخبره أنه يريد اعتناق الإسلام و لم يكن ينوي الهروب فعلا، وإنما تظاهر بذلك.وكدليل على كلامه كشف للباشا أسماء الأسرى المختبئين في داخل النفق. فأرسل الباشا عددا من الجنود الانكشارية لإحضارهم، مع تقييدهم زعيمهم سيرفانتيس بالأغلال، فعزم هذا الأخير على المخاطرة بنفسه من أجل انقاد زملائه في حال الخطر، وقد خاطب الباشا قائلا بافتخار كبير:«إذا كان جلالتك يرى بأن هذا الفعل المتمثل في محاولة الحصول على حريتنا جريمة فأنا المسئول الوحيد عن ذلك. أرجو منك أن لا تعاقب زملائي باعتباري أنا، الذي أغريتهم فوثقوا في هذا الخائن، الذي وشى بنا». وكان حسن باشا رجلا شهما فأعجبته جرأة سيرفانتيس فجلبه إلى قصره بعد أن اشتراه من الرايس مامي بخمسمائة ريالٍ ذهبي، وقرر معاملته بحذر كبير[3].

وفشل هذه المحاولة لم يثنِ عزم سيرفانتيس، الذي فكر في محاولة أخرى للهروب، فقرر في البداية إعلام حاكم وهران بحاله، وأرسل إليه بكل سريةٍ واحدا من أهالي المدينة، غير أن هذا الأخير كُشِف، وألقي القبض عليه قبل أن ينجز مهمته[4].

---

(1) Christian Debelle:Op.cit,T9,p421.
(2) ibid.
(3) ibid.
(4) Henri Klein :Op.cit,T2,p112.

عزم سيرفانتيس مرة أخرى على الهرب، فخطط مع علج إسباني كان يريد العودة إلى وطنه، لشراء قارب، والهروب بواسطته. ولكن هل ستنجح هذه المحاولة؟ لم تنجح بالطبع، لأنّ أحد رجال الدين المسيحيين كشف لحسن باشا هذا المخطط، فأودعه هذا الأخير السجن، بعد أن أوثقه بالسلاسل[1].

وأثناء ذلك اتجهت دونا أندريا وهي أخت سيرفانتيس إلى مدريد في جويلية 1579م لرؤية الأب **جوان جيل (Juan Gil)**،والأب **أنطونيو دي لافيلا (Antonio de la Vella)** التّابعَيْن لتنظيم الثالوث الأقدس، والذيْن كانا مكلفَيْن بشراء مجموعة من الأسرى من مدينة الجزائر، ودفعت لهما مبلغا قدر بثلاثمائة دوكة، جمعتها بعد أن باعت كل ما تملك. وبعد أن وصل آباء الافتداء إلى الجزائر أخذوا في التفاوض مع حسن باشا، الذي طلب منهم دفع ألف ريالٍ ذهبي،مما صعب من عملية الافتداء بعض الشيء[2].

ولكن السلطان العثماني مراد الثالث استدعى حسن باشا، الذي مستعجلا لتنفيذ أوامر السلطان فخفض ثمن الفدية إلى خمسمائة ريال ذهبي.أما الأب جيل فقرر إنفاق ما تبقى له من المبلغ في افتداء بقية الأسرى. وبقي سيرفانتيس في الجزائر وقد حصل على حريته الكاملة إلى أن تحين له الفرصة للرجوع إلى إسبانيا[3].

وبعد بضعة شهور تمكن سيرفانتيس من الرجوع إلى بلاده وكان ذلك في 19 سبتمبر 1580م بعد أحد عشر سنة من الاغتراب أمضى خمسة منها في الأسر في مدينة الجزائر [4].ونظرا لأن سيرفانتيس أدرك بأن شلل يده سيعوقه عن أداء الخدمة العسكرية، فقد قرر عند ذلك اعتزالها، والزواج، والتفرغ لكتابة الروايات، التي كانت مواضيعها تدور حول سنوات أسره في الجزائر[5].

---

(1) ibid.

(2) Christian Debelle:Op.cit,T9,p422.

(3) ibid.

(4) Ferdinand Hoefer: **Nouvelle biographie universelle depuis les temps les plus reculés Jusqu'à nos jours**,44T,Firmin Didot, éditeurs, imprimeurs-libraires de l'institut de France, Paris1845,T9,p421

(5) Henri Klein :Op.cit,T2,p112.

تزوج سيرفانتيس–وكان عمره وقتها سبعا وثلاثين سنة–في يوم 14 ديسمبر 1584 م فتاة نبيلة من قرية **ايسكيفياس (Esquivias)** الواقعة في قشتالة ، وتسمى(أي الفتاة) دونا **كاتالينا دي بالاسيوس سالازار فوسميديانو (dona Catalina de PalaciosSalazar Vosmediano)**. وخلال السنوات الأربع، التي تلت زواجه عانى سيرفانتيس من الحاجة، والعوز فاضطر للعمل في المسرح. وبعد حصل عن وظيفة أخرى تتمثل في تموين الجيش في سفيلا، ولكن وبفعل الوشاية، التي قام بها أحد المفتشين ويدعى فرنسيسكو موسكوسو، أُودِع سيرفانتيس السجن، ولكن مدة إقامته فيه لم تطل [1].وقد شغل سيرفانتيس وظيفة الممون لمدة خمس سنوات(1588-1593م) أتم من خلاله عمله المعنون ب"**الأمثلة الجديدة**".

سافر سيرفانتيس إلى بلد الوليد في سنة 1603م مصحوبا بزوجته، وابنته، وأخته ماغدالينا للعيش مع أخته أندريا، التي استقبلتهم بسرور كبير، وعاش الجميع مع بعض في اطمئنان بعد أن تحسنت أحوالهم المادية بفعل تداول الناس لرواية دون كيشوت، التي صدرت في سنة 1605م[2].

وتشاء الأقدار في هذه السنة (أي 1605م) أن يدخل سيرفانتيس السجن مرة أخرى وكان في هذه المرة مصحوبا بكل من زوجته، ابنته، وأختيه، غير أن حبسهم لم يطل؛إذ سرعان ما أخلي سبيلهم. عند ذلك قرر سرفانتيس الانتقال، وعائلته إلى مدريد، وكانت هذه آخر سفرة له[3].

عاش سيرفانتيس بعد ذلك في اطمئنان، وتزوجت ابنته إيزابيل من أحد نبلاء المنطقة،ولكنه مات بعد أن رزق بطفلة، فتزوجت أرملته مرة أخرى من شاب كان أسيرا في الجزائر هو الآخر. وبعد مدة فقد سيرفانتيس أخته دونا أندريا،وكم كان حزنه عليها شديدا لأنها كانت صلة الوصل بين كل أفراد هذه العائلة[4].

---

(1) Ferdinand Hoefer:Op.cit,T9,p423.

(2)نجيب أبو ملهم،موسى وعبود:المرجع السابق، ص ص157-158.

(3)نجيب أبو ملهم،موسى وعبود: المرجع نفسه،ص ص163-164.

(4)نفسه:ص ص167-168.

واستمر سيرفانتيس في كتابة الروايات، والمسرحيات فلم تتوقف ريشته عن ذلك إلى غاية اليوم، الذي مات فيه، وحصل ذلك في مدريد في يوم 23 أفريل 1616م[1] بعد أن عانى طويلا من مرض كان قد ألم به[2].وكان عمره وقتها تسعا وستين سنة.

-من أعمال سيرفانتيس الأدبية:

كان سيرفانتيس يتمتع بخيال واسع،ولذلك ألف رواياتٍ لم تمح من الذاكرة، بالرغم من مرور عدة قرون على تأليفها.كما كانت رواياته مزيجا من الدعابة، والنقد اللاذع.وأولها:

1-رواية **غالاتية (la Galatée)**:

وكتبها في سنة 1584 م، وجاءت في ستة كتب. أما موضوعها فيدور حول حياة الرعاة، ومن أهم شخصياتها إلِينْيُو، وتيرسي، وغلاتية، وفلوريسا.وقد تُرجمت هذه الرواية إلى الألمانية ثلاث مرات، وإلى الإنجليزية مرتين،كما اقتبسها الكاتب الفرنسي **فلوريان[3](Florian)**في سنة 1783 م،وتُرجمت روايته بعد ذلك إلى الإسبانية في سنة 1797م[4].

2-رواية "**دونكيشوت دي لا مانشا"(Don Quichotte de la Manche)**:

وصف فيها جميع ما مر به في سنوات أسره في الجزائر.وتبدأ رواية دون كيشوت في سجن معتم في بلدة لا مانشا، وهي قرية شبه مجهولة.وهي قصة كوميدية بطلها رجل شريف عازب ينحدر من الطبقة الوسطى ويدعى **ألونسو كيخانو**، الشغوف بمطالعة الكتب، التي تتحدث عن أخبار الفروسية ولأجل ذلك قام ببيع بعض أملاكه للحصول على أخبار الفرسان، ومن كثرة المطالعة وقلة النوم أصيب بنوع من الخبل حمله على الاعتقاد بان كل ما يقرأه صحيح، فأوحى إليه جنونه بأن يصبح فارسا، وأخذ يمتطي حصانا هزيلا-نعته بالقوة، والجمال-وحمل معه بعض الأسلحة القديمة، التي ورثها عن أجداده، والتي نظفها ولمعها، وأخيرا غير اسمه إلى دون كيشوت

---

(1) Christian Debelle:Op.cit,p422.

(2) Ferdinand Hoefer:Op.cit,T9,p423.

(3)اسمه الكامل **جون بيار كلاريس دي(Jean-Pierre Claris de)**.وقد ولد في **شاطو دي فلوريان(Château de Florian)**الواقعة في لانغدوك في سنة 1755م، ومات في سنة 1794م، ومن مؤلفاته **أساطير رعوية Fables pastorales**، التي ذكرنا بأنه قد اقتبسها عن رواية غلاتية.انظر:Dubois et autres :O.p,cit,p1324.

(4)نجيب أبو ملهم، وموسى عبود:المرجع السابق، ص193.

وأضاف إليه اسم بلدته التي ينحدر منها وهي لا مانشا. وعندما أنهى جميع هذه الترتيبات خرج إلى الخلاء ومن دون أن يخبر أهله، لكي يجابه الأخطار التي ستواجهه[1].

وهذه الشخصية كانت مصحوبة دائما بكل من **سانشو بانسا ألياغا (Sancho Pança Aliaga)**، الذي لم يكن لا ضخما، ولا سمينا، ولا ضاحكا، بل كان نحيفا، متغضنا، وكان لديه الكثير من الأمل في الوقت، الذي كثرت فيه المظالم، وانتشر الكذب على حساب الصدق،وتجبّر الأشرار، وانسحب الأخيار من المجتمع تاركين مكانهم للأشرار [2]. هذا بالإضافة إلى الفتاة **دولسيني(Dulcinée)**.وهذه الرواية، التي ألفها بين عامي (1605-1615م) تعتبر أصل الرواية الكوميدية الحديثة[3]. وعلى الرغم من نجاح هذه الرواية، وذيوعها فإن أي تحسن لم يطرأ على أوضاع سيرفانتيس المادية؛ فلم يعش عيشة كريمة،وازدادت معاناته،وكثر أعداؤه[4].

وقد حصل سيرفانتيس على الإذن من الملك الإسباني ليقوم بطباعة الجزء الأول من هذه الرواية في 26 سبتمبر 1604م[5]،ليظهر الكتاب كاملا في سنة 1605م، فأقبل الإسبان على قراءته على اختلاف فئاتهم ،فحققت الرواية بذلك نجاحا عظيما[6]، وفي 11 أفريل من نفس السنة السنة منح سيرفانتيس للطابع المكلف بطبع الرواية تفويضا يخوله بطباعتها في بلنسية، كطالونيا، البرتغال، وأراغون، وفي اليوم الموالي كلفه بملاحقة جميع الطبعات السرية[7].

3-سفر البارناس(le Voyage d' Alparnas):

وهي رواية ظهرت في سنة1614م،ولكنها لمتلق إقبالا كبيرا بين القراء بما فيهم الإسبان[8].

4-مجموعة المسرحيات:

---

(1)نجيب أبو ملهم،موسى وعبود: المرجع نفسه، ص294.

(2) Chasles Philarète :Op.cit,p223.

(3) Dubois, et autres :Op.cit,p1323.

(4) Chasles Philarète :op.cit,p230 .

(5) Ferdinand Hoefer:op.cit,T9,p421.

(6) Chasles Philarète: op.cit,p230.

(7)نجيب أبو ملهم،وموسى عبود:مرجع سابق،ص159.

(8) Ferdinand Hoefer :op.cit,T9,p428.

وهي مكونة من ثماني تمثيليات كوميدية، وثماني فواصل (الفواصل بين مسرحيتين)، وقد طبعت في مدريد في سنة 1615م، وأُعيدت طباعتها في سنة 1749م، ولكنها لم تجلب انتباه المترجمين. وقد طرق سيرفانتيس مواضيع شتى في مسرحياته هذه [1].وقد جاءت في حلة زاهية، ومفعمة بالحيوية باعتبارها مقتبسة من الحياة، ومن هذه المسرحيات:

أ–"السافل السعيد":جاءت في ثلاثة فصول، وعالجت موضوع حياة القديسين المبنية على الزهد، والورع، وبطلها راهب يدعى **كريستوبال دي لاكروث،** الذي كان يقوم بأعم الخيرة،وأخرى طائشة يختص بها السفلة في آن واحد. غير أنه كان من الصعب على سيرفانتيس أن يحصر حياة هذا الراهب المليئة بالمنعرجات، والأحداث الأخرى التي جرت على عهده في ثلاثة فصول، فكان في كثير من يختصر الأحداث.ويرى بعض النقاد بأنه قد ألفها في سنة 1596م، بينما يراها البعض الآخر انه قد ألفها في أواخر حياته[2].

ب–"السلطانة العظيمة":ويدور موضوعها حول فتاة من مالقة وقعت أسيرة في أثناء سفرها إلى وهران، ثم أُرسلت إلى السلطان العثماني، الذي تزوجها ونظرا لما كانت تتمتع به من همة، وعلو نفس، وإيمان راسخ استطاعت الاهتمام بشؤون الأسرى فلاقوا بذلك خيرا كثيرا. ويحاول سيرفانتيس هنا أن يظهر قضية على درجة كبيرة من الأهمية وهي زواج المسلمين (وبالأخص العثمانيين) من أوروبيات، وإجبارهن على تغيير دينهن، غير أن هذا السلطان قد تساهل بخصوص دين زوجته فلم يجبرها على تغييره[3].

ج–"حمامات الجزائر ":وهي مثلما يدلنا عنوانها تتحدث عن الحمامات،التي كانت سجونا للأسرى في مدينة الجزائر قبل أن تخصص لهم الحكومة أماكن يقيمون بها.وفي داخل هذه السجون يمارس الأسرى هوايات كثيرة للتسلية، والقضاء على الملل منها: الألعاب، التمثيل، الرقص[4].

ت–"روايات الجزائر": وهي مسرحية مكونة من أربعة فصول، يدور موضوعها حول فتاة مسيحية تقع أسيرة بين أيدي البحارة الجزائريين، ثم تصبح بعد ذلك ملكا لأحد أغنياء مدينة

---

(1) ibid.

(2)نجيب أبو ملهم،وموسى عبود:المرجع السابق، ص ص213–214.

(3)نجيب أبو ملهم،موسى وعبود: المرجع نفسه،ص ص 211–212.

(4)نفسه:ص ص208–209.

الجزائر،والذي كان شيخا. وفي المقابل يقع خطيبها أسيرا لدى واحدة من أعيان المدينة أيضا. وقد بذل الشابان جهدهما حتى يلتقيا مجددا، ويحققا حلمهما المنشود وهو الحرية، وهو ما حصل بالفعل؛ إذ عادا إلى وطنهما. وتصور لنا هذه المسرحية حياة الأسرى في هذه المدينة، والخطط التي يتبعونها من أجل الخلاص من الأسر، وكذلك سفالة بعض الأعلاج، والمؤامرات الداخلية التي يحيكونها.كما لم يغفل عن تصوير حياة الأسرى في أحلك صورة. وكان الغرض من وراء تأليف هذه المسرحية هو حث الملك فيليب الثاني على احتلال مدينة الجزائر، والقضاء على نشاط بحارتها، وإثارة حماس الجمهور من ناحية ثانية لمساعدة رجال الدين الساعين لافتداء الأسرى على القيام بمهمتهم. وقد استنتج بعض النقاد أن هذه المسرحية أُلِّفَت في سنة 1580م وسيرفانتيس لا يزال في الأسر وهذا إضافة إلى مسرحيتي:" **الإسباني المقدام** "،التي تتمحور حول الصراع بين المسيحية والإسلام،و"**دار الغيرة**"، التي يدور موضوعها حول الفرسان، وبطولاتهم[1].

ه–مسرحية حصار نومانسيا(Le siège de Numance):و كتبها في سنة 1582م، وطُبِعَت في سنة 1784م[2]، وهي أهم مسرحياته على الإطلاق جاءت في أربعة فصول. وفي الواقع نومانسيا هي إسبانيا. وقد جسد سيرفانتيس في هذه المسرحية ما كانت تعيشه إسبانيا في بعض الفترات من بؤس، ومجاعة، وفقر. وقد ساعدت هذه المسرحية الإسبان بعد ذلك؛ إذ في سنة 1809م عندما ضربت القوات الفرنسية الحصار على مدينة سرقسطة، أمر رئيس حاميتها الجنرال **بلافاكوس** أن تُمثَّل هذه المسرحية داخل الأسوار، عند ذلك دبت الحمية في نفوس الجنود الإسبان، وخرجوا لمحاربة الفرنسيين، وتمكنوا من هزيمتهم بفضل أشعار سيرفانتيس الحماسية. وقد ترجمت هذه المسرحية إلى الإنجليزية، ونفس المترجم نقلها إلى الألمانية[3].

5–رواية الأمثلة الجديدة(Les Nouveaux Examples):

وظهرت في سنة 1616م وهي نفس السنة، التي ظهر فيها الجزء الثاني من رواية دون كيشوت[4].

---

(1)نفسه: ص ص213–214.

(2) Ferdinand Hoefer:op.cit,t9,p428.

(3)نجيب أبو ملهم، وموسى عبود:المرجع السابق، ص ص220–221.

(4)نفسه:ص 211.

6-رواية"**أعمال بيرسيلاس،وسيجيسموند**"(**Les travaux de Persiles et Sigismonde**):

وتعود طبعتها الأولى إلى سنة 1617م في مدريد، وقد ظلت مهملة إلى أن قام بترجمتها إلى الفرنسية بعض المترجمين الفرنسيين[1].

7-رواية"**الأخبار**"**(les Nouvelles)**:

و كتبها في سنة 1613م،وظهرت في سنة 1615م.وأعقبتها بعد ذلك عدة طبعات: طبعة مديد في سنة 1783م مكونة من جزأين، طبعة 1822م، وهي الطبعة الوحيدة، التي أضيفت إليها رواية لا تيا فينجيدا **(la Tia Fingida)**،وهي رواية بقيت مجهولة إلى غاية سنة 1814م.وقد قام كل من **سان مارتان دي شاسونفيل (Saint-Martin de Chassonville)**،**لوفيفر دي فيلبرون (Lefebvre de Villebrune)**،وم.**فياردون(M.Viardont)**بترجمتها إلى اللغة الفرنسية، ولكنها لم تلق رواجا كبيرا في فرنسا[2].

ثانيا– دييغو دي هايدو(DiegodeHaedo):

هو مؤرخ إسباني ولد في منطقة **كارانسا(Carança)**، ومات في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وينحدر من أسرة عريقة في منطقة بيسكايا **(Biscay)**[3].كما كان والده أسقفا على باليرمو، وقد عرف بالطيبة، والكرم، والورع. تتبع هايدو خطى والده وتوجه إلى صقلية، أين أصبح كاهنا، وكان تابعا للتنظيم البندكتيني[4]، وأصبح بعد ذلك أشهر رجال الدين في عصره.قد انظم إلى هذا التنظيم العديد من الشخصيات البارزة وقتها، والذين أخذوا على عاتقهم تطوير الكنيسة، والدفاع عنها [5].

---

(1) Ferdinand Hoefer:op.cit,T9,p430.

(2) ibid.

(3)وتسمى باللغة الإسبانية **بيثكايا(Vizcaya)**. هي إحدى مقاطعات إقليم الباسك الإسباني، وأهم مدنها بيلباو(Bilbao).انظر:Dubois, et autres:Op.cit,p1169

(4)هو تنظيم ديني أُسِّس في حوالي سنة529م من طرف **القديس بنوا دي نورسي(Saint Benois de Nursie)**،والذي كانت كنيسة**مونت–كاسان(Mont-Cassin)**في إيطاليا مهدا له. أنظر:Dubois, et autres:Op.cit,p110

(5) Dan :**Les Illustres captifs ,Histoire générale de la vie des faits et des aventures de quelques personnes notables prises par les infidèles musulmans**, présente par de Grammont, in R. A ,V27,1887,p205-206.

وقع دييغو دي هايدو في أسر القراصنة الجزائريين في سنة 1578م،بعد أن خرج لافتداء عدد كبير من الأسرى المتواجدين في الجزائر. وحصل على حريته في سنة 1581م[1].وحال عودته من الأسر تم تعيينه أسقفا[2] على مدينة فروميستا[3].

-مؤلفات هايدو:

أ-طوبوغرافية، وتاريخ الجزائر العام (Topographie et histoire générale d'Alger):

لقد قلنا فيما سبق بأن هايدو قد وقع أسيرًا في الجزائر، فمكنه ذلك من الاطلاع على أحوال سكانها، عاداتهم وتقاليدهم، ونظام الحكم في هذه المدينة، وحكامها، وتنظيم الجيش فيها.ويرى بعض المؤرخين أن هايدو قد أنهى كتابه قبل سنة 1605م، ودمج فيه بين عنصري التاريخ والجغرافيا[4].

لقد نُشِر كتاب الطوبوغرافيا في سنة 1612م في بلد الوليد[5]،وترجمه إلى الفرنسية بعد ذلك كل من الدكتور مونرو (Monnereau)، أ.بربروجي(Berbrugger)،ونُشر في المجلة الإفريقية في الأعداد التالية:العدد 14 لسنة 1870م، الذي ضم ثلاثة أجزاء من هذا الكتاب، والعدد 15 من سنة 1871م،وجاءت فيه الأجزاء الباقية،وعددها ستة.وقد تعددت مواضيع هذا الكتاب؛إذ جاء فيه الحديث بداية عن تأسيس مدينة الجزائر،والسبب في تسميتها بهذا الاسم، وعن الحكام الذين تعاقبوا على حكمها،وكيفية ارتباطها بالدولة العثمانية.ثم تطرق هايدو إلى الحديث عن المباني العسكرية والمدنية في مدينة الجزائر.وفي الكتاب أيضا حديث عن الفئات المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر وحياتهم اليومية وعاداتهم وطقوسهم الاحتفالية،وعن أفراد الجيش بنوعيه،وقادتهم.

ونلاحظ بأن دييغو دي هايدو قد استفاد من الحرية، التي كان يتمتع بها بعض الأسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر، وخاصة في حديثه عن المباني العسكرية في المدينة، وتحصيناتها. وقد

---

(1) Ferdinand Hoefer:Op.cit,T23-24,p53.

(2) هي مدينة صغيرة تقع في قشتالة القديمة.انظر Vosgien et Giraud :Op.cit,p240

(3) Ferdinand Hoefer:Op.cit,T23-24,p51.

(4) Guy Turbet-Delof :**Bibliographie critique du Maghreb dans lalittérature française 1532-1715**,édition S.N.E.D,Alger1976,p75.

(5)

ركّز في ذلك حول طاقة استيعابها، والوسائل المساعدة للاستيلاء عليها بطريقة أبعد ما تكون عن مجرد فضول لرجلٍ سائح، ولكنها في الواقع دعوة لاحتلال مدينة الجزائر [1].وكمثال على ذلك وصفه لحصن الإمبراطور: «...إن هذا الحصن محاط من جميع الجهات؛ فمن الجهة اليمنى في اتجاه الغرب، يوجد الجبل، الذي يبعد عنه بمائة وخمسين خطوة، ويمكن قطع كل اتصالاته بالمدينة بمساعدة فرقة من المدفعية. ومن الجهة الجنوبية والشرقية توجد ثلاث تلال تقع على بعد مائة، مائة وخمسين، ومائتين وخمسين خطوة على التوالي، نستطيع بالاعتماد عليها أن نحطم أسوار الحصن بكل سهولة. ومن ناحية ثانية وبين هذا الجبل والحصن، أدّت مياه الأمطار المنحدرة إلى حفر التراب بعمق يسمح لجيش معتبر الاختباء فيه بسهولة، والهجوم على الحصن»[2].

ب–تاريخ ملوك الجزائر(Histoire des Rois D'Alger):

نُشر هذا الكتاب لأول مرة في سنة 1880م في الجزائر، وقد جاء هو الآخر في عددين من أعداد المجلة الإفريقية؛ ففي العدد 24 (الصادر في سنة 1880م) عُرضت ستة أجزاء من هذا الكتاب

بينما جاء الجزءان الباقيان منه في العدد التالي، أي العدد 25 من سنة 1881م.

ومثلما يلاحظ من خلال عنوان الكتاب، فإن هايدو خصصه لحكام مدينة الجزائر في القرن السادس عشر وعددهم ستة وعشرون بداية من عروج بربروس، وأخيه خير الدين وصولا إلى مصطفى باشا، الذي حكم البلاد للمرة الثانية في سنة 1596م.

ج–الأسر في الجزائر(De la captivité à Alger):

هو مقالة طويلة عن الأسر، وأصوله، لم يتردد صاحبها –كما جرت العادة وقتها–في العودة إلى الأزمنة الغابرة، والحديث عن أبناء قابيل، والنمرود، والفاتحين العظماء ليصل بعد ذلك، وببطء إلى عصره. وإضافةً إلى ذلك كان يتحدث بين حين وآخر عن العمالقة، والهياكل الغريبة، والعظيمة التي عُثر عليها في صقلية، ليتوصل في النهاية إلى أنّ البشرية لم تعش وضعية أسوء من الوضعية، التي عاشها الأسرى المسيحيون في سجون الجزائر في العصر الحديث.كما يعطينا بعض

---

(1) Belhamissi :**Alger,l'Europe et la guerre secrète 1518-1830,édition** A. N. E. P ,Alger 2009 ,p 46.

(2) Diego de Haedo :Topographie…,Op.cit,p44.

الأمثلة عن العصور القديمة، التي توقف عندها(أي الأمثلة) بإعجاب مستفيض، مع إدخال بعض الفقرات من الكتب المقدسة، وأقوال بعض أباء الكنيسة، وبعض المعاصرين له. واعتمد كذلك على أحداث سمعها، وأخرى قصها عليه بعض من عاشوها، وهم أشخاص يمكن الوثوق بهم[1].

كما أسهب هايدو في الحديث عن معاناة الأسرى المسيحيين في الجزائر، بغرض استعطاف الأثرياء في بلده حتى يجمعوا الأموال التي ينفقونها سدى، ويرسلونها في مقابل ذلك لافتداء هؤلاء الأسرى. وقد قارن هايدو من ناحية ثانية بين خفة الغليوطات المستعملة من قبل البحارة الجزائريين، وحيوية رياسهم، ويقظتهم، وبين ثقل غاليرات المسيحيين، وقادتها–أي الغاليرات–الذين لا يجرؤون على مواجهة البحر الهائج فيذهبون للاحتماء في بعض الموانئ، أين يقضون وقتهم في إحياء بعض الحفلات.كل هذا يجري في الوقت، الذي تتعرض فيه قراهم، ومدنهم الساحلية للنهب من طرف البحارة الجزائريين [2].

وكان هايدو من ناحية ثانية شديد الحماس فيما يتعلق بطرد مسلمي الأندلس، وتشديد الخناق

على الباقين منهم في المنطقة، واضطهادهم [3].كما شغل احتلال الجزائر اهتمامه الكلي، ولذلك رغب في ترجمة الكتاب(الأسر في الجزائر) إلى الفرنسية.أما غراماي فأعطانا طبعة لاتينية حول الحوارات الموجودة في نهاية الكتاب تحت عنوان شهداء الجزائر**(Martyres d'Alger)**[4].

وتدور أغلب الحوارات في هذه المقالة الطويلة بين شخصيتين أساسيتين،وهما: أنطونيو غونزاليز دي توريس(Antonio Gonzalez de Torrès)،أحد فرسان القديس يوحنا وكان أسيرا في أحد سجون الجزائر، وصديقه الدكتور سوزا (Sosa).وقد حاول كلاهما التعايش مع الوضع الجديد وهو الأسر[5].

---

(1) Diego de Haedo: **De la captivité a Alger**, traduit par Molinier-Violle ,in R.A,V39,1895. ,p55

(2) ibid :p56.

(3) Dan :Les illustres captifs…,O.p,cit, p205.

(4) Turbet delof :Op.cit,p76.

(5) Diego de Haedo :De la captivité …,Op.cit,p57.

وقد جاءت هذه المقالة موزعة على الأعداد التالية من المجلة الإفريقية: العدد 39لسنة 1895م، والعدد 40 لسنة 1896م، والعدد 41 لسنة 1897م.

د–الأولياء الصالحون(les Marabouts):

ويدور موضوع هذا الكتاب حول محاولة قام بها هايدو لكي يُفهم أحد أبناء الأعلاج كم هي مثيرة للسخرية الطقوس الوهمية، التي يقوم بها الأولياء الصالحون، وعندما وصل إلى النقطة التي يجب عليه فيها أن يستعرض الحديث عن العقيدة الإسلامية. تجنب الحديث عن هذا الموضوع نهائيا، ليتحدث عن معركة سيمانكا، وتدَخُّل كل من سان جاك دي كومبوستيل(Saint-Jacques de Compostelle)، وسان ميلان(Saint-Millan).وفي هذه النقطة أنهى هايدو روايته[1].

ثالثا–إيمانويل داراندا (Emmanuel d'Aranda):

ولد ايمانويل داراندا في سنة 1602م في مدينة بروج(Bruge) البلجيكية، ومات في النصف الثاني من القرن السابع عشر[2].وهو ينحدر من أسرة كانت قد نزحت من أراغونة. أمضى شبابه في بلجيكا، وخرج لزيارة إسبانيا، ولتعلم اللغة الإسبانية وبقي فيها سنة كاملة ولدى عودته إلى موطنه قرر المرور بالقرب من سان سيباستيان (Saint-Sebastien)[3] لخوفه من الوقوع أسيرا بأيدي البحارة الجزائريين، ولكي يزور قشتالة القديمة، وبيسكايا.بعد ذلك خرج داراندا من مدريد بتاريخ أول أوت من سنة 1640م، مصحوبا بصديقه ومواطنه رينيي سالدينس (Rénier Saldens)، ووصل إلى سان سيباستيان في يوم 13 من نفس الشهر، أين وجد الفارس فيليب دي شير(Philippe de Cherf)[4].

---

(1) ibid.

(2) Ferdinand Hoefer :Op.cit,T4,p5.

(3)هي منطقة إسبانية واقعة في شبه جزيرة غيبوزكوا (Guipuzcoa) في إقليم الباسك. وقعت هذه الجزيرة تحت الاحتلال الفرنسي في سنة 1793م بعد نصر ساحق أحرزوه على الإسبان، غير أن هؤلاء تمكنوا من استعادتها في سنة1808م.انظر:
Vosgien et Geraud :Op.cit,p626.

(2) Ferdinand Hoefer :Op.cit,T4,p5.

ركب دارانداا على متن مركب إنجليزي، وكانت الرياح وقتها مواتية للسفر، وحتى في أثناء الليل سارت الريح لصالحهم فلم تحدث أية مشاكل[1].

استمر المركب في السير لمدة أربعة أيام وصل بعدها إلى منطقة لاروشيل (La Rochelle) الفرنسية، وهناك التقى المسافرون بمركب تابع لهذه المنطقة فنبههم قائده إلى ضرورة الاحتراس، والحذر حتى لا يقعوا بين أيدي البحارة الجزائريين غير البعيدين عن هذه المنطقة. ولكن القبطان لم يعر أي اهتمام لهذا التحذير واستمر في السفر إلى أن وصل إلى منطقة بريطانيا [2].وكان ذلك في يوم 22 من نفس الشهر، وهو نفس اليوم، الذي وقعوا فيه أسرى لدى البحارة الجزائريين[3].

عاش إيمانويل دارانداا أسيرا في مدينة الجزائر لمدة سنتين، أين عمل مجدفا على متن إحدى غاليرات علي بتشين، وتعلم حرفا كثيرة من بينها صنع الحبال، وطحن القمح في جرن حجري.وبعد سنتين من الأسر في الجزائر نال دارانداا حريته في يوم 24 مارس 1642م، وركب إلى بروج،التي وصلها في يوم 20 من أوت في نفس السنة[4].

وبعد عودة دارانداا إلى بلجيكا،أسند له الملك الإسباني [5] منصب الحاكم.وهذه الحظوة لم تمنعه من الكتابة؛ إذ كتب باللغة الفرنسية كتابه الشهير بأسلوب قوي، والذي يسرد فيه جميع مغامراته، التي قام بها في الجزائر [6]. وبعد خوضه العديد من المغامرات البحرية، تزوج، وأنجب أربعة عشر ولدا، و لم يمض حياته الباقية في إسبانيا بالرغم من أنها موطنه الأصلي[3].

---

(1) D'Aranda :Op.cit,p49.

(2)منطقة تقع في غرب فرنسا، وعاصمتها رين (Rennes).كانت منطقة مستقلة عن فرنسا،ولكن فرانسوا الأول ألحقها بالمملكة في سنة 1532م.انظر.Robert:Op.cit,p257.

(3) D'Aranda :Op.cit,p50.

(6) ibid :p120.

(1)هو الملك فيليب الرابع.ولد في بلد الوليد في سنة 1605م،ومات في سنة 1665م.حكم إسبانيا بين عامي (1621و1665م)،اشترك هذا الملك في حرب الثلاثين سنة في أوروبا (1618م إلى 1648م)،ثم حارب فرنسا في هذه الحرب دائما.وفي سنة 1659م حصل على العديد من المناطق البلجيكية. انظر.Dubois, et autres :Op.cit,p1601

(2) Ferdinand Denis, et autres : **Biographie universelle ancienne et moderne**,80T,Paris,1857, T4,p51

(3) ibid.

(4) Turbet Delof :Op.cit,p157.

وقد استمر دارانداً على مدار ستة وعشرين سنة بعد حصوله على حريته، ورجوعه إلى موطنه من أجل المتعة، وتعليم، وتنوير عائلته، وأصدقائه[4].

-كتاب إيمانويل دارانداً:

ظهر كتاب دارانداً، الذي يحكي فيه عن سنوات أسره لأول مرة في بروكسل في سنة 1656م في دار نشر جون مومارت **(Jean Mommart)**، ثم ظهرت الترجمة اللاتينية في لاهاي في سنة 1657م، ثم الإنجليزية في لندن 1666م، الفلامانكية في بروج، ولاهاي 1682م. وقد تحدث البعض عن نسخة إسبانية أصلية ظهرت في سنة 1657م[5] . ثم ترجمت إلى اللغة اللاتينية، فجاءت تحت عنوان **(Emmanelis d'Aranda :Historia captivitatis Algeriensis hispanice conscripta)**[6] .

وتتضمن الطبعة الأولى(1656م) قسمين: الأول منهما هو، الذي يتحدث عن حياة الكاتب الشخصية أثناء الأسر ،والقسم الثاني يتحدث عن مدينة الجزائر، وعراقة تاريخها، متبوعا بسبعة وثلاثين رواية مختلفة، أي مجموعة من الأخبار المختلفة عن بعضها غير أنها ترتبط جميعها في الموضوع العام، والمتعلق بطرائف عايشها الكاتب في مدينة الجزائر وكان شاهدا عليها، ومغامرات ورد ذكر أبطالها في الجزء الأول، مثل شجرة وأغصانها المتفرعة عنها. لذلك نقول بأن الجزء الأول غالبا ما يستند إلى الجزء الثاني، والعكس صحيح[1] .

ونجد في الطبعة الثالثة، ثلاث عشرة رواية جديدة وعنوانها كالآتي:« **رواية عن أَسْر، وحرية السيد إيمانويل دارانداً، الذي كان أسيرا سابقا في الجزائر، أين توجد العديد من الخصائص عن إفريقيا جديرة بالتسجيل. الطبعة الثالثة المدعمة بثلاث عشرة رواية، وبعض التفاصيل الخفيفة من طرف الكاتب نفسه . بروكسل جون مومارت 1662م**». وهذا العنوان لم يتغير بعد ذلك بالمقارنة بالعنوان الوارد في الطبعة الثانية. وعلاوة على الإضافات الواردة في هذه الطبعة، فإننا نجد بعض النصوص، التي تمت مراجعتها بعناية (هفوات، وتعابير كثيرة صُحِّحَت)، إضافة إلى تغييرات

---

(5) Turbet Delof :Op.cit,p155.
(6) Ferdinand Denis :Op.cit,T4,p5.
(1) Turbet Delof :Op.cit,p155.

طفيفة في عناوين«**الروايات الخاصة**»، وتدعيم جوهري للفصل المعنون بعراقة مدينة الجزائر تحت عنوان " وضعيات قوات الأمن في مدينة الجزائر"[1].

وقد صدرت في لايد **(Leyde)**[2] عند **جون بوولز (Jean Pauwles)** في سنة 1671م، طبعة سادسة، يقال أنها انبثقت عن الطبعة الرابعة، التي صدرت في هولندا، والتي أنتجت تحديدا طبعة 1662م، ثم أضيف إليها قسم ثالث مكون من مائة وثمانية وعشرين صفحة. هذه الوصلة الإضافية أهداها إيمانويل العجوز لأصغر أولاده(الولد رقم خمسة عشر) المسمى لويس، وتحتوي على واحد وعشرين خبرا مجهولا اثنان منهما حدثا في الجزائر، بينما حدثت البقية في إسبانيا. ألم تكن هذه مادة لطبعة نقدية جميلة؟ وهو ما قامت به السيدة لطيفة الحسار[3].

أما الطبعة الثامنة، والتي جاء فيها بورتري للمؤلف فلقيت رواجا كبيرا، وكانت قد ظهرت في سنة 1671م. وبسبب عدم مراجعتها وُجدت فيها الكثير من الأخطاء[4].

ويمكن لنا أن نستخلص من كتاب داراندا أمورا كثيرة مهمة من بينها:

-أن الأسر في الجزائر بالرغم من جوانبه المظلمة، فهو مدرسة لتعلم اللباقة ،والتآلف و يمنح بعض الأوقات السعيدة، والانفعالات الخفيفة. ولا شيء أكثر تسلية، وتثقيفا من العالم الكوسموبولي، الذي عاشه الأسرى في داخل سجون مدينة الجزائر[5].

-أن المسيحيين الأخيار يستغلون ظروف أسرهم في تقوية حبهم للسيد المسيح(ع)، والتفاني في خدمة السيدة مريم(ع). وفي كل يوم أحدٍ تمتلئ كنيسة سجن علي بتشين حتى تغص بمرتاديها. وكان دراندا قد تلقى من سيده الإذن بالذهاب لحضور القداس كل يوم في الكنيسة[6].

رابعا–جون فرنسوا رونيار(Jean François Regnard):

---

(1) ibid :p156.

(2)هي مدينة هولندية(اسمها باللغة الهولندية لايدن-Leiden).فرض الإسبان الحصار على هذه المدينة مرتين؛ الأولى في سنة 1573م، والثانية في السنة الموالية بغرض احتلالها.وفي سنة 1807م تعرض جزء من المدينة للاحتراق، والخراب بفعل انفجار مركب كان محملا بالبارود. انظر.Vosgien et Geraud :Op .cit, p353

(3) Turbet Delof :Op.cit,p156.

(4) ibid.

(5) ibid :Op.cit,p157.

(6) ibid.

هو شاعر كوميدي ولد في باريس في الأيام الأولى من شهر فيفري من سنة 1655م لوالدين برجوازيين، ربياه تربية حسنة[1].

ظهرت مواهب رونيار الأدبية منذ الصغر، وعندما تخرج من المدرسة الإعدادية دخل الأكاديمية أين واصل تعليمه. وبعد أن أنهى دروسه في الأكاديمية مات والده تاركا له مبلغا معتبرا من المال قُدِّر

بأربعين ألف قرش، ساعده على تحقيق حلمه القديم المتمثل في القيام برحلة حول العالم[2].

بدأ رونيار رحلته بالسفر إلى، وكان عمره وقتها اثنتين وعشرين سنة مصحوبا بصديقه **دي فيركور(De Fercourt)**[3]. وعلى الرغم من عدم توفر المعلومات الكافية حول هذه الرحلة، إلا أننا نعلم بأنه قام ببعض المغامرات، التي عادت عليه بالربح الوفير، والذي قُدر بأكثر من عشرة آلاف قرش [4].

وهذه الرحلة الثانية كانت مختلفة عن الأولى؛ إذ حصلت فيها أحداث غيرت مجرى حياته؛ فأثناء سفره إلى روما استُدعي إلى فرنسا لحل بعض المسائل المتعلقة بالميراث، ولكنه مرض وبقي في فلورنسا، وعندما استعاد عافيته قرر مواصلة رحلته فركب من جنوة على متن سفينة إنجليزية، كانت وجهتها فرنسا، وكان على متنها سيدة بروفانسية بصحبة زوجها المدعو **دي براد(De Prade)**[5].

وبعد أيام قليلة من الإبحار، تعرضت السفينة للهجوم من طرف سفينتين جزائريتين [6].وأثناء المواجهة [6].وأثناء قُتل قائد السفينة، فاضطر الطاقم للاستسلام في يوم 4 أكتوبر 1678م، واقتيد الجميع إلى مدينة الجزائر، وبيعوا في سوق البادستان؛ حيث أُبعدت البروفانسية عن زوجها وبيعت

---

(1) Ferdinand Hoefer:Op.cit,T9,p845.
(2) ibid.
(3) Henri Klein:Op.cit,T2,p115.
(4) Ferdinand Hoefer: Op.cit,T9,p845.
(5) ibid.
(6) Henri Klein:Op.cit,T2,p113.

بألف ليرة لتركي عجوز، وبيع رونيار بألف وخمسمائة للمدعو **أحمد سالم**، الذي اشترى كذلك دي فيركور، ودي براد[1].

بدأ هؤلاء الرجال الثلاثة حياتهم الجديدة بالعمل في نفش الصوف. وحتى يتمكن رونيار من تحسين أحواله، فقد بدأ في صنع أقفاص للطيور من الأسل ليبيعها بعد ذلك في أسواق المدينة. واستطاع رونيار بعد ذلك أن يكسب ثقة سيده، الذي عينه طباخا لديه. وهذه الثقة ستساعده على وضع مخطط للهروب[2].

اكتشف السيد أحمد سالم هذا المخطط، فاستجوب دي فيركور أولا مع ضربه على رجليه بالعصا حتى يدله على المكان، الذي يخبئ فيه القارب المعد لنقلهم. ولكن أحمد لم يحصل منه على أية إجابة.ومع ذلك استمر في ضربه حتى يتكلم، غير أن دي فيركور فضل الالتزام بالصمت . أما رونيار فاعترف بكل شيء[3].

وجاء اليوم، الذي نال فيه رونيار، ودي فيركور حريتهما، إذ اشترى آباء الافتداء رونيار باثني عشر ألف ريالٍ، واشتروا السيدة دي براد، ودي فيركور بمبلغ ألفي فرنك. وفي هذه الأثناء تلقت المرأة البروفانسية، خبر وفاة زوجها، فركبت السفينة للعودة إلى فرنسا بصحبة رونيار، الذي كان قد فكر في اصطحابها إلى مدينة أرل، حتى عرفها على أفراد بعائلته لغرض الزواج بها[4].

أخذ رونيار في هذه الأثناء يستعد للزواج، غير أن أنباءً وصلته تفيد بأن السيد دي براد حي يرزق وقد افتداه اثنان من الآباء الثلاثيين، عند ذلك قرر رونيار الذهاب في رحلة طويلة، بدأها من يوم 26 أفريل 1681م[5].

كانت فلاندر وهولندا أولى المحطات في رحلته هذه. وسافر بعدها الى أمستردام، أين بقي رونيار لبضعة أيام، ثم استأنف سفره إلى **أولدمبورغ(Oldenbourg)**[6]،وذلك لعلمه بأن ملك

---

(1) Ferdinand Hoefer:Op.ci,tT9,p845.

(2) Henri Klein:Op.cit,t2,p114.

(3) ibid:pp114-115.

(4) Henri Klein:Op.cit,T2,p115.

(5) Ferdinand Hoefer:Op.cit,T9,p847.

(6)هي بلدة تقع في شمال ألمانيا تقع بين واسر(Waser)،وإمس(Ems).أصبحت هذه المنطقة كونتية في نهاية القرن الحادي عشر للميلاد. جرى ضم هذه المنطقة إلى الدانمرك في سنة 1667م، ثم إلى هولشتاين–غوتورب (Holstein-Gottorp) في

ملك الدانمرك موجود فيها، غير أنه لم يتمكن من مقابلته، فتبعه مارا بهامبورغ **(Hambourg)**، ولاقاه في كوبنهاغ **(Copenhague)**. وذهب بعد ذلك إلى ستوكهولم، أين استقبل بشكل حميمي من طرف ملكها [1]، الذي اقترح عليه أن يسافر إلى **لابوني(Laponie)**[2]، التي من شأنها أن تشبع فضول رجل يتطلع لاستكشاف العالم[3].

اقتنع رونيار بسهولة بهذا العرض فركب إلى لابوني ووصل إلى **تورنيا (Tornea)** في يوم23 جويلية 1681م بصحبة كل من دي كوربيرون، ودي فيركور ، ووصلا إلى غاية البحر المتجمد، وفي يوم 22 أوت تمكنا من صعود قمة **ميتافارا(Mont Metavara)**أين كتب رونيار اسمه[4].

رجع رونيار بعد ذلك إلى ستوكهولم في يوم 27 سبتمبر، أين روى للملك كل ما شاهده من خلال رحلته إلى مدينة لابوني، ثم خرج في يوم 3 أكتوبر 1681م وعبر نهر البلطيق، وتوجه إلى **دانتزينغ (Dantzing)**[5]، التي خرج منها قاصدا بولونيا، ثم زار مدينة **جافارو (Javarow)**، وكانت آخر المحطات، التي مر بها الأستانة، هنغاريا، ألمانيا. ثم عاد في الأخير إلى فرنسا في يوم 4 ديسمبر 1683م[6].

سنة1773م. تحولت إلى دوقية في سنة 1777م، ثم أصبحت دوقية كبيرة في سنة 1815م. وأخيرا ضُمَت إلى الإمبراطورية الألمانية بعد الوحدة في سنة 1871م.انظر:Dubois, et autres:Op.cit,p1610.

(1)هو الملك شارل العاشر ملك السويد، وابن الملك السابق شارل العاشر ولد في ستوكهولم، وعاش بين عامي(1655و1697م) وحكم السويد من سنة 1660م إلى سنة 1697م. عقد تحالفا مع فرنسا في سنة 1675م ضد هولندا، وقد طبق نظام الملكية المطلقة.انظر:Dubois, et autres :O.p ,cit, pp 1226-1227

(2)هي منطقة تقع في أقصى شمال أوروبا، تقع في شمال الدائرة القطبية الشمالية، وتتقاسمها كل من النرويج، السويد، وروسيا.انظر:.Dubois, et autres:Op.cit,p1500

(3) Poujoula : Op.cit, p137.

(4) ibid.

(5)منطقة تقع في بولونيا،كانت تتمتع بشبه استقلال منذ القرن الخامس عشر للميلاد، ولكنها أُلحقت ببروسيا في سنة 1793م، بعد ذلك دخلت تحت الوصاية الفرنسية ما بين عامي(1807-1815م)، وفي سنة 1815م أصبحت عاصمة لبروسيا الغربية، واستمرت كذلك إلى سنة 1919م، حيث أصبحت مستقلة تماما. وفي أول سبتمبر 1939م ضمها هتلر إلى الرايخ الأول. وفي سنة 1945م تم إلحاقها ببولونيا بشكل نهائي.انظر:Dubois, et autres :Op.cit,p1391.

(6) Ferdinand Hoefer:Op.cit,T9,p845.

وقد سكن رونيار في شارع ريشيليو في فرنسا، واستقبل في مترله شخصيات كثيرة من أمثال الدوق دي أنجيان (D'Enghien)، والأمير دي كونتي (De Conti)[1].مات رونيار في قصره في مدينة غريون(Grillon)في الرابع من سبتمبر 1709م. والجدير بالذكر أن رونيار وبعد عودته الى موطنه احتفظ بسلاسله، وبثيابه، التي كان قد ارتداها أيام الأسر [2].

-من روايات رونيار:

-البروفانسية الجميلة (La belle provençale):

هي رواية تحدث فيها عن جميع ما مر به في سنوات أسره في الجزائر. وقد مزج في هذه الرواية بين الحقيقة، والخيال [3].وفي هذه الرواية أيضا أطلق على نفسه اسم **زيلمي (Zelmis)**،ولكنه أغفل بعض التفاصيل مثل الرحلة، التي قام بها إلى الباب العالي مصطحبا معه دي فيركور، والمرأة البروفانسية بعد أيام قليلة من نيله لحريته.كما أن أفراد عائلة هذه الأخيرة، عندما سمعوا بوقوعها في الأسر أرسلوا مبلغ اثنتي عشر ألف ليرة لافتدائها. وقد قام السيد دوبونت فيت(Dupont Vhite) بعمل دراسة نقدية له تمت قراءها في أكاديمية **بوفي(Beauvais)**[4].

وجاءت روايته الثانية تخليدا لصديقه في العبودية دي فيركور، والتي كانت أغلب أحداثها واقعية. وقد وجدت هذه الرواية في قصر **دي تروسور (De Troussure)** في سنة 1718م.وتضمنت خمسا وخمسين صفحةً[5].

ونستنتج مما سبق:

-أنّ مدينة الجزائر قد ضمت في العهد العثماني، وخاصة في القرنين السادس والسابع عشر للميلاد عددا كبيرا من الأسرى، والذين كان للبعض منهم شأن كبير. ومن هؤلاء الأسرى من فضل اعتناق الإسلام، والبدء بحياة جديدة فأخذ يرتقي في سلم المراتب وشاءت الأقدار أن يرتقي عرش الحكم،فأصبح بذلك حاكما على مدينة الجزائر.

---

(1) Henri Klein:Op.cit,t2,p115.
(2) Ferdinand Hoefer:Op.cit,T9,p845.
(3) Henri Klein:Op.cit,T2,p113.
(4) Ferdinand Hoefer:Op.cit,T9,p845.
(5) Henri Klein:Op.cit,T2,p113.

وتوصلت الباحثة إلى نتيجة مفادها، أن سنوات الأسر، التي أمضاها بعض سنوات الأسر في مدينة الجزائر ممن تمسكوا بالدين المسيحي–واخص بالذكر الأدباء منهم–ورفضوا استبداله قد رفعت من شانهم كثيرًا؛ إذ أن جل كتاباتهم كانت تحكي عن معاناتهم، ومعاناة الأسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر. ولولا هذا المنعطف، الذي عرفته حياتهم لما تمكنوا من التأليف والإبداع. وأرجو أن لا أكون قد بالغت إذا قلت بأنه لولا وقوع هؤلاء جميعا أسرى في مدينة الجزائر لما استطاعوا أن يتركوا لنا هذا الكم الهائل من المؤلفات وبالتالي لم يكونوا ليصلوا إلى الشهرة، التي وصلوا إليها.

خـــــــــــــــــــــــــــاتمة

وفي ختام هذه الدراسة المعنونة: ب **الأسرى الأوروبيين ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس والسابع عشر للميلاد**،توصلت الى مجموعة من الاستنتاجات الخص أهمها فيما يلي:

-أنّ ظاهرة الجهاد البحري،أو الغزو البحري، أو القرصنة،التي كانت وراء العدد الكبير من الأسرى الأوروبيين في الجزائر ما هي إلا رد فعل على ظاهرة القرصنة الأوروبية، واسترقاق المسلمين.

- أنّ الأسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر قد وفروا اليد العاملة الماهرة،لمزاولتهم العديد من المهن،فساهموا في تطوير الصناعة في مدينة الجزائر،وخاصة صناعة السفن،والأسلحة والبارود،وإدخال تقنيات جديدة لم تكن معروفة من قبل في الجزائر نظرا لأسبقيتهم في هذا المجال.

- أنّ الجزائريين كانوا يعاملون أسراهم معاملة حسنة؛إذ أن الكثيرين منهم كانوا يحظون بمحبة مالكيهم.وقد وصلت هذه المحبة إلى درجة تكمن الأسير من تناول الطعام مع سيده من طبق واحد،والنوم معه في غرفة واحدة،وهذا بشهادة الأسرى أنفسهم من أمثال إيمانويل دارانداً.

- أنّ التسامح،الذي عرف به الجزائريون في العهد العثماني أدّى بالعديد من الأسرى إلى اعتناق الدين الإسلامي،وان كانت بعض المصادر الأوروبية ترجع السبب في ذلك إلى يأسهم من العودة إلى أوطانهم.

-حرية الأسرى الأوروبيين في ممارسة شعائر دينهم؛حيث كانوا يحيون القداس وحفلات نهاية السنة وجميع الأعياد الدينية في كنائس السجون/، وكنائس القنصليات بدون إزعاج، أو تدخل من الجزائريين وقتها.

-تنقل الأسرى بحرية داخل المدينة،وبدون أن يوثقوا بالأغلال، مما كان يشجعهم على التفكير في الهروب.

-فشل اغلب محاولات هروب الأسرى، والثورات التي كانت تستهدف للاستيلاء على الحكم في المدينة،مما يؤكد وجود حراسة مشددة من طرف السلطة على هؤلاء وبث الجواسيس في أوساطهم لمعرفة جميع خططهم.

-أن تردي الوضع الصحي للجزائر في العهد العثماني، والذي تتمثل مظاهره في انعدام التعليم الطبي، ووجود أطباء ذوي خبرة في هذا المجال، وانعدام الوعي الصحي وطرق الوقاية من الأمراض الشائعة وقتها، واستخدام المواطنين لطرق تقليدية في العلاج مثل تناول بعض الأعشاب و التوجه إلى المرابطين والطلبة لأخذ البركة منهم، وكذلك قلة المرافق الصحية، لم يؤثر بشكل كبير على الأسرى الأوروبيين في الجزائر لأن حكوماتهم اهتمت بأوضاعهم الصحية من خلال تأسيس مستشفيات لهم وتزويدها بالأدوية اللازمة، والأطباء الذين يقفون على صحة المرضى، والجدير بالذكر أنّ المستشفيات القليلة، التي كانت موجودة في الجزائر،كانت تأخذ الأدوية في بعض الأحيان من الصيدليات الأوروبية.وقد لعبت هذه المؤسسات الإستشفائية دورا كبيرا في أوقات انتشار وباء الطاعون، بتوفيرها ملاجئ للأسرى الأوروبيين، وتوفير الدواء اللازم لهم.

-الاهتمام الكبير للحكومات الأوروبية بأسراها في الجزائر ،عكس الأسرى الجزائريين في أوروبا،والذين لم يحظوا بمثل هذا الاهتمام.

-أنّ الدور،الذي لعبه الأسرى الأوروبيون في علاقات الجزائر مع فرنسا،اسبانيا،والدويلات الايطالية يتمثل في:

-توتير العلاقات بين الجزائر والدول المذكورة أعلاه؛ إذ أن جميع الحملات، التي كانت تشنها هذه الدول كان الهدف من ورائها معاقبة الجزائر على نشاط القرصنة، وتحرير أسراها.

-إشراك الأسرى المحررين في الحملات، التي كانت تشنها دول الحوض الغربي للمتوسط الأوروبية على مدينة الجزائر، وبالخصوص إسبانيا.

-سعي فرنسا إلى إبرام معاهدات للسلم مع الجزائر تفاديا لوقوع رعاياها أسرى في الجزائر،بل وكانت تدرج في أغلب هذه المعاهدات بنودا تتعلق بتنظيم الملاحة في البحر الأبيض المتوسط، وتتعلق بحقوق أسراها في الجزائر،والعمل على تحريرهم.

وأعتقد بوجود بعض الجوانب،التي لا تزال غامضة في هذا الموضوع، وهي بحاجة إلى دراسة وافية وشاملة اتركها لغيري من الباحثين حتى يتصدوا لها ويعملوا على توضيحها خدمة لموضوع علاقات الجزائر مع دول الحوض الغربي للمتوسط الأوروبية.

قائمة المصادر والمراجع.

1-محفوظات المركز الوطني للأرشيف بئر خادم الجزائر:

-مهمة دفتري رقم 5، ص 367، حكم رقم 967، صادر بتاريخ 19 رجب 973هـ/10 فيفري 1566م.

-مهمة دفتري رقم 18، ص ص 135-136، حكم رقم 277، صادر بتاريخ 19 شوال 979هـ/4 مارس 1572م.

-مهمة دفتري رقم 22،ص 217، حكم رقم 418، صادر بتاريخ 13 ربيع الثاني 981هـ/11أوت 1573م.

2-الوثائق المنشورة:

1-Devoulx Albert : Les archives du consulat general de France, Receuil de documents inedits concernant soit les relations politiques de la France soit les rapports commerciaux de Marseille avec l'ancienne regence d'Alger,Bastide Libraire-Editeurs,Alger 1865.

3-المخطوطات:

1- الجديري محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الجيلالي بن رقية التلمساني:الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة،في مجلة تاريخ وحضارة المغرب،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة الجزائر جويلية 1967م،رقم.3

4-الأطروحات والرسائل والمذكرات الجامعية:

1- جودي إسماعيل:الصناعة العسكرية في الجزائر في العهد العثماني 1518-1830م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، بإشراف الدكتور حساني مختار، جامعة الجزائر 2008-2009م.

2- خلاصي علي: المباني العسكرية العثمانية بمدينة الجزائر، دراسة لنيل شهادة الدراسات المعمقة، بإشراف الدكتور/ رشيد بورويبة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر1984-1985م.

3-دباب بومدين:الأسرى والسجون في مدينة الجزائر العثمانية 1519-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، والمعاصر، بإشراف د/حنيفي هلايلي، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس 2007-2008م.

4-دكاني نجيب:الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر الهجري(10هـ) السادس عشر ميلادي (16م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2000م.

5-سعيود إبراهيم: العلاقات الجزائرية الإيطالية في من خلال الوثائق في القرنين السابع،والثامن عشر،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،بإشراف أ/مولاي بلحميسي، قسم التاريخ،جامعة الجزائر 2000م.

6-سي يوسف محمد:قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،بإشراف أ/أبو القاسم سعد الله، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 1988م.

7-غطاس عائشة:العلاقات الجزائرية-الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1619-1694م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، والمعاصر،بإشراف أ/مولاي بلحميسي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 1985م.

8-فكاير عبد القادر:آثار الاحتلال الاسباني على الجزائر خلال العهد العثماني (10-12هـ/16-18م)،رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ،جامعة الجزائر2008-2009م.

9- فكاير عبد القادر:الصراع الجزائري-الاسباني في الحوض الغربي للحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، والمعاصر بإشراف د/حمال قنان،قسم التاريخ،جامعة الجزائر 2000-2001م.

10-مباركي نادية:الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال القرنين 10هـ/16م-11هـ/17م من خلال مرافقها الحضارية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،بإشراف أ،د/عمار بن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2005-.2006

11-محرز أمين: الجزائر في عهد الاغوات(1659-1671م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،بإشراف د/عائشة غطاس، قسم التاريخ،جامعة الجزائر 2007-2008م.

12-موساوي-القشاعي فلة:الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي(1518-1871)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، بإشراف:أ.د/ناصر الدين سعيدوني، وأ.د/ دانيال بانزاك، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2003-2004م.

3-المصادر:

أ-المصادر العربية:

1-الشويهد عبد الله بن محمد: قانون أسواق مدينة الجزائر 1107-1117هـ/1695-1705م،تقديم، وتحقيق، وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت1427هـ/2006م.

2-المجهول:كتاب غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، والمكتبة الأدبية،الجزائر1353هـ/1934م.

3-المكناسي محمد بن عثمان:**الإكسير في فكاك الأسير**،تحقيق محمد الفاسي،الرباط1905م.

ب- المصادر المعربة:

1-بفايفر سيمون: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تعريب وتعليق أبي العيد دودو، ش.و.ن.و، الجزائر1974م.

2-شالر وليم: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م،ش.و.ن.ت،الجزائر 1982م.

3-كاثكارت جيمس لندر:مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب،ترجمة وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، د.م.ج، الجزائر1982.

ج- المصادر الفرنسية:

1- Arenda Emmanuel d' :Relation de la captivité du sieur Emanuel d'Arenda, jadis esclave a Alger, Jean Mommart éditeur ,Bruxelle1662.

2- Arvieux Laurent d :Mémoire du chevalier d'Arvieux, édition Charles Jean-Baptiste Delespine,Paris1835.

3- Brèves François Savary de : Relation des voyages de M.de Brèves tant en Grèce, terre sainte, et Egypte qu'au royaume de Tunis et d'Alger, Nicolas Gasse éditeur, Paris1628.

4- Dan Pierre : Histoire de la Barbarie et de ses corsaires, édition Pierre Rocolet, Paris1634.

5- Haedo Fray Diego de :Topographie et histoire générale d'Alger, la vie a Alger au XVI, siècle, traduit par A. Berbrugger et Dr. Monnreau ,et présenté par Rebahi Abderrahmane, 3e édition, Alger Livres Edition, Alger 2004.
6- Haedo Fray Diego de : Histoire des Rois d'Alger, traduit par de Grammont, et présenté par Rebahi Abderrahmane, édition, Alger Livres Edition, Alger 2004.
7- Mascarenhas Joao : Esclave à Alger, récit de captivité de 1621 à 1626, traduction et notes de Paul Teyssier, 2édition Chandeigne, Paris1999.
8-Paradis Jean Michel venture de :Alger au XVIII siècle(1788-1789), présentation et notes de Rebahi Abderrahmane, édition Grand Alger Livres, Alger 2006 .
9- Rotalier C.H de :Histoire des états barbaresques qui exercent la piraterie,2T, Paris 1757.
10- Tassy Laugier de: Histoire du Royaume d'Alger avec l'états présent de son gouvernement, de ses forces, de terre ,et de mer, de ses revenues, police, justice, politique, et commerces, édition Loysel,Paris1992.

4-المراجع:

أ-المراجع العربية:

1- أبو ملهم نجيب ، عبود وموسى:سيرفانتيس أمير الأدب الإسباني، مطبعة المخزن، تطوان، المغرب1947م.

2-أصاف يوسف بك:تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن ،ط1،مكتبة مدبولي، القاهرة 1415ه/1994م.

3-ابن خروف عمار : لعلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي، دار الأمل الجزائر1427ه/2006م.

4-بوعزيز يحي:علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830م،د.م.ج، الجزائر 1985م.

5-بوعزيز يحي:الموجز في تاريخ الجزائر الجزائر الحديثة،2 أجزاء،د.م.ج، الجزائر 2009م.

6-الجيلالي عبد الرحمن بن محمد:تاريخ الجزائر العام،4 أجزاء، دار الأمة بيروت 2007م.

7-حليم إبراهيم بك: تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت 1408ه/1988م.

8- الدغيم محمود السيد:أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية حتى نهاية عهد السلطان سليم الثاني،الحضارة الإسلامية وعالم البحار،منشورات اتحاد المؤرخين العرب،القاهرة،1414ه/1994م.

9-سعد الله أبو القاسم:تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)،م.و.ك، الجزائر1985م.

10-شويتام أرزقي: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926هـ/1519م-1246هـ/1830م،ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر 2009م.

11-غطاس عائشة:الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر إبان العهد العثماني 1700-1830م: مقاربة اجتماعية واقتصادية،م.و.ن.إ، الجزائر.2003

12- قنان جمال:معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م، وزارة المجاهدين، الجزائر2007م.

13- المحامي محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية،تحقيق إحسان حقي،ط 1،دار النفائس، بيروت1401هـ/1981م.

14-المدني احمد توفيق:حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م، ط2،ش.و.ن.و، الجزائر1976م.

15-مروش منور:دراسات عن الجزائر في العهد العثماني،العملة، الأسعار، والمداخيل، 2 أجزاء،دار القصبة للنشر، الجزائر 2009م.

16-الميلي محمد بن مبارك الهلالي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث،3 أجزاء، الجزائر 1964م.

ب-المراجع المعربة:

1-إلتر عزيز سامح:الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر علي محمود عامر،ط 1، دار النهضة العربية،بيروت 1989م.

2- جوليان شارل أندري : تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م،ترمحمد مزالي، والبشير بن سلامة، 2 أجزاء،الدار التونسية للنشر، تونس 1985م.

3-سبنسر وليم:الجزائر في عهد رياس البحر،ترجمة وتقديم عبد القادر زبادية، ش. و. ن، الجزائر 2007م.

4-ستيفنس جيمس ويلسون:الأسرى الأمريكان في الجزائر 1795-1796م،تر علي تابليت، الجزائر2007م.

5-وولف.ب. جون: الجزائروأوروبا1500-1830م،تعريب وتعليق أبو القاسم سعد الله، م. و.ك، الجزائر1984م.

ج–المراجع الفرنسية:

1- Belhamissi Moulay Alger, l'Europe, et la guerre secrète (1518-1830),édition A.N. E.P, Alger, 2009.

2-Belhamissi Moulay :Histoire de la marine algérienne(1516-1830),édition E.N.A.L, Alger, 1983.

3- Belhamissi Moulay :Marine et Marins d'Alger(1518-1830),3T,B.N.A ,Alger 1996.

4- Belhamissi Moulay : Alger la ville aux mille canons, remparts et canons de la Casbah, A. N. E. P, Alger 2009.

5- Berbrugger Adrian :le Pegnon d'Alger, ou les origines du gouvernement turc en Algérie, Challamel, Libraire, Paris 1863.

6- Boyer Pierre: La vie quotidienne à Alger a la veille de l'intervention française, Paris 1963.

7- Chevalier Corine : Les trente premières années de l'état d'Alger1510-1541, O. P. U, Alger1986.

8-Courtina Rouland : La piraterie barbaresque en méditerranée 16-19e siècle, édition Jacques Gandini ,Paris2003.

9-Debelle Christian Alexandre : Histoire des pirates et des corsaires de l'océan et de la méditerranée depuis leur origine jusqu'à nos jours, édition Henri Noblet, Paris 1846.

10-Denis Ferdinand,et autres :biographie universelle ancienne et moderne,80T, Paris 1857.

11- Farine C. H :Deux pirates au XVIe siècle, histoire des Barberousse, Paul Ducrosq Editeurs Libraires, Paris 1869 .

12- Mouloud Gaid :l'Algérie sous les Turcs, édition S.N.E.D ,Alger.

13- Garnier François: Journal de la bataille de Lépante, édition De Paris, Paris 1972.

14- Grammont H.D de: Un Pacha d'Alger précurseur de M.de Lesseps(1586), Adolf Libraire- éditeur, Alger1886.

15- Grammont H.D de : Histoire d'Alger sous la domination turque1515-1830, édition Ernest le Roux, Paris1887.

16- Gsell Stephan, et autres : Histoire d'Algérie, éditons Ancienne Librairie Furne Boivin et Cie, Paris 1929.

17-Hoefer Ferdinand :Nouvelle biographie universelle depuis les temps les plus recules jusqu'à nos jours la conquête française 1830,édition Ernest Le Roux, Paris 1891.

18- Klein Henri : **Feuillet d'El-Djazair**, T2, édition du tell, Alger 2003.

19-Masson Paul: les compagnies du corail, étude historique sur le commerce de Marseille au XVI siecle et les origine de la colonisation française en Algérie-Tunis, édition Fontemiong, Paris 1908.

20- Monlau Jean :les Etats barbaresques, P. U. F, Paris 1963.
21-Poujoula. M :Voyage en Algérie, études africaines, Paris 1868.
22- Range Sander et Denis Ferdinand: Fondation de la Régence d'Alger,2T, J. Angé éditeur, Paris1837.
23- Turbet-Delof Guy: Bibliographie critique du Maghreb dans la littérature française1532-1715, édition S.N.E.D, Alger1976.

4-المقالات:

أ-المقالات العربية:

1-بلحميسي مولاي:غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر (948هـ/1541م) بين المصادر الإسلامية والمصادر الغربية، في مجلة تاريخ وحضارة المغرب ،كلية الآداب،جامعة الجزائر، جويلية 1969م.

2- غطاس عائشة:الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، في مجلة الثقافة، ع76، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر 1983م.

ب-المقالات الفرنسية:

1-Belhamissi Moulay : Les relations entre l'Algérie et l'église catholique à l'époque ottomane, in R.H, Alger 1980.
2-Berbrugger. A : Relevé des principaux français qui ont résidé à Alger de 1686 à 1830, in R.A ,V16,1872.
3- Berbrugger. A : Voies et moyens du rachat des captifs chrétiens dans les êtas barbaresques, in R.A, V11, 1867.
4-Cresti Federico :Alger à la période turque, observations et hypothèses sur sa population et sa structure sociale, in R.O.M.M,V44,1987.
5- Dan Pierre : Les Illustres captifs, histoire générale de la vie des faits et des aventures de quelques personnes notables prises par les infidèles musulmans, présente par de Grammont, in R.A, V27, 1887.
6- De Grammont H.D : Relation entre la France et la régence d'Alger aux XVIII, première partie, les deux canons de Simon Dansa(1606-1628) in R.A,V23,1879.
7- De Grammont H.D : Relation…, La mission de Sanson Nappolon, première partie, in, R.A, V23,1879.
8- De Grammont H.D : Relation…, La mission de Sanson Le Page et les agents intérimaires (1633-1646), V23, 1879.
9- De Grammont H.D: Relation…, 4eme partie, les consules Lazaristes et le chevalier d'Arvieux(1646-1688),in R.A,V29,1885.
10-Devoulx Albert : Le canon dit la consulaire a Alger, in R.A, V17,1873.
11-Haedo Fray Diego de: De la captivité a Alger, traduit par Molinier-Violle ,in R.A, V39,1895.
12- Monnreau et E.Watbled: Négociation entre Charles-Quint et Khir-Ed-Din (15381540), in R.A, V15, 1871.

5-المعاجم:

أ-المعاجم العربية:

1-حلاق حسان، و الصباغ عباس: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية، والمملوكية، والعثمانية ذات الأصول العربية، والفارسية، والتركية،ط1، دار العلم للملايين، بيروت1999م.

2-مجموعة من المؤلفين:المنجد الأبجدي،ط2،بيروت 1968م.

ب-الأجنبية:

1-Dubois Claude, et autres :le petit Larousse illustre, édition Larousse Paris 2007.

2-Vosgien: et Giraud Dictionnaire géographique ou description des quatre parties du monde, Tournachan-Molin librairie, Lyon1810.

المـــــــــــــــــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لاحـــــــــــــــــــــــــــــــــ

ـــــــــق

الملحق رقم(1):

حكم إلى بيلرباي الجزائر محمد بن صالح رايس [1].

بتاريخ 19 رجب 973هـ/10 فيفري 1566م.

(1)أ. و.ج، مهمة دفتري رقم 5،ص367، حكم رقم967، صادر بتاريخ 19 رجب 973هـ/ 10 فيفري 1566م.تر محمد داود التميمي.

الملحق رقم (1):

حكم إلى بيلرباي الجزائر محمد بن صالح رايس[1].

بتاريخ 19 رجب 973هـ/10 فيفري 1566م.

بعد التوكل على عناية الحق جل وعلا والتوسل إلى فخر الكائنات عليه أفضل الصلوات،فقد أمرت أسطولي الهمايوني بالإبحار في الربيع القادم داعين الله أن يكتب له الخير والنصر.وقد رأيت من المناسب ملاقاتك لأسطولي الهمايوني.

وأمرت:

في حالة عدم ترتب أيّ ضرر من جانب الأعداء على ولايتك فعليك بملاقاة أسطولي الهمايوني بسفن الجزائر والالتحاق بقوات بيالي باشا أمير أمراء الجزائر(جزائر البحر الأبيض المتوسط)،وتقديم الخدمات،التي يراها مناسبة.أمّا في حالة توقعك الخطر فعليك الحذر من الأعداء ورصدهم.

وفيما إذا هاجمت سفن الأعداء ولايتك فقابلهم بالمثل، واضرب بسفنك ولاياتهم، التي تقد على ضربها بعنف، والحق بهم كل خسارة.وسواء كنت ملاق للأسطول الهمايوني، أو كنت مغيرا على الأعداء فلتضع إحقاق الحق نصب عينيك،وليكن النصر حليفك، وكن دائما على بصيرة من الأمر، وحاذر أن يلحق البلاد أو الولاية أيُّ ضرر من الأعداء على حين غفلةٍ.

---

(1)أ.و.ج مهمة دفتري رقم 5، ص 367، حكم رقم 967، صادر بتاريخ19 رجب 973هـ/10 فيفري 1566م،تر محمد داود التميمي.

الملحق رقم(2):

حكم إلى عامة أمراء وأعيان وقواد ولاية جزائر الغرب[1].

بتاريخ 19 شوال 979هـ/4 مارس 1572م.

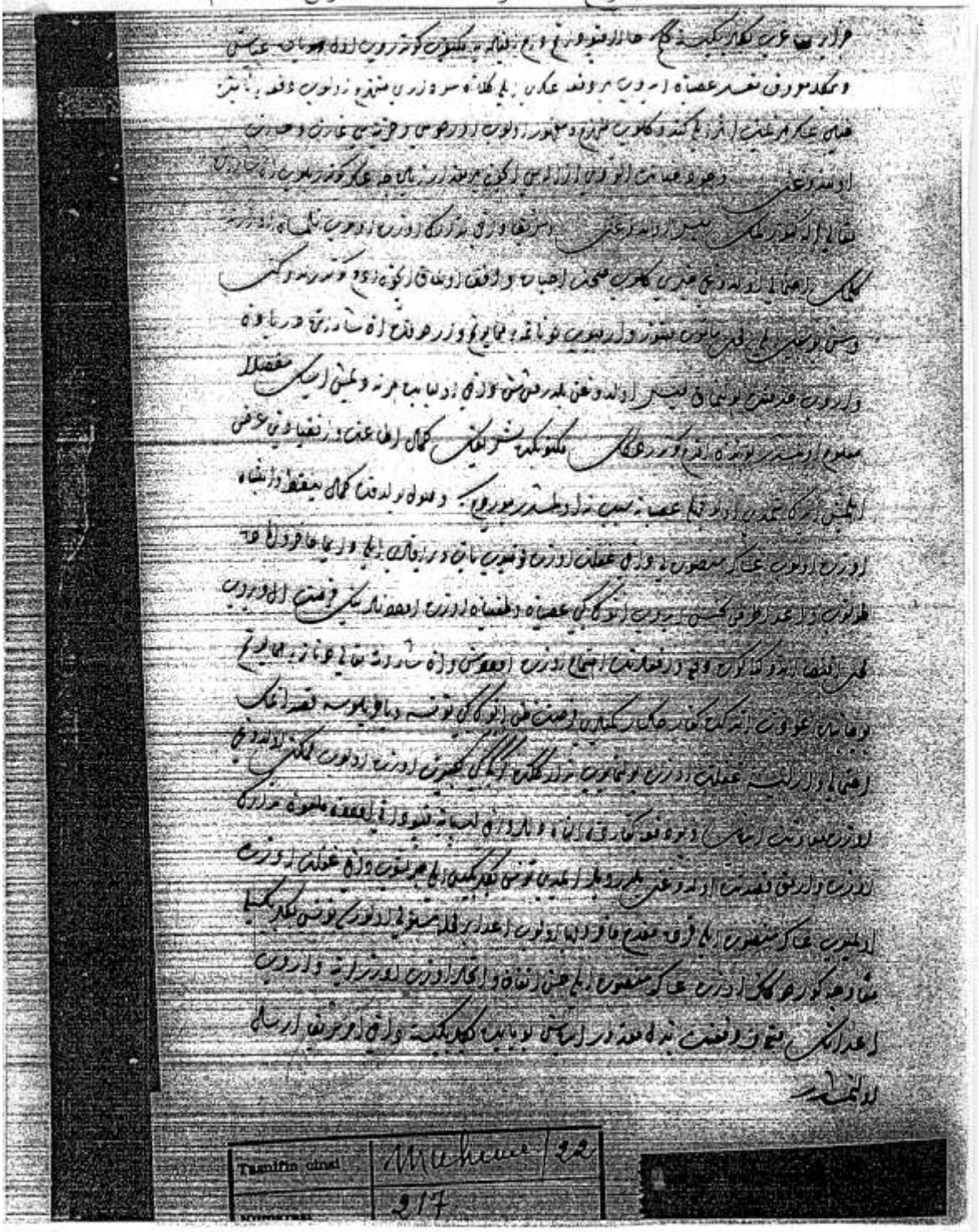

(1)مهمة دفتري رقم 18،ص ص 135-136،حكم 277 صادر بتاريخ 19 شوال 979هـ/4 مارس 1572م.تر محمد داود التميمي.

الملحق رقم(2):

حكم إلى عامة أمراء وأعيان وقواد ولاية جزائر الغرب[1].

بتاريخ 19 شوال 979هـ/4 مارس 1572م.

أرسلتم كتبا تعربون فيها عن كمال رضاء وشكران الرعايا، والبرايا ،والعساكر ،والأعيان عن أوضاع وأفعال قبوداني علي باشا دام إقباله، وأمير الأمراء السابق للولاية المزبورة كما أشدتم بالأفعال، التي قام بها كتخداء، الذي عينه قائم مقام، ومن بذله للمقدور وسعيه المشكور في أداء خدماته، وإحسان معاشرته لاعيان وأهالي الولاية، وتأديبه بعناية الله تعالى لأعداء الدين والدولة اثر محاولتهم الإغارة على البلاد والولاية بقصد الحاق الضرر بهما ، وكيف انه استطاع على سفينتين بكامل رجالهما منهم والقضاء عليهم ولقد أحاط علمنا الشريف بكل ذلك بيض الله وجوهكم هذا ما كان يرجى منكم والحمد لله، فقد حصل الخير وإن نظرنا لكم بعين الاعتبار لا يقل أبدا عن نظرنا إلى الممالك الجليلة الاعتبار الواقعة داخل حيطة خلافتنا الواسعة الأقطار بل إنّها تزيد على ذلك، حيث أنّ ولايتكم هي دار الجهاد وأنّ أمراء وآغوات وسائر عساكر واعيان تلك الديار بمثابة رجال ولاية سدة سعادتنا.

ولقد أنعمنا على المشار إليه(علي باشا) دام إقباله بإمرة الأسطول(قبودانلق) وإمرة ولاية الجزائر(جزائر بحر السفيد) كما أنعمنا على أمير سنجق قوجة إيلي أحمد دام إقباله، وهو من الأمراء ذوي الاحترام لدينا بإمارة جزائر الغرب، وتم إرسالهإليها وأمرنا:

حال وصوله(الحكم)، عليكم بإطاعة المشار اليهم، والامتثال لأوامره، والعمل على تعظيمه وإجلاله، ومن ثم بدل المقدور والسعي اللامحصور في سبيل ضبط وحراسة الولاية ودفع مضرة الأعداء والكفار أصابها الدمار عنها و كذلك في سبيل الأمور المتعلقة بالغزو والجهاد لصيانة عرض الدين، وحماية ناموس دولتنا الأبدية وينبغي كذلك أن تكونوا على حسن اتفاق واتحاد معه، وأن يكون قلبكم واحدا ووجهتكم واحدة، فلا تضيعوا دقيقة واحدة.

إنّ ملك فرنسا معروف بكمال إخلاصه، وفرط اختصاصه تجاه أستانة سعادتنا من قديم الزمان، وال هذا لان لذا فإننا نهيبكم عدم التعرض للأرجاء الفرنسية، والتجار الفرنسيين، وحاذروا من أي

---

(1)مهمة دفتري رقم 18،ص ص 135-136،حكم 277 صادر بتاريخ 19 شوال 979هـ/4 مارس 1572م.تر محمد داود التميمي.

تابع للملحق رقم (2):

تصرف يخلف العهد والأمان وان شاء الله الأعزّ فقد تقرر إنزال أسطولنا الهمايوني العظيم إلى البحر في الربيع الخير فعليكم بعمل الترتيبات الملائمة وأنّ أمير الأمراء سيبحر بنفسه ، وسيصطحب معه قوارب اللوند المتواجدة في تلك الديار، وسيغير على ولايات الإسبان الملاعين بالشكل،الذي يراه مناسبا فعليكم بنهب وغارة وخسارة تلك الأطراف.

الملحق رقم(3):

حكم إلى عامة أمراء وأعيان وقواد ولاية جزائر الغرب[1].

صادر بتاريخ 13 ربيع الثاني 981هـ/11 أوت 1573م.

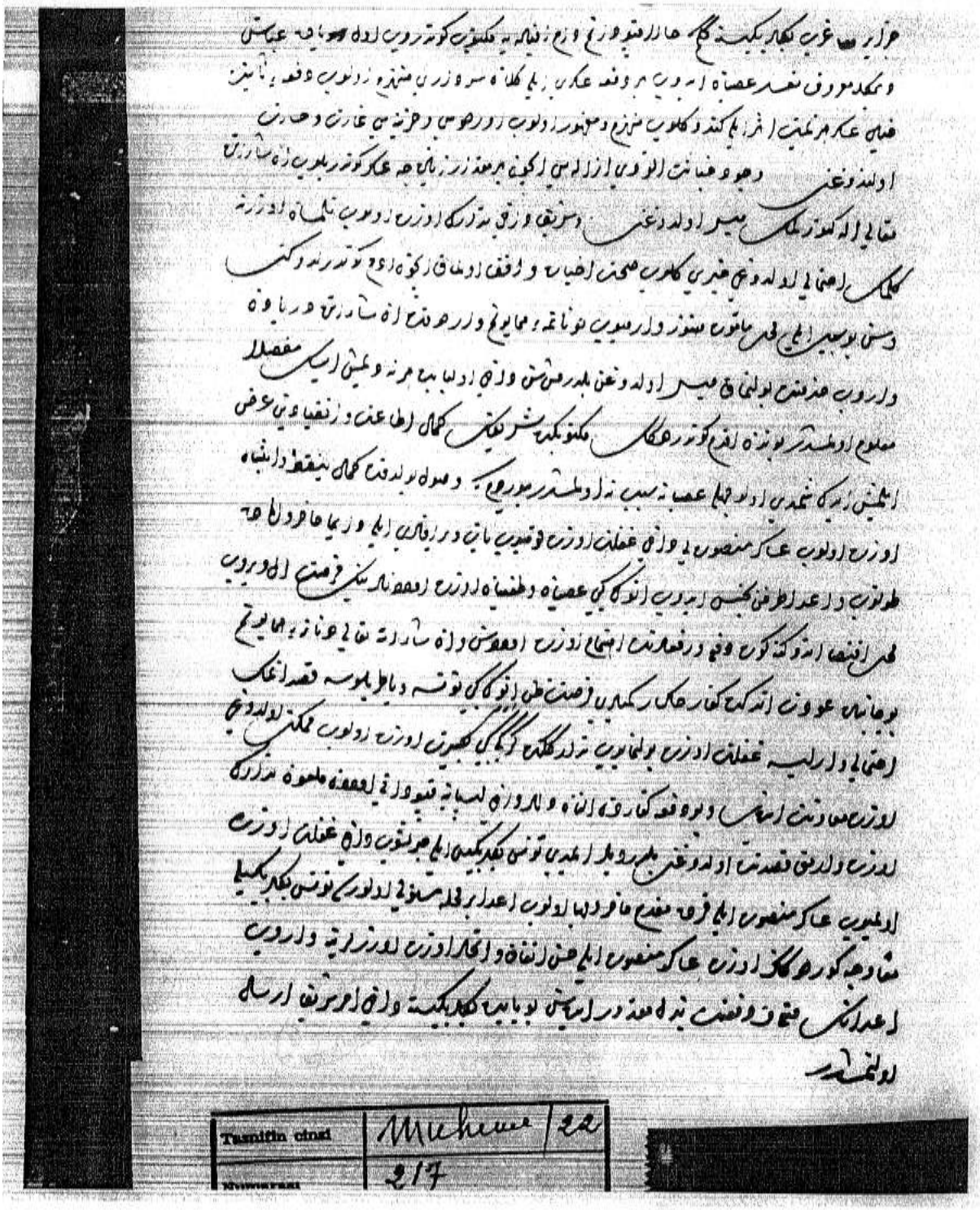

(1)أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 22،ص 217،حكم 418 صادر بتاريخ 13 ربيع الثاني 981هـ/11 أوت 1573م.

الملحق رقم(3):

حكم إلى عامة أمراء وأعيان وقواد ولاية جزائر الغرب[1].

صادر بتاريخ 13 ربيع الثاني 981هـ/11 أوت 1573م.

حكم إلى أمير أمراء جزائر الغرب:

علمنا بإرسالك بخطاب إلى قبودانا-دام إقباله-تعلمه فيه عن عصيان المفسد المدعو عباس، وتشير إلى أن قائده، وعساكره قد هزموا في المرة الأولى، وانه حاول الكرة الثانية بنفسه مع خيالته - المهزومين- إلا انه هزم وقهر أيضا، وان الخسائر، قد لحقت بجيشه، وأمواله، تعرض حاجتك لعدد اكبر من العسكر للقضاء المبرم عليه إن شاء الله تعالى.

كما جاء في خطابك أنباء عن احتمال هجوم الشريف(حاكم فاس) على تلمسان وتذكر بأنك أرسلت رجالك لاستضاء صحة ذلك الخبر، وتفيد بأنه نظرا لتلك الأسباب لم تستطع الوصول إلى المكان، الذي أمرت أن تكون فيه إلا أنك تعرب عن املك بالالتحاق-بمشيئة الله-بالأسطول الهمايوني عند وصوله، هذا وقد أحاط علمنا الشريف بكل ما جاء في هذا الصدد، ولقد سبق ان أعلمت في خطابك السابق عن كمال إطاعة انقياد الشريف فما السبب وراء عصيانه الآن؟... وإننا نأمر.

حال وصوله،عليك بكمال التيقظ والانتباه، ولا تدع العساكر المنصورة تغفل عن واجبها، فضعهم على اهبة الاستعداد دائما بكامل عدتهم وعتادهم، وقد برصد الاعداء، وعليك بالاهتمام لدفع، ورفع كل من يسعى للعصيان، والطغيان.

وحين عودة أسطولنا الهمايوني-بمشيئة الله تعالى-الى هذه الأطراف، فإذا كان ثمة محاولات من سفن الكفار-أصابهم الدمار-إلا انتهاز الفرصة، والهجوم على تونس وطرابلس، فينبغي التبصر والحذر من ذلك، واخذ الاستعدادات اللازمة لمعاونتهم.

ولقد أعرب الأسرى، الذين أخذناهم من الكفار في هذه المرة عن استعداد قبودان الإسبان للهجوم، فيجب التيقظ من هذه الناحية، والتشاور مع أمير أمراء تونس وطرابلس، وأخذ الترتيبات اللازمة في البر مسبقا، وفيما إذا استولى الأعداء على أي مكان من تونس فيجب الاتحاد مع أمير أمرائها، وبقية العساكر للهجوم عليهم، وبذل المقدور لدفعهم ومنعهم عن ذلك، ولقد أرسل أمر شريف بهذا الخصوص إلى أمير أمرائها.

---

(1)أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 22،ص 217،حكم 418 صادر بتاريخ 13 ربيع الثاني 981هـ/11 أوت 1573م.

الملحق رقم(4):

قائمة بأسماء المبعوثين الكنسيين في الجزائر في النصف الثاني

من القرن السابع عشر[1]:

اسم المبعوث الكنسي Vicaire apostolique	مدة الإقامة بالجزائر
فيليب لوفاشي Philippe Le Vachet	1650-1662م
بينيامين هويجيي Benjamin Huigier	1662-1663م
جون لوفاشي Jean Le Vacher	1667-1683م
ميشال مونتماسون Michel Montmasson	1685-1688م
جيوسيبي جيانولا Guisseppe Gianola	1689-1692م
ايفون لورانس Yvon Laurence	1693-1705م

(1)إبراهيم سعيود: **العلاقات الجزائرية الإيطالية في من خلال الوثائق في القرنين السابع،والثامن عشر** ،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،بإشراف أ/مولاي بلحميسي، قسم التاريخ،جامعة الجزائر2000م،ص110.

الملحق رقم(5):

جدول يتضمن اعداد الاسرى الاوروبيين في مدينة الجزائر

خلال القرنين السادس والسابع عشر[1]:

السنوات	عدد الأسرى
1578-1581م	25 ألفا
1598م	15 ألفا
1619م	أكثر من 35 ألفا
1625م	25 ألفا
1640م	من 30 إلى 40 ألفا
1660م	35 ألفا
1662م	12 الفا
1665م	أكثر من 40 ألفا
1678م	مابين 20 و30 ألفا
1683م	ما بين 35 و40 ألفا
1684م	35 ألفا
1693م	4 آلاف
1696م	1600 (داخل السجون)
1698م	2600

(1) Federico Cresti :Alger à la période turque, observations et hypothèses sur sa population et sa structure sociale, in R.O.M.M,V44,1987,p131.

الملحق رقم (6):

نشرة دعائية خاصة لجمع الأموال الموجهة لمفاداة الأسرى، والتي تتم في بانتواز(Pantoise) وفيكسان الفرنسي(le Vexin Français)[1]

«نحن **بيرتراند باتي ست روني غيسكلان (Bertrand Baptiste René Guesclin)** قس مستشار، مرشد تابع للملك، عميد كلية **انديليس (Andélys)**، ممثل عام للسيد كلي الرفعة، جلي الاحترام أسقف **روين(Rouen)** ،كبير أساقفة نورماندي، والقاضي الأسقفي لبانتواز وفيكسان الفرنسي، وبعد رؤية الرسائل الواردة من طرف جلالته الملك، والتي تؤكد ما ورد في رسائل سابقيه من الملوك، لتنظيم الثالوث الأقدس، الذي سيذهب أعضاؤه إلى بلاد المغرب لمفاداة إخواننا، الذين وقعوا في الأسر والعبودية، أين يحيون حياة محفوفة بالمخاطر بفعل قسوة المغاربة ونحن نسمح بإصدار هذه الرسائل، التي تسمح بجمع الأموال بأن تقوم بذلك داخل المملكة من أجل مفاداة الأسرى، ونرخّص القيام بجمع الأموال في مدينتي بانتواز وفيكسان الفرنسي، بعد أن رجونا السادة الكهان ليقوموا بحث المؤمنين من خلال الموعظة، التي تقام يوم الأحد على إعطاء الصدقات، التي تسلم بعد ذلك إلى السادة العمداء الريفيين في مقاطعاتهم، والذين سيلمونها بعد ذلك إلى السيد **دي اوفري (d'Auvray)**كاتبنا لتقدم بعد ذلك إلى الأب المحترم **جاك دوفو(Jacque Duvaux)** القس التابع للتنظيم المذكور المكلف بتحصيل هذه الأموال.

كتبت في بانتواز، ومن توقيع السيد الأسقف، في يوم8مارس1731م».

ب.دي غيسكلان.

الوكيل العام والقاضي الأسقفي

من طرف السيد الوكيل الكبير دي اوفري

---

(1) A.Berbrugger: **Voies et moyens du rachat des captifs chrétiens dans les états barbaresques**, in R.A,V11,1867,p330.

الملحق رقم(7):

العبارات، التي كُتبت في قاعدة النصب التذكاري، الذي وُضع فوقه المدفع القنصلي[1]

المدفع القنصلي

أُخذ من الجزائر في 5 جويلية 1830م

وهو يوم احتلال هذه المدينة

من طرف القوات الفرنسية

دوبيري(Dopperé) القائد العام للأسطول

ونُقل يوم 27 جويلية 1833م

لويس فيليب رينيون(Louis Philippe Regnant)

دي رينيي(De Rigny) وزير البحرية

بيرجيري(Bergeret) ضابط بحري

(1) Devoulx :Le **canon dit la Consulaire a Alger**, in R. A, V 17,1873,p3.

الملحق رقم(8):

نظرة الأب دان لوضعية الأسرى الأوروبيين في الجزائر[1].

(1) Pierre Dan :Histoire de la Barbarie,Op.cit,p417.

تابع للمحق رقم(8)[1]:

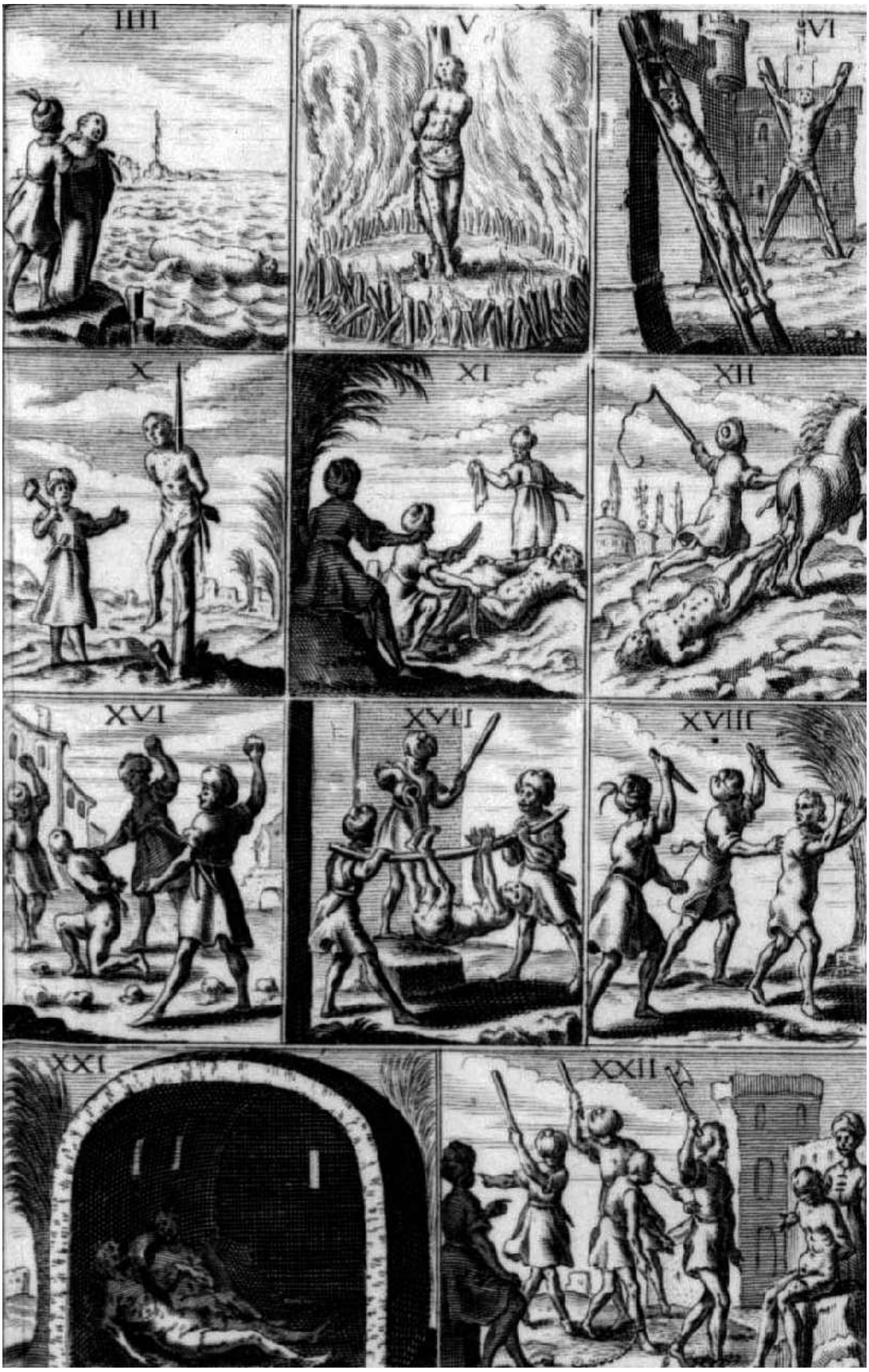

(1) Pierre Dan :Histoire de la Barbarie,Op.cit,p417.

الملحق رقم(9):

مخطط يوضح موقع سوق البادستان في مدينة الجزائر[1].

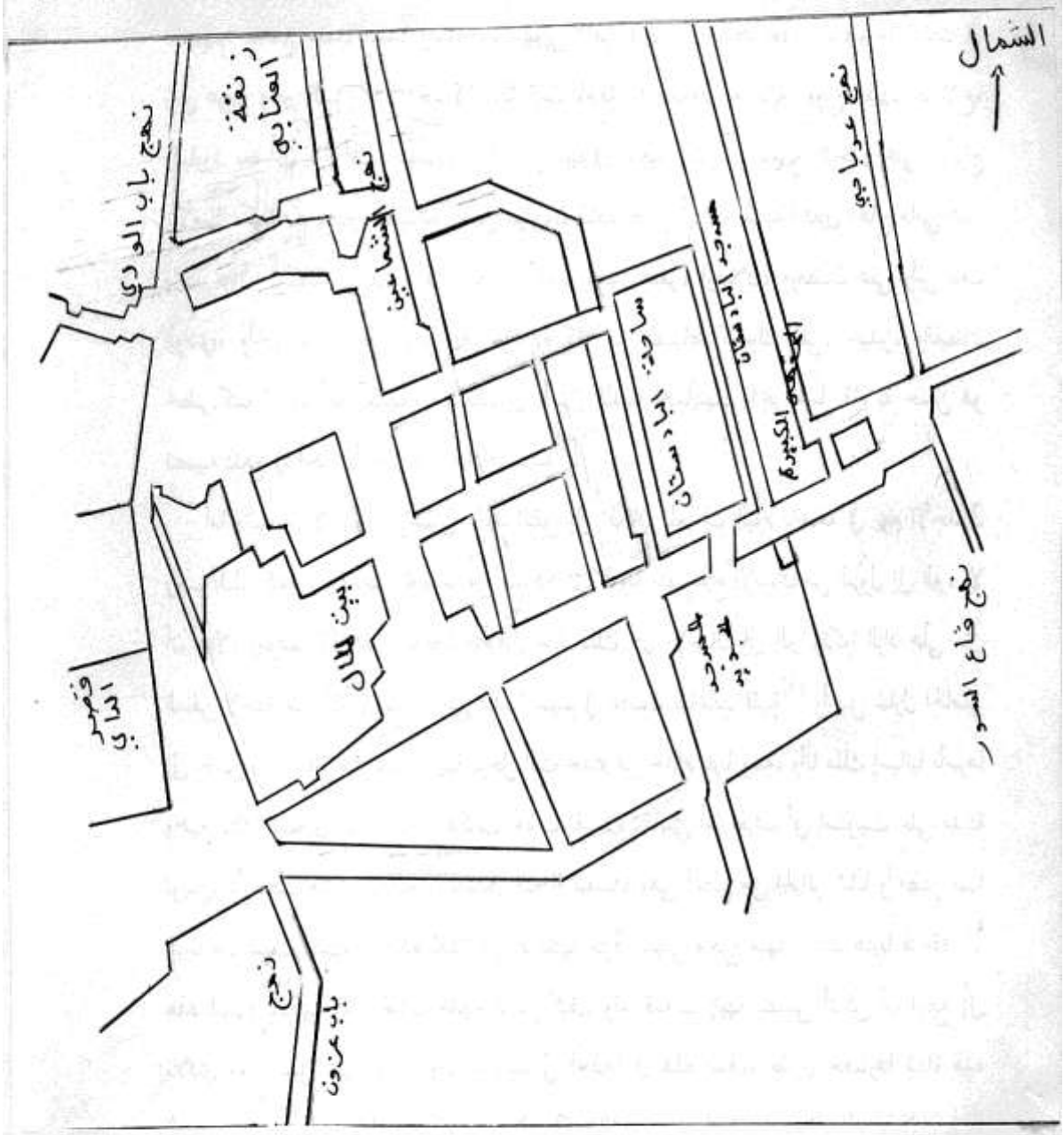

(1)مخطط من وضع الطالبة اعتمادا على ملحق وضعه ناصر الدين سعيدوني في كتاب عبد الله بن الشويهد:المصدر السابق، ص 200.

الملحق رقم(10):

خريطة توضح موقع بعض سجون الأسرى في مدينة الجزائر في العهد العثماني[1].

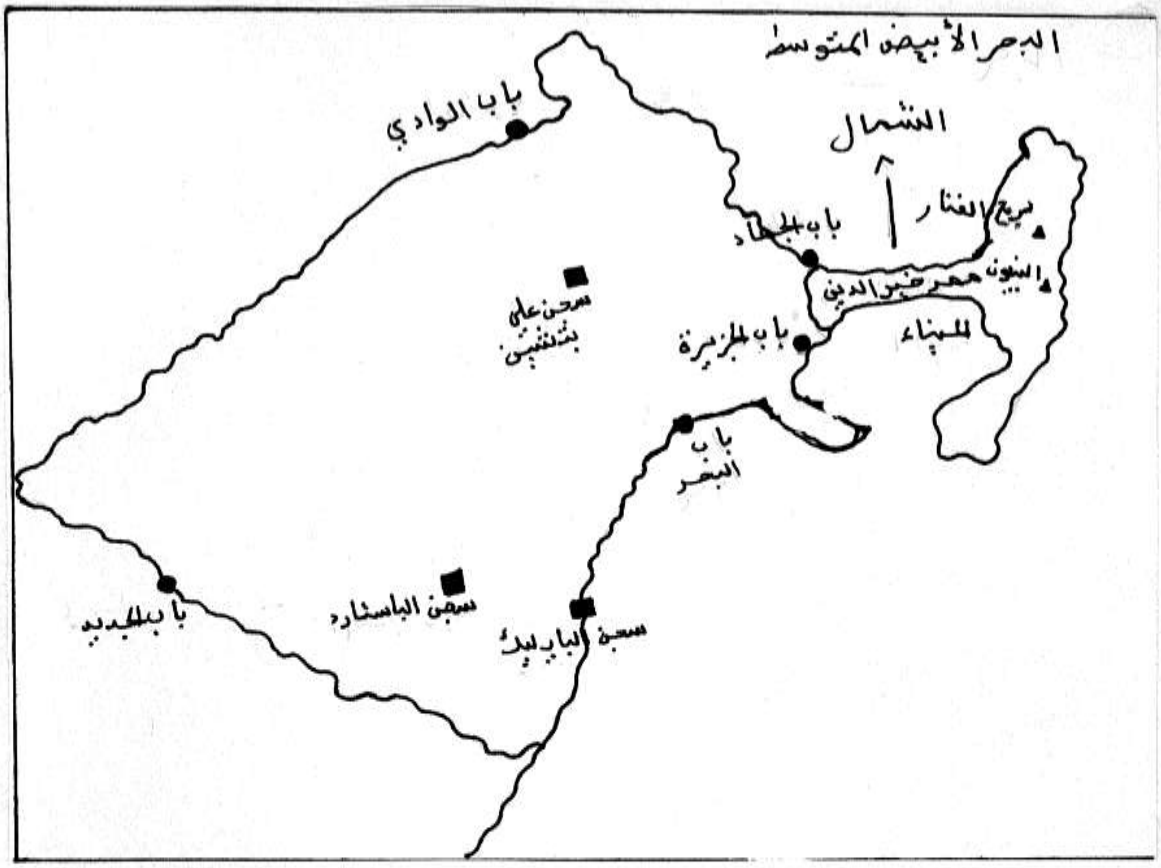

مفتاح الخريطة:

■ سجون الأسرى.

● أبواب المدينة

▲ أبراج

(1) خريطة من وضع الطالبة اعتمادا على ملحقين وضعهما ناصر الدين سعيدوني في كتاب عبد الله بن الشويهد:المصدر السابق،ص ص 195-196.

الفـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــهـــارس

فهرس الأعلام

فهرس القبائل، والجماعات

فهرس الأماكن، والبلدان

فهرس المحتويات

فهرس الأعلام.

(أ):

إبراهيم باشا:107،108

أحمد باشا:96

أحمد علي (رايس):101

أراغون جوليو أكوافيفا:114

أرسلان(القائد):80،81

أرناؤوط مامي:115

إسبينوثا دييغو دي:114

ألبارناس:121

ألكسندريني(الكاردينال):107

ألمانسا فرانسيسكو دي:38

أليساغاري رينو دي:58

أليفار جورجي دي:116

إلِينْيو:120

أمانس سان:56

أموتشا:110

أندريا(شقيقة سيرفانتيس):118،119

أندريتا:109

أنطوان مارك:104

إيزابيل(ابنة سيرفانتيس):119

أيوس جوان لوبيز دي:114

(ب):

بابا حسن:61

بارو:52

بايو فرنسيسكو دل:114

بتشين علي:33

بربروجي:124

بربروس خير الدين: 95،81،79،77،76،45،39،38،37،36،31،26،20،19،17،16،10،
96،97،99،106

برتو باشا:104

بريف فرانسوا صافاري دي:65،66

بلانفيل:63

بفايفر سيمون:32

بكداش محمد:12

بكير (الحاج):62

بورتوندو فيديريكو:37

بول فانسان دي:60

بول(الفارس):52،51

بوولز جون:130

بيالي باشا:102

بيرسيلاس:123

بيكولوميني سيلفيو:91

بيوس الخامس:104

بيول:64

(ت):

تروبير:59

توريس أنطونيو غونزاليز دي:126

توليدو فيرناند دي:80

تيرسي:120

(ج):

جاندوكوردو:104

جيل جوان:118

(ح):

الحاج باشا:80

الحاج مامي:80

الحسار لطيفة:132

حسن آغا: 20،27،39،79،80،81،82،85،95،96،97،98،99

حسن باشا (ابن خير الدين): 11،27،36،99،101

حسن باشا:106

حيدر:81

حميدة:103

(خ):

خضر باشا:90،91

خضر(القبطان):81

(د):

داراندا إيمانويل: 23،30،127،128،129،130

دالكاوديت:27

دالي أحمد 17

دانسا سيمون:69،67

درغوث:102،109

دوبورديو:73

دوبور سيباستيان:75

دوريا أندريا: 76،77،78،84،86،96،97

دوريا جيوفاني:87،86

دوكين أبراهام: 74،62،61،60،59،57

دولسيني:121

دون جوان:104،105

دي أنجيان:133

دي براد:131

دي بورديو:73

دي بوفور:56،52،51

دي ترفيل:75،63

دي شوازول بوبري:62

دي غادان:53

دي غيز:67

دي فودري:75

دي فياس:80

دي فيركور: 134،133،132،131،130

دي كاستيلان:55

دي كوكيال:72

دي كومب:61

دي ليري:59

دي مارتيل:55

ديستري:75،76

ديل فاستو:80

(ر):

رمضان(القائد):81

رودريغو(والد سيرفانتيس):115،113

رودريغو(شقيق سيرفانتيس):116،113،18

روزان باي:68

رونيار جون فرانسوا: 133،132،131،130

رويدا لوبي دي:113

(ز):

زيلمي:133

(س):

سافيدرا ميغال دي سيرفانتيس:18،34، 118،119،121،122، 112،113،114،115،116

سافينياك:56

سالدينس ريني دي:127

سالم أحمد:131

سالمون دي:83

سليم الأول:10،107

سليمان رايس:17

سنان باشا:76

سنان(الشاويش):95

سوزا:126

سيجيسموند:123

سيروكو محمد:103

سيسنيروس خيمينيس دي:113

سيغالا:112

(ش):

شارل الخامس(شارلكان): 19،20،77،78،79،81،82،83،84،97

شاسونفيل سان مارتان دي:123

شاوش سنان:67

الشريف سيدي سعيد:80،81

شعبان:24

شعبان آغا:54

شلبي محمد:34

شير فيليب دي:127

(ص):

صالح رايس:106

صفر(القائد):81

صوريب لويس:69

(ع):

عبد الله:88،89

العبد حميد:99

علي باشا:103،105

عتيق محمد مامي:112

عروج:81

علج علي: 109،108،107،106،105،104،103،102،101،100،99،39،34

(غ):

غالاتية:120

غاليني لوكا:100

غايتانو ماريا:31

غزافان:110

غونزاغ فيرناند:80

(ف):

فاستو ديل:80

فالوا إيزابيل دي:114

فرانسبيرغ جورج:82

فرانسوا الأول:78،79

فرانسوا:30

فلوريسا:120

فلوريان:120

فتريانو حسن:39، 108،111،112،117،118

فوسميديانو كاتالينا دي بالاسيسوس سالازار:118

فياردون:123

فياس دي:90

فيان:117

فيت دوبونت:134

فيرغاس مارتان دي: 19،38،45

فيلبرون لوفيفر دي:123

(ق):

قابيل:125

القاضي أحمد بن:98

القاضي سيدي أحمد بن:97

القانوني سليمان:96،101

قطانيالي سليمان:88

قورصو حسن:39

قوصا محمد:91

(ك):

الكاتالوني بيار:41

كاثكارت جيمس لندر:32

كاربونو:69

كرمان علي:76

كليرفيل: 55،53،52،51

كنان آغا:68

كوجوك علي:81

كورتيز فيرناند:80

كوردوفا جوان دي:38

كوردوفا مارتن دي:98

كوردونا جون:105

كولون كامي:82

كومبوستيل سان جاك دي:126

كيخانو ألونسو:120

(ل):

لا مانشا دون كيشوت دي:120

لاغيوتيير:55

لافيلا أنطونيو دي:118

لاكروث كريستوبال دي:121

لوباج صانصون: 71،70

لوفاشي جون:59،60،62

لويس(أصغر أبناء داراندا):129

(م):

ماثيو(الأب):87،88

مارسيل:65

مازاران: 51،52،53،55

ماغدالينا:119

محمد بن صالح رايس:86

مراد رايس: 17

مراد(السلطان):108

المرتضى(عائلة):12

مريم(ع):130

المسيح(ع):130

مولاي رشيد:97

مولاي عبد الله:99

مولاي أحمد:98،99

مومارت جون:129

مونتماسون:64

مونرو:124

مونكادا ميغيل دي:114

ميركاديي:75

ميزومورتو حسين: 61،63،64،65

ميلان سان:126

ميندوزا فيرنادينو دي:80

(ن):

نابوللون صانسون:68،69

نافارو بيدرو:18

النمرود:125

(ه):

هايدو دييغو دي: 39،113،123،124،126

هاييت:61

(ي):

ألياغا سانشو بانسا:120

يوحنا:106

يوسف(القائد): 80،81

يوسف(باشا):71

فهرس القبائل والجماعات:

(أ)

الآباء الثلاثيون:40

الأتراك العثمانيون: 78،39،31،20،10،11،13

الأرثوذكس:42

الإسبان: 115،89،83،79،77،31،30،19،18

الأسرى الأوروبيون: 33،32،31،30،29،28،27،26،25،24،23،22،21،20،17،16،14،
35،34، 60،58،57،56،51،50،48،47،46،45،44،43،42،41،40،39،38،37،36،
74،73،72،71،70،69،68،67،66،65،61، 91،90،87،85،83،79،78،77،76،75،
134،130،122،118،116،115،113،110،107،95،94،92

الأسرى الجزائريون:63،61

الأسرى المسلمون:96

الأعلاج: 127،40،39،36،29

آل هابسبورغ:74

الألمان: 30

الانكشارية: 10،37،54،55،61،64،86،88،92،111،117

الأوروبيون:14،43

(ب)

البرتغاليون:30

البروتستانت:42

(ج):

الجزائريون:60،65،71،83

الجيجلية:13

(ح):

الحضر:10،11

(د):

الدانماركيون: 30

(ف):

الفرس:108

فرسان القديس ايتيان:91،111

فرسان مالطة(فرسان القديس يوحنا):52،105،111

الفرنسيون: 123،110،73،71،70،55،17

(ك):

الكاثوليك:42

الكراغلة:11،10

(م):

مسلمو الأندلس: 12،11

(ن):

النابوليتانيون: 27

(ه):

الهولنديون: 30

فهرس الأماكن والبلدان.

(أ):

الأرض الجديدة: 30

الأراضي المنخفضة: 14

أزفون:88

إسبانيا 128،127،123،115،113،99،96،95،89،88،87،81،80،77،71،17،14،16

الأستانة:129،107

إسطنبول: 109،105،103،97

الإسكندرية:102،101

الأسود(سجن): 28

إشبيليا: 113،14

ألمانيا:129

إنجلترا 111،14

أولدنبورغ:128

ايسكيفياس:118

أيسلندا: 30

إيطاليا: 16،14،80،127

إيفيسا:53

(ب):

باب الجزيرة:44،81

الباب العالي:66،67

باب عزون:21،26،100

باتراس:105

البادستان(سوق الأسرى): 16،23،20،19،17

باريس:69،126

الباستارد(سجن): 26،27

الباستيون(مؤسسة تجارية): 36

باليرمو:124

بجاية: 35،55،89

برنديزي:97

بروج:129

بروفانس:125

بروكسيل:130

بريطانيا:128

بلجيكا:128

بلنسية:14

البليار(جزر): 17،112

البندقية: 90،104،111

البنيون(حصن): 16،18،76،77

بورتو سانتو: 17

بورغوس:79

بوفي(أكاديمية):130

بولونيا:129

البيرو: 30

بيسكايا:123،130

(ت):

تامناتافوست:45،84

تروا ماري: 18

تلمسان: 13،98،99،101

تنس:99

تورنيا:129

توسكانيا:91

تولون:52

تونس: 17،66،81،96،97،103،107

تيطوان:17،30

(ث):

الثالوث المقدس(كنيسة): 40

(ج):

جافارو:129

جربة: 19،76

الجزائر: 26،21،20،19،18،17،16،14،13،12،11،10،9،29،30،33،36،37،38،39

48،46،45،44،43،43،42،41،40،52،53،57،58،59،61،63،64،66،67،68،69،70،7

1،75،76،77،78،80،81،82،85،86،87،91،95،96،97،99،100،102،107،111،112

، 115،126،132،133،134

جنوة: 16،17،87

جورجيا:108

جيجل: 20،51،53،54،56،73

(ح):

حلق الوادي: 52،56،106

(د):

دلس:52

دانتزينغ:129

الدولة العثمانية: 10،68،106

الدويلات الايطالية:91،95،96

الدول البابوية: 17

دونكيرك: 23،30

(ر):

رأس تافورة:82،83

رأس الأعمدة:100

رأس ماتيفو:83

راغوزا:109

الراين:64،75

(ز):

الزيبان:15

(س):

سان مور(قناة):106

سان ألم(برج):102

سان سيباستيان:130

السجن الكبير: 26

سردينيا: 16،96،112

سطورا:51،52

سفيلا:79

سلا:63

السويس(قناة):107،108

سيدي أبو التقي:83

سيدي حمودي(سجن): 27

(ش):

شرشال:46،56،76،77

(ص):

صقلية: 16،17،18،42،84،112،125

الصين: 30

(ط):

طرابلس:52،59،102،107،109

طليطلة:79

(ع):

عنابة:51،91،92،99

(غ):

الغاليرات(سجن):27

غرينلند:30

غريون:133

(ف):

فرجينيا:30

فرنسا: 20،51،52،53،57،59،62،63،64،65،66،67،68،69،72،74،86،95،127

129

فروميستا:124

فلاندر: 24،132

الفنار(برج):58

(ق):

القديس بطرس(كنيسة):106

القديسة كاثرين(سجن):41

القسطنطينية: 71،107،110،111

قسنطينة:13،54

قشتالة:127

قصر الجنينة:61

قنطرة الأفران:83

(ك):

كارانسا:123

كالابريا:101

كدية الصابون:82

كندا: 30

كوبنهاغ:128

كورسيكا: 16،17

كورون:97

كوكو(إمارة):87،88

كولو:51،52

الكناري(جزر): 17

(ل):

لابوني:132

لاروشيل:128

لاهاي:129

لايد:130

ليبانت: 104،105،114

ليفورن:16

ليكاتولي:100

(م):

ماري:17

مازغران:20

مالطة: 84،101،102،103،105،109

مالفازيا:110

ماهون(شارع):21

مايوركا:89

مدريد: 113،115

المرسى الكبير:77

مرسى الفحم:88

مرسيليا: 65،67،69،71،53،54،58

مستغانم:99

مسينا:114

مضيق جبل طارق:17

المكسيك:30

ملعب الكورة:83

ميتافارا(قمة جبل):133

نابولي: 16،17،18،101،114

نافاري:116

نومانسيا:123

(ه):

هامبورغ:132

هناريس:113

الهند الشرقية:30

هنغاريا:133

هولندا:30،132

(و):

وادي الحميز:84

وادي خنيس:84

وهران: 35،64،77،103،115

(ي):

اليابان:30

فهرس المحتويات

الإهداء	
الشكر والعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	1
الفصل الأول: الأوضاع الاجتماعية للأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال القرنين السادس والسابع عشر للميلاد.	9
المبحث الأول: ظروف الأسر في الجزائر	10
أولا–طرق وقوع الأوروبيين أسرى لدى الجزائريين	11
أ– الهجوم على السواحل الجنوبية الغربية من أوروبا	11
ب–المواجهات البحرية، واعتراض السفن في عرض البحر	13
ج–الهجوم على الأماكن، التي احتلها الإسبان في الجزائر	13
د–الوقوع في الأسر من خلال الحملات العسكرية على مدينة الجزائر	15
ثانيا–عملية بيع الأسرى في سوق البادستان	16
المبحث الثاني:أماكن إقامة الأسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر، وأوضاعهم فيها	21
أولا–سجون البايليك	21
ب–بيوت المالكين الخواص	27
1–محاولات هروب الأسرى، إحدى وسائل الحصول على الحرية	31
أ–الهروب نحو بجاية، أو وهران	31
ب–الهروب عن طريق البحر	31

ج-الاستعانة بالأعلاج	31
د-السباحة نحو السفن الراسية في الميناء	32
2-تمردات الأسرى، وسيلة أخرى للرجوع إلى الوطن	33
ثانيا-الوضع الديني للأسرى	35
ثالثا-المهن،التي كُلّف الأسرى بانجازها	39
1-أشغال الورشات البحرية	40
2-أشغال البناء	41
3-نقل الحجارة، والأخشاب	42
4-التجديف	43
5-الحرف العامة	44
المبحث الثالث:الوضع الصحي للأسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر في القرنين السادس والسابع عشر	46
1-وباء الطاعون، والمجاعة	46
2-الأمراض الأخرى الشائعة في الجزائر	48
3-طرق التداوي	48
4-المستشفيات الخاصة بالأسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر	50
الفصل الثاني: دور الأسرى في علاقات الجزائر مع دول الحوض الغربي للمتوسط	54
المبحث الأول:دور الأسرى الأوروبيين في العلاقات مع فرنسا	55
أولا-الحملات العسكرية	55
1-حملة الدوق دي بوفور على مدينة جيجل 1664م	55
2-حملة الأميرال دوكين الأولى 1093هـ/1682م	61
3- حملة الأميرال دوكين الثانية1094 هـ/1683م	64
4-حملة الماريشال ديستري 27 شعبان 1099هـ/26 جوان 1688م	68
ثانيا-البعثات الدبلوماسية، والمعاهدات السياسية	70
1-مهمة فرانسوا صافاري دي بريف	70

2-معاهدة 5 ربيع الثاني 1928م/ مارس 1619م	72
3-معاهدة13 رجب 1037ه/19 مارس 1628م	73
4-مهمة صونصون لوباج	76
5-معاهدة 17 ربيع الأول 1050ه/7 جويلية 1640م	78
6-معاهدة 12 ذو القعدة 1076ه/17 ماي 1666م	78
7-معاهدة 2 جمادى الأولى 1096ه/24 أفريل 1684م	80
8-معاهدة10 ذو الحجة 24/1100 سبتمبر 1689م	81
المبحث الثاني:دور الأسرى الأوروبيين في العلاقات مع إسبانيا	82
أولا-الحملات العسكرية	82
1-حملة أندريا دوريا على شرشال في سنة 938ه/1531م	82
2-حملة شارل الخامس على مدينة الجزائر في سنة 948ه/1541م	85
3-حملة جيوفاني دوريا على مدينة الجزائر في سنة 1010ه/1601م	92
4-حملة الأب ماثيو على مدينة الجزائر سنة 1012ه/1603م	94
المبحث الثالث:دور الأسرى الأوروبيين في العلاقات مع الدويلات الإيطالية	97
1-حملة دوق توسكانيا على مدينة الجزائر في سنة 1012ه/1603م	97
2-حملة بيكولوميني على عنابة في سنة 1016ه/1607م	98
الفصل الثالث: مشاهير الأسرى في مدينة الجزائر خلال القرنين السادس والسابع عشر	100
المبحث الأول:أشهر الأسرى، الذين اعتنقوا الإسلام	102
أولا-حسن آغا ابن خير الدين	102
ثانيا-علج علي	106
1-مساهمة علج علي في حصار مالطة	108
2-دور علج علي في معركة ليبانت	110
ثالثا-حسن فتزيانو	116
المبحث الثاني:مشاهير الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر	120
أولا- ميغال سيرفانتيس سافيدرا	120

-من أعمال سيرفانتيس الأدبية	127
1-رواية غالاتية	127
2-رواية دون كيشوت دي لا مانشا	128
3-سفر ألبارناس	129
4-مجموعة المسرحيات	129
أ-السافل السعيد	129
ب-السلطانة العظيمة	129
ج-حمامات الجزائر	130
د-روايات الجزائر	130
ه-مسرحية حصار نومانسيا	130
5-رواية الأمثلة الجديدة	131
6-رواية أعمال برسيلاس، وسيجيسموند	131
7-رواية الأخبار	131
ثانيا-دييغو دي هايدو	131
-مؤلفات هايدو	132
أ-طوبوغرافية، وتاريخ الجزائر العام	120
ب-تاريخ ملوك الجزائر	133
ج-الأَسْر في الجزائر	134
د-الأولياء الصالحون	135
ثالثا- إيمانويل دارائدا	135
-كتاب إيمانويل دارائدا	137
رابعا- جون فرانسوا رونيار	139
-من روايات رونيار	142
-البروفانسية الجميلة	142
الخاتمة	145
قائمة المصادر والمراجع	148

الملاحق	157
فهرس الأعلام	173
فهرس القبائل والجماعات	186
فهرس الأماكن والبلدان	189
فهرس المحتويات	199